راشد الغنوشي



راشد الغنوشي

محاور إسلامية

تقديم

محمد الهاشمي الحامدي

طبعة ١٩٨٩





تقديم

ملامح التميز في تفكير الغنوشي والتجربة الاسلامية في تونس

بعد سنتين فقط، يكون قد مر على تاريخ تأسيس حركة الاخوان المسلمين على يد الامام الشهيد حسن البنا ستون سنة كاملة.

وفى ذلك التاريخ (١٩٢٨ ، كانت طموحات البنا واخونه جزء من الهموم العامة للامة الاسلامية بعد سقوط الخلافة فى اسطمبول وتفكك اوصال الامبراطورية العثمانية تحت وطأة الهجهات الاستعهارية وتبلور ملامح المشروع الصهيوني البريطاني لاقتطاع فلسطين وتحويلها وطنا ليهود العالم.

وخلال العشريتين التاليتين لتاريخ التأسيس استطاع الامام الشهيد ان ينخرط بالحركة الاسلامية في صلب هذه الهموم ويجعلها في طليعة الناهضين باعباء الجهاد من اجل انجاز مهمة التحرر الوطني وافشال المشروع الصهيوني في فلسطين، كما وقف البنا بحزم ضد التصورات العلمانية وحارب الدعوات الاقليمية التي تنادى بها الليراليون من كل مكان، وزرع بذرة العمل الاسلامي الرسالي المجاهد في اكثر من قطر عربي، محاولة منه للابقاء على معنى الوحدة الاسلامية مائلا في اذهان الجماهر المسلمة.

والحقيقة ان الاسلام كان في تلك المرحلة محورا رئيسيا قامت عليه كل معارك التحرر الوطنى في مشرق العالم الاسلامي ومغربه، وكانت نداءات التكبير راية الجهاد وشعاره، وآيات القرآن مادة التحريض الخطابي والدعاية السياسية، وكانت المفاهيم الاسلامية جزءا لا يتجزأ من البرنامج السياسي لعامة الاحزاب العربية المناهضة للاستعهار.

وكان يبدو ان كلّ شيء يمضّى في الاتجاه الصحيح الى حين استشهاد الامام البنا في اواخر الاربعينات وتولى الضباط الاحرار السلطة في مصر سنة ١٩٥٢. لقد بدأت النتائج تبرز تباعا، ومع كل مرحلة من مراحل تجليها بدأ يبرز للاسلاميين مبلغ مأساويتها ومناقضتها لكل الحسانات والتوقعات.

لقد احيط بكل الاحزاب والتوجهات الاسلامية في كل البلاد التي خرج منها الاستميار مشرقا ومغربا، فشل حزب الاستقلال في المغرب في قيادة الدولة نحو الاسلام، وانتهت ثورة المليون شهيد الى ميثاق وطنى كاد لا يذكر كلمة الاسلام مرة واحدة وفي تونس انجز الحكام الجدد ما لم يجرؤ عليه الاستعيار فاغلقوا الجامعة الزيتونية وحاربوا الحجاب واستقبلوا الغرب الرأسيالي فكرة ومنهاجا.

وفى المشرق تعددت الانقلابات العسكرية وتباينت سياسات القائمين بها الا فى مسألة واحدة، مسألة الالتفاف على النوجه الاسلامي وبحاصرة دعاته والاساءة الى دين الشعب وثقافته وهويته النارنخية بكل الوسائل والامكانيات المتاحة.

كانت تحاكيات الآخوان المسلمين في مصر ابرز وجه فيها يبدو لهذه السياسة ـ فقد نكل الاخ المسلم القديم جمال عبد الناصر بقيادة الحركة الاسلامية بفظاعة لا تتصور وبهمجية لا تشبهها الا محارسات شاه ايران وسوموزا ومنفذى جرائم حماة وتل الزعتر وصبرا وشاتيلا ومن سار على نهجهم من طغاة هذا القرن.

لقد كانت الأحزان فوق طاقة الاحتمال، وكان المشروع الصهيوني يتوسع يوما بعد يوم، وكان حلم الوحدة العربية وكان حلم الوحدة العربية يستحيل بمرور الزمن الى سراب خادع، وكانت الوحود الكبيرة بالتحرر السياسي والاجتماعي تسقط واحدا بعد الآخر امام ما تكرس من اوضاع التبعية والانحلال والتفاوت الاجتماعي.

ولقد حال ذلك كله فيها يبدّو بين الاسلاميين وبين الاجابة عن السؤال المروع: كيف حصل هذا ولماذا؟.

وراجت حتب المحن والسجون بين الشباب المسلم تعمق احزائه وتملؤه بنحقد ياتس عميق، وتعزله بعد ذلك كله عن التكفير بعقلانية وواقعية تامة فى وضعه الراهن ومستقبله. وفي هذا الجو الماساوى الحزين، حوصرت الاشارات النقدية المحتشمة التى بدأ يجهر بها الشيخ عمد الغزالى وعمد فتحى عثبان وقلة اخرون، وجمد اغلب الاسلامين على نصوص الشيخ عمد الغزالى وعمد فتحى عثبان وقلة اخرون، وجمد اغلب الاسلامين على نصوص المشكلات الجديدة للواقع الراهن الجديد فى بعض وجوهه هو إيضا ـ ربها كانت مجلة المسلم المعاصر هى المحاولة الأولى للتساؤل عن اسباب ما حدث، ولتحسيس التيار الاسلامي المعاصر هى المحاولة الأولى للتساؤل عن اسباب ما حدث، ولتحسيس لتيار الاسلامي المعاصر عمل المحلوج عليه الأن: ما العمل لتجاوز اخطاء الماضى، كيف يكون الاسلام ولي عمل لاهله في النصف الثاني من القرن العشرين؟ . كيف نتخوط بالاسلام في هموم عمرنا وجيلنا تمديدا، ثم كيف نحول المدف والحياس الى عارسة ايجابية بناءة تتقدم بالواقع على درب الاسلام، بها هو نقد واضافة واسهام وليس محاولة لاستحضار صور تاريخية ماضية قد نتوهم ان علاج مشكلاتنا الراهنة معلق بها؟

هكذاً يصور على الدين عطية آماله التي يعلقها على مجلة المسلم المعاصر في ذلك الوقت فيقول في عددة اللهج.. واريدها علة فيقول في عددة المهج.. واريدها علة متخصصة ليست لكل الناس.. فهي عجلة اسلامية، وليست لكل السلمين.. فهي عجلة السلامية، وليست لكل السلمين.. فهي عجلة التحرك الاسلامي الرائد في كل مكان.. وليست لكل من مجمل بطاقة انتهاء لحركة أو جمعية أو حزب اسلامي.. فهي تخدم فئة واحدة من بين هؤلاء جمعيا.. فئة الباحثين عن الحقائق، لا يعميهم تعصب لانتهاء معين.. فئة الدارسين لاحداثهم واحداث جماعاتهم ماضيها وحاضرها ومستقبلها.. دراسة موضوعية.. لا هرقطة غوغائية.

فشة الناقدين للمناهج، بحثا عن المنهج الذي يواجه صواريخ العصر الموجهة، فثة

الباحثين عن استراتيجية تظلل العمل الاسلامي وتخطط له. . رسالة هذه المجلة عندى ان تجمع العقول وان كتيح لها الحوار في ندوة ممتدة في الزمان والمكان.

وليست مهمَّمهما أنَّ تفكر نيايَّة عن الأخرين، فلن ينفع الدائرين في دوامة النشاط الاسلامي بغير وعي أو تخطيط أن يفكر لهم احد سواهم. .

ورسالة هذه المجلة كها ارى، ان تستنب الافكار عند هؤلاء جميعا، وان تجهد لها التربة، وان تيسر لها روافد الرى الدائم، وان تضمن لها نسمة الهواء وشعاع الشمس، حتى تورق وتشرف على الاثيار.

و أتوقع له العقبات والنكبات . . لكن من يدرى؟ فقد يأتى اليوم الذي يطلبها فيه مئات الآلاف، ويستضىء بفكرها بضعة ملايين، من الذين وضعوا ارواحهم على اكفهم، وحملوا اكفانهم على كواهلهم، وما اقعدهم الا افلاس في الفكر وعقم في التخطيط.

من الذين اتخمتهم الكتب الاسلامية، والصحافة الاسلامية بها يعرفونه وما محفظون، وما

زال السؤال على شفاههم اجل نعلم ذلك ونؤمن به. . ولكن كيف السيل؟ الموال المسؤال القلق يحاصر آلاف ويدا عدد المتسائلين يكبر بعد ذلك شيئا فشيئا وأنبرى السؤال القلق يحاصر آلاف المطمئين الى أن الامور كلها تسير سيرا حسنا، وأولئك الذين لم يجلسوا مرة واحدة ليقوموا ما حصل ، رغم ضخامة ما حصل وفظاعته . . وفي هذا السياق برزت أقلام على صفحات المسلم المعاصر وانتشرت كتابات العلامة الشهيد محمد باقر الصدر وبرز الدكتور حسن الترابي في السودان ، وتتالت مساءلات الدكتور حمد فتحى عثمان ، وظهرت فكرة السلامي ترزيح بين البقاء في الدائرة الاسلامية وبين تجاوزها نهائيا، ثم انتخست الاقلام العلمية في نسب وصلة بالفكر الاسلامي لتقدم الدروس هي الاخرى في النهضة والتجديد والتحديد والتحد والتجديد والتحد والتحديد والتحد والتحدود والتحديد والتحدود والتح

ومن الواضح ان المعركة لم تنته بعد وان الغبار، الكثيف الذي يلفها في بعض الاحيان ما زال يحول دون تمحيص الحق من الباطل، وتجاوز التساؤل الى وضع الاجابات او مشاريع الاجابات.

لكن التدافع الايجابي الذي حصل طيلة هذه المرحلة بدأ يبلور خطوط التقاء بين عدد من الاشخاص والافكار، وبدأ يمهد لبروز مدرسة اسلامية جديدة متميزة في غير انقطاع عن جهد السلف المؤسس للحركة والمحدد لرسالتها.

وكان انتصار الثورة الاسلامية في ايران حدثا تاريخيا عظيها انقذ اجيال الاسلاميين من الركون الى احزائهم ومآسيهم، فقد تأكد اخيرا ان الاسلام قادر على الانتصار وتحطيم اعتمى عروش العلمانية، حتى ولو كانت محمية من طوف النظام الشاهنشاهي المباد في طهران.

لَم تَكُن الأغلبية الساحقة من الاسلامين تعرف شيئا كثيرا عن ايران والاسلام فيها، لقد يتسوا منها كما فعلوا ذلك مع تركيا سابقا، وحتى قبل ستة اشهر من انتصار الثورة لم يكونوا كثيرى العناية بها عدا الاسلاميين في تونس حيث تابعت مجلتهم «المعرفة» اطوار الثورة بتحفز وامل وانتباه. وفوجشت الاكثرية _ مثل العالم كله تقريبا _ بانتصار الثورة، وهيمنة الاسس الاسلامية على تفكير قياداتها وجماهيرها وصمودها المقائدى العجيب امام محاولات التمييع في المداخل وجهود الاستكبار الدولي لمحاصرتها من الخارج.

ويقطع النظر عاقد يكون ارتكب من اخطاء في المراحل التالية، وهو امر طبيعي جدا لاي ثورة، فان نجاح الاسلام في ايران كان نعمة الاهية عظيمة لجيل مهموم شبه يائس، استظل بحديث رسول الله (ص) «بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا، فطوبي للغرباء» لبرر يتم وضياعه واغترابه عن المهات الحقيقية لامتنا وعن التصور الاسلامي الرحب الايجابي والبناء الذي ينخرط بدعاته في اعمق اعماق المعركة الدائرة، في مستوياتها المعرفية والفلسفية والاجتاعة والثقافة والسياسة.

وتنامت الحركة النقدية ويرزت المراكز المتخصصة واسس الشهيد اسياعيل الفاروق في المريكا مع جمع من الحوانه مؤسسة المعهد العالمي للفكر الاسلامي لانجاز مهمة كبرى هي اسلمة المعرفة، ويرزت مجلات اسلامية الحرى تعمل في نفس الاتجاه، وتبلورت خصوصيات الحرى اكثر تميزا لحركة الاسلام في السودان من خلال الاسهامات الجدية المتتالية للدكتور حسن الترابي وبدا واضحا هذه المرة ان العجلة تتحرك فعلا الى الامام، ولا تدور في مكانها كيا خيل الينا في وقت من الاوقات، او كها كان الامر فعلا.

فى خضم هذه المعارك الاستراتيجية المحددة لمستقبل المشروع الاسلامي كان المغرب الاسلامي عند المسلامي يشهد نمو تجربة تحول هم تجديد الاسلام وبلورة المشروع الاسلام وبلورة المشروع الاسلام وبلورة المشروع الاسلام المعاصر من هم نخبوى محدود الى برنامج حركة واسعة محتدة دون ان يعود ذلك بالسلب على طبيعة المهمة المطلوب انجازها مهمة بلورة معالجة اسلامية تنخرط باصحابها فى لحظتهم التاريخية الراهنة وتقيم المعادلة الصائبة بين النظرية والمارسة، وتقطع مع كل اتجاهات العزلة والاغتراب داخل المدرسة الاسلامية، فانها جاء الاسلام ليبنى ويعمر وبيسر للبشر استكمال خصائص انسانيتهم بالمفهوم القرآني للكلمة.

وهكذا هو المغرب الاسلامي دائما فيها يبدد، لا يبرز دوره مع المشارقة بكثير جلبة وضجة وانها بالنوعية المتفردة الممتازة في مختلف المجالات، هكذا كان ابن حزم والشاطبي وسحنون والطاهر بن عاشور في الفقه والتفسير والاصول والعلوم الاسلامية وابن خلدون في فلسفة التاريخ والاجتماع والحصرى وابن خفاجة وابن زيدون والشابي في الشعر، وابن تاشفين وابن توصرت، وعبد الكريم الخطابي وعبد القادر الجزائري في المجاهدات السياسية لتثبيت وحدة دار الاسلام وعزتها،

وهكذا أيضا وفي نفس السياق، تندرج التجربة الاسلامية الفتية والمتميزة في نقطة اللقاء التاريخي بين المشرق والمغرب: افريقية سابقا، تونس حاليا...

48 49 40 40

عندما عاد الاستاذ راشد الغنوشي الى تونس في أواخر الستينات حاملا شهادته الجامعية في الفلسفة من سوريا، وبعض الذكريات والملاحظات من مشاهداته في باريس حيث اقام نحو عام تقريبا، كانت تونس قد انقطعت أو تكاد عن كل معالم اسلاميتها.

فقد استطاع الحكم القائم فيها منذ ١٩٥٦ ان ينجز الكثير على درب العلمنة واللحاق بالنموذج الغربي في الضفة الآخري للمح الابيض المتوسط.

اغلقت الجامعه الزيترنية في ١٩٥٧ لينقطع النبع الموثوق الوحيد للعلوم الاسلامية، وفتحت الجامعة التونسية ابوابها في ١٩٥٧ لتستيعد الاسلام نهائيا من دائرة البحث العلمي المتخصص، وتردد القائمون بأمرها كثيرا في موضوع كلية الشريعة واصول الدين، هل يجعلونها قسيا للاهوت ملحقا بكلية الاداب ام يجعلونها مؤسسة قائمة بذاتها واستقر الامر على الخيار الثاني رحمة من الله.

وفى التعلّيم الثانوني، انحصرت علاقة التلميذ بالاسلام فى حصة يتيمة بساعة واحدة خلال اسبوع تسمى حصة التربية الدينية وبضارب تافه، فغدت فرصة دورية للضحك والراحة والسخرية من الاستاذ احيانا اكثر من كونها حصة لتعليم الاسلام.

وعلى الصعيد النشاق العام داخس المجتمع، كرس الأعلام وكل وسائل الاتصال المجاهدين نسقا قيميا جديدا للحياة، يقوم على مفهوم عام يحكم عمل الدولة كلها هو الجاهدين نسقا قيميا جديدا للحياة، يقوم على مفهوم عام يحكم عمل الدولة كلها هو المحاق بركب الامم المتقدمة ويتمثل بعد ذلك في اسس للحياة اليوبية في مختلف مجالاتها، بحيث يعمل كل فرد في المجتمع على المساهمة في تحقيق الازدهار والرفاهية وضيان فرصة الحياة بالمعنى المادي المحدود للكلمة.

وحول الضمير الشعبي هذه المفاهيم الى قواعد شعبية اكثر وضوحا فراجت امثلة شعبية مشهورة متداولة يحتكم اليها الناس ويزنون بها اعهالهم، مثل: فراعك يا علاف (بمعنى: افتك نصيبك في الحياة وابذل ما في وسعك لاجله) وكل شاه معلقة من كراعها (بمعنى: كل انسان مسؤول عن نفسه فقط) وأخطى رأسى واضرب (بمعنى: ما دمت انا بخير، فليذهب العالم الى الجحيم) والكف ما يعاند الإشفى (بمعنى: المواطن لا يستطيع مجابة الحكومة لانبا أقوى منه).

وعلى خلاف ما حصل فى دول عربية اخرى حيث سيطرت انظمة عسكرية ليست لها غير شرعية القبوة ، كان الحكم فى تونس يستند الى شرعية تاريخية طويلة ، نضائية بمعنى من المعانى ، فالحزب الحاكم هو اهم احزاب الحركة الوطنية قبل ١٩٥٦ ورئيسه ظل يقدم نفسه كرمز اول لكفاح تونس من ١٩٣٤ . وهو بالاضافة الى ذلك رجل قانون وخريج باريس وصاحب خبرة سياسية ، وليس مجود ضابط صغير مفامر.

انعكس كُل هذا في مدى الفرر الذي لحق بنية المجتمع النونسي وبسقه القيمي، فقد تراجعت فعلا في الضمير الجمعي للشعب كل المعاني الاسلامية الاساسية للمسؤولية تراجعت فعلا في الضمير الجمعي للشعب كل المعاني الاسلامية الاساسية للمسؤولية والاخوة والجنزاء والعقاب ومراقبة الله وادت تجربة بن صالح الاشتراكية الاولى خلال الستينات الى ان ينفض اهل الريف ايديهم من الفلاحة والزراعة ويتجهوا نحو المدن ليشكلوا شعب الاحياء القصديرية هناك حيث يسيطر هم الخيز على كل شيء، وتضمحل معاني الشرف والعفة والاخلاق.

وكان ذلك معرا الى تغلغل قيم الانتهازية والنفاق في كل مستويات الشعب من القمة الى القاعدة، وتحلب المسؤولين وبرامج القاعدة، وتحلب المسؤولين وبرامج الاذاعة والتلفزيون، كها تم برضا المعارضة في ذلك الوقت بل وبمساهمتها في التنفيذ.

كان اليسار هو عور المعارضة وقتئذ، فقد حل الحزب الشيوعي في ١٩٦٣ وتحول الى العمل السرى، واحتضنت الحركة الطلابية نشأة الفصائل اليسارية الجديدة المتأثرة بالماوية الصاعدة في الصين أو تحولات خروتشوف في موسكو، وكانت الكوادر اليسارية متواجدة في كل مرافق الدولة، وخاصة في التعليم والاعلام، فاعتبروا انفسهم اصحاب مصلحة في التخريب العلماني للمجتمع لانه مرحلة ضرورية لقيام المجتمع الشيوعي، فايدوه وكانوا إبرز من نفذه في المداوس والمعاهد والجامعات ومراكز الثقافة ووسائل الاعلام.

صحيح انهم كانوا فى خلاف مع النظام حول ولاءاته السياسية الاجنبية، وانهم كانوا يجبون موسكو وبيكين اكثر من باريس وواشنطن ولكنهم كانوا يطلقون شعار لينين: خطوة الى الوراء، خطوتان الى الامام.

وفي اواخر الستينات وأوائل السبعينات كان بامكانهم ان يمزقوا المصاحف علنا، ويدرسوا الالحاد جهرا دون ادني شعور بالخوف أو الحرج.

وفي مستوى اخر، بدأ التنظير الثقافي لفصل تونس عن محيطها العربي الاسلامي وابراز نوع آخر من الانتهاء الثقافي بالفشفة نوع آخر من الانتهاء الثقافي بالفشفة الفغريية للمتوسط، هناك حيث انوار باريس وعقلانيتها وعليانيتها، واعيد الاعتبار لمراحل تاريخية وثنية متخلفة من تاريخ تونس بينها اختزلت المرحلة الاسلامية وشوهت احيانا كثيرة لكن هذا الجهد ـ على ضخامت ـ لم يحقق اهدافه المرجوة، فتونس لم تتحول الى باريس، وانها وقف في وسعط الطريق، اضاعت معلم الوصول الى الغرب، وتزاهت الامواج في طريق عودتها الى الشرق امرها يشجه امر الطيب صالح في موسم الهجرة الى الشيال يكاد يغرق في النهر ولا يجد الى الشرق ولا الى الغرب طريقا.

أو هو على الـطريقة التونسية مصير ابي هريرة بطل المسعدى أول مسؤول عن علمنة الـبرامـج التعليمية فى تونس، اصابه العمى، وأضاع الجهات الست، كثير الغبار، فانى العصا، ضلت عليه القبلة وعاد لا يطلب شرقا ولا غربا واختفى على سطح جبل لم تبق الا

قطرات من دمه.

كذلك كان المشروع الرسمى في تونس، وكانت نهاية التجربة الاشتراكية الاولى اول مؤشرات الفشرات التجربة العلمانية تهرز تباعا: فشل وعود التنمية والازدهار، انسداد الأفاق امام الاجيال الجديدة، تزايد معدلات الجريمة، ارتفاع نسبة البطالة، ثم وهذا هو الاهم والابرز، بدء تجلى الوعد الرباني القاطع بحفظ الاسلام وبروز الحركة الاسلامية في تونس.

في سوريا قطع الاستاذ راشد الغنوشي مع ولاءات القومية التي كان يحملها مثل اغلب ابناء جيله في دلك الوقت وتعرف الى الحركة الاسلامية في سوريا وكانت طريقة الى الغوص في رحاب الفكرة الاسلامية العظيمة، كها ان تخصصه في الفلسفة الاسلامية القلّمه من السقوط في الترديد والتقليد وجعل عقله حاضما في كل مراحل تطوره الذهني والفكري.

ولقد تمكن بفضل هذين الرآفدين .. الحركة والفلسفة .. أن يجمع الى تجربته الاسلامية الحركية خصائص العقلانية ومداومة النظر والتقويم، وكان ذلك شرطا ضروريا للتعامل مع مجتمع غرب، وسع نخبة مغترية أدارت ظهرها كليا للاسلام، واعلنت الحادها جهرا، وتسلطت على وسائل التأثير والتوجيه واحتكرتها لنفسها دون منازع.

وربها كان هذا هو السبب الذي جعل الباحث التونسي عبد آلباقي الهرماسي استاذ علم الاجتماع بجامعة تونس يصنف راشد الغنوشي مع كبار مفكري الاسلام سابقا وحاضرا، فقد ادرك هذه الخاصية المهمة في الرجل وما اقل ما اجتمع الفكر والعمل في قيادات العمل الاسلامي، في هذه المرحلة، وهكذا وعلى نحو من اسلوب الشهيد العلاقة باقر الصدر أو اللاكتور حسن الترابي، بدأ الاستاذ راشد الغنوشي محاولاته لبعث التيار الاسلامي المتحفز للاستقلال والوحدة.

كانت الظروّف كلها تدعو الى اليّاس والاحباط، وماذ يستطيع ان يفعل استادّ معمور في احد معاهد محافظات تونس الداخلية؟

كانت العناية الألهية حاضرة، فسرعان ما تكونت الخلية الأولى لمجموعة من والاخوة على التعاون على ذكر الله والدعوة الى الاسلام وكان ذلك حوالى سنة ١٩٦٩. عجموعة من الشباب كلهم، فراشد نفسه، اكرهم، لم يكن يبلغ فى ذلك الرقت الثلاثين من العصر. وكنان معه صالح ابن عبد الله وصالح كركر وحميدة النيفر والفاضل البلدى، والماشمى الحمدى، والشيخ عبد الفتاح مرو والحبيب المكنى وعلى نوير واخرون نجمع بينهم والماشمى الحمدى، الله والحمية للاسلام والرفض لما اصاب البلاد من افساد وتخريب، الرعبة فى التقرب الى الله والحمية للاسلام والرفض لما اصاب البلاد من افساد وتخريب، وكان معهم من الجيل الزيتوني الاسبق خاصة الشيخان محمد الصالح والنفر وعبد القادر

وبدنات المسيرة المباركة بالدخول في جمعيات المحافظة على القرآن الكريم. وقد كانت اوعية رسمية بجمدة فنشطت وتحركت فانتبهت السلطة فطردتهم منها. وبلخأ الاستاذ راشد واخوانه الى المساجد يحدثون الناس عن الاسلام وما كان فيها عندتذ الا عجوز مدنف على حد تعبير راشد نفسه، ثم اتسع الاهتهام الى الجامعة وكان الشيخ عبد الفتاح وقتئذ طالبا فى كلية الحقوق، يدخل قاعة الدرس باللباس التونسي التقليدي الذي كان يرتدبه العلماء متحديا المناخ المستغرب المهيمن على الجامعة عموما، وفي كلية الحقوق بصفة اخص.

وسرعان ما تشكلت الخلية الاولى في الجامعة واستغل الاستاذ راشد هذه الفرصة ليؤسس مع اخوانه اكبر واصلب قاعدة للعمل الاسلامي في تونس قاعدة الجامعة.

كان هناك مسجد واحد فقط في احدى داخليات الطلاب بالعاصمة، اضطرت الادارة

لتفريغه لطلاب اتراك مسلمين كانوا قد طالبوا بمصلى، فاخليت لهم غرفة صغيرة من غرف الداخلية سميت مسجدا.

وفي سنوات ثلاث، عمت المساجد في كل الاحياء تقريبا، وفي ١٩٧٧ اصدر الطلاب الاسلاميون اول بيان رسمي لهم: لقد بدأ الجهد يشمر.

كانت مجلة (المعرفة) عند تذ صوت هذه المجموعة ، وكان يكتب فيها عدد منهم ، يتحدث راشد عن حضارة الغرب، وبرامج الضياع في مادة الفلسفة ويفسر الشيخ عبد الفتاح ما تيسر

من القرآن الكريم ليتيسر مادة الدعوة للأعضاء النشطين في الحركة.

ومنذ ذلك الوقت المبكر نسبيا، بدأت تبرز ملامح تفكير الاستاذ راشد الغنوشي فقد دعا الى امتىلاك الشعور بالتميز والاستقىلال كشرط للتعامل مع الحضارة العربية، واكد ان الاسلام وحده هو القاعدة التي ينبغي ان تقوم عليها هذه الندية وهذا التفرد، ثم هاجم في مرات متكررة برامج الفلسفة التي كانت تدرس لطلاب الاقسام النهائية في الثانويات، وقال اننا لا يمكن ان نتعرف على ركام من المدارس والاتجاهات الفلسفية دون ميزان نحاكمم اليه هذه التوجهات والنظريات ونساهم بذلك في تخريج جيل واثق من نفسه مدرك لمسؤولياته مستعد لتحملها.

ثم بدأت مجلة المعرفة تفسح مجال الحوار لتقييم الحركة الاسلامية في المشرق وبرزت أراء تدعو الى عدم السقوط في نسخ التجارب دون تقدير لخصوصيات الواقع، واكد الاستاذ راشد على ضرورة الالتزام بآداب النقاش والحوار، حتى يكون التقويم اضآفة واسهاما في الترشيد والبناء. وبدأ التفكير الاجتماعي يبرز في كتابات الغنوشي مع احتداد المسألة الاجتماعية في تونس وانتفاض العال ضد الحكومة في ٢٦ يناير ١٩٧٨، فانصرف قليلا الى البحث في مسائل العمل والملكية الزراعية في التصور الاسلامي، وقدم اول مادة جدية للنقاش حول هذه الماحث في ندوة (مسجد صاحب الطابع) حيث دعا ألى اعتبار الملكية ملكية انتفاع ووظفة لان المالك الاول هو الله سبحانه وتعالى _ ومن هذا المفهوم تتعامل الدول الاسلامية مع ثرواها لانها هي المستخلفة في الارض ـ على اساس توظيف كل المقدرات لصالح الامة، فهي اذن مدعوة للاختيار وايجاد المعادلة بين الملكية الخاصة والملكية العامة، وملكية الدولة بناء على شوري السلمين واجتهاد علماتهم.

وهاجم الأستاذ راشد الغنوشي التغريب ودعاته وأبرز أن القمع الذي ووجهت به حركة العمال في تونس، وكمل التحركات الشعبية في البلدان الاسلاميَّة، إنها هو نتيجة طبيعية لسياسات التغريب السائدة والمطبقة ، بل إنه نتيجة حتمية لها . فها دام التغريب محاولة لقطع الشعب عن جذوره، فإن سنده الوحيد المكن هو القوة، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار فشا, كل المحاولات التنموية التي خطط لها وأشرف عليها دعاة التغريب ورجاله.

ومع وصول أخبار الكفاح الاسلامي ضد الشاه في إيران منذ أواخر ١٩٧٨، خصص الغنوشي عدة مقالات للتعريف بالحركة الاسلامية في إيران والدفاع عنها واحتلت اخبارها وصور زعمائها غلاف المجلة قبل ان تكتب عنها أي مجلة إسلامية، وقرن الاستاذ راشد في مقال له عقب انتهاء الثورة بين ثلاث شخصيات أعتبرها رموز القرن للعمل الاسلامي، وهم الامام الشهيد حسن البنا، والعلامة المودودي، والامام الخميني.

وخلال مشاركته في الموسم الثقافي لاتحاد الطلاب بجامعة الحرطوم في صائفة ١٩٧٩م، الموسستاذ رائسد تصوراً ناضجاً لانجازات الحركة الاسلامية وعوائقها وأكد أن غياب الاستراتيجية الواضحة والتخطيط السليم وإنعدام الرؤى التقويمية والركون الى التقليد سواء كان ذلك في مضمون المشروع الاسلامي أو في وسائل تنفيذه، كل ذلك سيحول بين الاسلامين وبين أهدافهم المنشوفة، الأمر الذي يحتم عملية تحديثية شاملة مضمونها مراجعة لمشروعنا واستراتيجيتنا الراهنة ولأساليب عملنا المتبعة.

ودعا الأستاذ راشد الأسلامين الى الاستفادة من تجربة الأخوان فى مصر دون التقيد بها أو الوقوف عندها، ونادى بضرورة إيجاد الارتباط التام بين الدعوة الاسلامية وبين مطالب الشعب وطموحاته فى الاستقلال والحرية والوحدة.

安保备

فى ١٩٨١م كانت حركة الاتجاه الاسلامي قد غدت معطى سياسياً وثقافياً اصيلاً وواقعياً في الساحة التونسية _ كان شيئاً أشبه بالحلم، فقبل عشر سنوات كان الهرماسي " يقدر ان تونس قد انتهت عن ان تكون مرشخة لأى رياح اسلامية كتلك التي هبت في المشرق.

الذين كانوا يتفاخرون بمعاداة الإسلام، عادوا فاصبحوا يزايدون على الحركة الاسلامية بدفاعهم التاريخي المجيد عن الاسلام.

الذين دعوا الى افطار رمضان وسخروا من عصا موسى تسارعوا الى اعلان الاحصائيات بعدد المساجد التي بنوها ونشر الخطب التاريخية المدبجة بآيات القرآن واحاديث الرسول . . الجامعة التي كانت قلعة حصينة للفكر الماركسي المفلس اصبحت الارض الحصبة للفكرة الاسلامية والمعاهد الثانوية التي كانت مشغولة باللهو والموسيقي الرسمية اصبحت تكبر الله وتسجد له في كل الساحات .

الاحزاب التي كانت لا تتكلم عن الاسلاميين الا بالرجعية والتطرف والانفلاق جاءت وحلست مع الحركة حول ماثدة واحدة.

وقبل ذلك، ويعده، الشعب الذى كان واقفا وسط النهر، لا يدرك الغرب ولا الشرق وجد خشبة النجاة تمتد له من داخله من جزء فيه كان مغمورا ببعض الرماد نفخت فيه الرياح فاستعاد حيويته، وتدافع نحو الاسلام بكل فئاته، العمال والبورجوازية الصغرى والكبرى والكبرى والمقاوب، كانت معالم الانقلاب الكبر تنضح شيئا فشيئا، وبدأت الدوائر الدولية الكبرى تحذر وتنبه، فتقرر ان توجه ضربة وقائية للحركة الاسلامية في صائفة ١٩٨١، حوكم بمقضاها مائة ويضعة أشخاص، وصلت احكامهم مجتمعة الى خسة قرون سجنا، كان نصب الاستاذ راشد منها عشر سنوات.

غير ان ما حدث قبل الاعتقالات بشهر واحد كان حدثا فريدا بالغ الاهمية. فقد اعلنت الحركة على لسان رئيسها عن تكوين مكتب تنفيذي علني وتقديم مطلب رسمي للحصول على تأشرة للعمل كحزب سياسي شرعي.

وكان قد سبق ذلك نقاش نظرى وسياسى عميق حول هذه الخطوة انتهى الى اقرارها وكان الاعلان فرصة لتقدم الحركة الاسلامية نفسها طوفا فى البلاد لا يدعى كهانة ولا وصاية ولا يزايد بشعارات الحرية والديمقراطية وانها يعتقد بحقه ونصيبه الشرعى فى النشاط السياسى يزايد بشعارات الحرية، وبلورة مشروعه، مع احترام حق الاطراف الاخرى فى المعمل. لاول مرة فى تونس على الاقلى، يرتبط الاسلام أو المشروع الاسلامي بقضية الحرية السياسية ارتباطا وثيقا، فلا يمكن حسب الاستاذ راشد ان نتخلى عن واجبنا فى الدفاع عن الحرية، لان الكفاح من اجلها هو من جوهر الكفاح من اجلى الاسلام، وإذا ما تجاهلت الحرية الاسلامية هذه القضية أو زايدت بها عن قصد فانه السقوط الرهيب كها صرح بذلك لمجلة المجتمع الكويتية.

ان المواطن العربى المسلم ظل يعاني من القهر قرونا طوالا، ومهمتنا تحتم الا نكون جزءا من القهر السائد، والا نستبدل وصاية بوصاية، وإن ننفض الغبار عن الارادة الحرة التي اودعها الله خلقه ونعرض لها الاسلام كما نفهمه لتختار هي طريقها عن حرية ومسؤولية واقتناء.

وكانت المناسبة ايضا فرصة للمصارحة التاريخية المسؤولة، فقد قال الاستاذ راشد ان بلورة مشروع اسلامي معاصر مهمة لم يكتمل انجازها بعد، وإن الحركة تحاول ان توفر اطارا يعين على انجازها بالتفاعل مع اسهامات الاسلاميين وكل المعنيين بالهم الاسلامي في كل انحاء الدنيا.

أن الاسس الجوهرية واضحة ما في ذلك شك، لكن ثمة عملية تجديدية كبرى ينبغى ان تتم لنصل الى معالجة اسلامية معاصرة تستوعب مكاسب البشرية وتضع ها مكانها في نسق جديد يضيف للانسانية جمعاء، وفي مستوى ادنى، ينهى هذا الفصام النكد بين الامة ورسالتها، وبين الواقع والطموحات، بين الخياس والعمل الايجابي البناء.

ثم دخل الاستاذ راشد السَجن ليعزل في زنزانة انفرادية داخل واحد من أسوأ سجون الدنيا.

لكنه لم ينقطع عن العالم، ولم يركن الى الاحزان، فمن داخل السجن كتب عن المثالية والواقعية فى الفكر الاسلامي. وحرض الاسلاميين على ابراز نموذج متميز لمساهمة المرأة فى التغيير، ودعاهم الى الاقبال على الفنون والتعبير عن جمالية الفكرة الاسلامية فى شتى وجوه الحياة بمختلف الوان التعبير الفنى، وعاد فأكد اهمية المسألة الاجتهاعية فى برنامج الحركة الاسلامية مبرزا دور العمال كقوة اجتماعية مهمة فى التغيير واهمية ان يكون الاسلام تعبيرهم الاكمل عن طموحاتهم وتطلعاتهم.

ومن داخل ألسجن أيضا، تُطلع الى فلسطين، وعلق على الغزو الصهيوني للبنان فى ١٩٨٢ وقيم تجربة منظمة التحرير الفلسطينية ومشروع فاس للسلام. ودعا الاسلاميين الى ان يعتبروا تحرير فلسطين مهمتهم المركزية تلتقى عليها برامجهم وتضاء خلافاتهم، ودعا الفلسطينيين الى الكف عن التهويم فى الافاق واللعب على المتخصات الحكومات للمراهنة بدلا من ذلك على الحركات الاسلامية اللورية، مما سيشكل نواة لانقلاب هائل فى المنطقة. ومن داخل السجن ايضا كتب عن العروبة والاسلام، وحذر من نقل خلافات المشرق الى المغرب حيث لا تقابل بين العروبة والاسوام، وكل يجبل على الآخر بداهة، وحاولي تمحيص الادبيات الاسلامية فى هذا الموضوع عما شابها من ردود المعالى على عمارسات الانطفى المعامل الوطنى والقومى للتقدم فى انجاز مهمة الوحدة الاسلامية الاوسع والاشعل.

وعندما غضب الشعب في يناير ١٩٨٤ على الزيادة في اسعار الخبز وخرج الى الشارع في حدة وغضب كتب من داخل السجن ينبه المناضلين الشباب الى فكرة طالما كررها مرارا قبل اعتقاله . لا تحتقروا الجاهر، لا تكثروا اتهامها بالعجز والنفاق والحنوف ، فانها هذا سبيل الفاشلين لتبرير عجزهم وقعودهم . . ولكن اعملوا وسط الناس واصبروا وصابروا واشرحوا لكل فرد علاقة الرغيف بالفكرة ، وكونوا اول الصفوف المدافعة عن الرغيف، وعن الاجر، وعن الحرية ، وعندئذ ستنزاح الغشاوة شيئا فشيئا، وسينحاز الشعب كله للاسلام . .

وعلى صعيد آخر اسهم الاستاذ راشد مع الخوانه داخل السجن وخارجه في الجراء اوسع عملية تقويم ونقد ذاتي تقوم بها حركة اسلامية خلال هذه المرحلة .

فقد صَدَّرُ قَرار تاريخي فريد يجعل المهمة المركزية للحركة طيلة السنوات الثلاث التي تلت الاعتقال، مهمة تقويم التجربة التاريخية للحركة في تفاعلها مع كل معطيات الواقع وروافد التأثير، محليا وعالميا.

وتقرر ان يصحب عملية التقويم انجاز دراسات علمية معمقة عن الواقع الذي تتحرك فيه الحركة، عن الاقتصاد، والتركيبة الاجتهاعية، والنقابات، والاحزاب، والوضع الثقافي. كها تفرغ أخرون من ذوى الاختصاص للعودة الى النصوص الشرعية بحاولون انهاء المقابلة

كما تفرغ اخرون من دوى الاختصاص للعودة الى النصوص الشرعية يحاولون انهاء المقابا التاريخية العلمإنية الجائرة، النقل أو العقل، النص أو الواقع، التراث أو المعاصرة.

اننا نسمى خيارا كهذا قرارا تاريخياً فريدا، لاننا نعلم انه في انحاء كثيرة لا يتفرغ الاسلاميون لاى تقويم جاد، بل انه في مصر ذاتها لم نسمع ولم نقراً الى حد الآن نصا يقول اخطا الامام الشهيد في تلك المسألة، واقلم مسيى أو التلمساني عليهم رحمة الله جميعاً.

واني لحركة ترى ماضيها كله صوابا ان تتجاوزه وتتخطاه الى الافضل.

ولم تقف الحركة ابان إجراء هذا التقويم الشامل الموسع بل واصلت عملها رغم وطأة ضربات البوليس والمخابرات واتى كفاح السنوات الاولى أكله، فقد برز رجال الصف الثانى وتحملوا مسؤولياتهم كاملة، وحفظوا كيان الحركة بل وتقدموا بعملها اشواطا الى الامام.

وتحت قيادة الاستاذ المهندس حمادى الجبالى، تقدمت الحركة فى انجاز تقويمها، ووطدت وجودها فى الجامعة وثبتته رغم الضربات المتلاحقة، واصبح الاسلاميون جزء لا يتجزأ من المتركيبة النقابية فى تونس، وفرضت الحركة نفسها فى وسائل الاعلام المحلية والعالمية، واعطت الانطباع لكل مراقب بانها جهة مسؤولة تفى بالتزاماتها، وتنمسك بمطالبها، لم تتشنج مرة واحدة للتورط فى ردود افعال غير مسؤولة . ولم تتنازل مرة واحدة عن حقها فى العمل الشرعى والقانونى ولم تتخل عن التنسيق مع المعارضة الوطنية الاخرى لتكوين جبهة ديمقراطية واسعة تحد من تفول السلطة وعدوانها على الحريات.

وهكذا فشلت كل المخططات لمحاصرتها وعزلها.. كل الاحزاب والتنظيات بمختلف الوانها السياسية، استنكرت الاعتقالات والمحاكمات، بها في ذلك الشيوعيون ونقابات العمال وهيئات المحامين والكتاب.. المنظهات الدولية تدخلت ومنظمة العفو الدولية تبنت ملف الحكة.

وفى ساحات المجاهدة السياسية، كان الاسلاميون يعملون فى الجامعة فوسخوا ميثاقا لارساء مناخ الحرية والديمقراطية، يسمح للطلاب بالتفاعل فيها بينهم بايجابية ومسؤولية، وقدموا مشروعا عمليا لحل الازمة النقابية المستحكمة هناك وبناء اتحاد ديمقراطي ممثل للطلاب.

وعندما اعتقل البوليس القيادات الطلابية، لم يسقط المشروع، وانها تأجل قليلا، الى حين خروج المساجين الله ين اشرفوا بانفسهم مرة اخرى على اتمام اكبر انجاز للحركة الطلابية التونسية في هذه الحقبة، انعقاد المؤتمر العام الديمقراطي الذي تمخض عنه تأسيس الاتحاد العام التونسي للطلبة. . وفي المجال النقابي، ارتقى الاسلاميون بسرعة الى حيث ينبغي ان يكونوا، الى قيادة الاتحادات العمالية في كثير من المناطق، مجسدين التحام المشروع الاسلامي بآمال المستضعفين وهمومهم وتطلعاتهم.

وعلى صعيد آخر صمدات المرأة السلمة في عزة واباء. ورغم ان الحكومة منعت ارتداء الحجاب في المدارس فان الجامعات غصت بالمتحجبات عن ادراك واقتناع، وفي وسط علماني متعفن، يغدو الحجاب هوية، ووثيقة ميلاد للمرأة الانسان المسؤول بديلا عن المتاع ومادة الشهوة التي افرزتها التج به العلمانية.

وهُكذاً شَقَت الحركة طريقها تحقيقاً لوعد الله رغم المحن والآلام واستثمرت الضرب والمحاكهات لتثبيت وجودها وتأكيد شرعيتها، فلم تجد السلطة بدا من أن توقف هذا النزيف، واعلنت الافراج عن المعتقلين في صائفة ١٩٨٤م.

Also also also

عندما خرج الاستاذ راشد من السجن وجد عود الحركة اشد واصلب، وكلف بقيادة المسيرة من جديد، فتولاها مسنودا بعشرات المناضلين المتمرسين.

وبدأ كفاحه الذى لم ينقطع فى جبهات عديدة. . جبهة عقائدية فكرية تؤسس قواعد المشروع الاسلامى فى نفوس اهله والمتعاطفين معه على اساس التسليم للوحى وبمارسة الشورى.

فيا كان فيه نص شرعى قاطع، قلنا سمعنا واطعنا وما ترك لنا جعلناه شورى، يدلى فيه المجتهدون بدلوهم ويتداول الناس فيه الرأى والحجة، ثم يختارون لانفسهم. وهاتان الركيزتان هما اس المشروع الاسلامي الواعد الذي نريد تقديمه للناس، نظرية في المعرفة، ومنهجا فى العلوم الانسانية ، وتناولا منفردا فى الادب والفنون وطريقا الى طرد بقايا الاستعار وانجاز التحرر الشامل على كل المستويات . . ولان المشروع ذو طبيعة عالمية فان الاستاذ رائسد يحض على دراسة كل انجازات المدرسة الاسلامية المعاصرة ، كتابات الاخوان ، مؤلفات العلامة الشهيد باقر الصدر ، رسائل الدكتور حسن الترابي تجربة النورة الاسلامية فى ايران ، وفى نفس الوقت لابد من متابعة تنظيرات العلمانية المتراجعة ومحاصرتها وإبطال حجتها .

فاذا التزمنا في هذا الجهد كله قاعدة «الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه» انجزنا بعون الله ما نريد.

واعتنى الاستاذ راشد ايضا بالمسألة التربوية، ودعا المناضلين الاسلاميين الى ان يتذكروا دائها ان الاسلام لم يأت لينافس الدعوات الاخرى فيها هو قريب عاجل، وانها جاء ليعطى لحياة الناس معنى اسمى مما هو فى الارض، انه جاء ليهمىء البشرية لحياة الخلود فى النعيم الابدى، فلنحذر من ان تستدرجنا الجاهلية الى التخلى عن هدفنا البعيد ومنهجنا القويم فنستبدل بحبل الله المتين بيوت العنكبوت.

انس جاء الاسلام، والتعبير للاستاذ راشد دائم)، ليعطى حياة الناس معنى وهدفا، فيجعلها مرحلة اعداد، مرحلة زرع للحصاد في الآخرة، فينذرهم ويبشرهم، ينذرهم بالعذاب الابدى ان هم حادوا عن منهج الله ونظروا الى حياتهم على انها دار متعة، ويبشرهم بسعادة الآخرة ان هم جعلوا العمل للآخرة نصب اعيتهم.

وعندما تتجه القلوب الى الله، وتتوق ألى لقائه وتفزع من عذابه، يأخذ الاسلام بايدى الناس في هذه الحياة فيحول مشكلاتهم القريبة، بل ان العمل للآخرة، الهدف البعيد، مجعل الاهداف القرية «الدنيا» تجد حلها التلقائي في الطريق. . وهكذا يتقدم المشروع المتفرد الكبير في تونس نحو اهدافه بثبات وثقة.

فهم التجديد وبناء المشروع الحضارى الاسلامي يتسع الى دوائر كثيرة فى الحركة يحمله المتقفون والطلاب فى مواقع مختلفة وكل يسهم فى انجازه بنصيب.

والنقويم الذي رصدت له الطاقات انجز، والحركة تحس انها اكثر قدرة على التعامل الذي المتعامل المسؤول، اخذا وعطاء. والاستقامة على حدود الله وكتابه شغل شاغل للجميع لا يختص به المنقهون في العلوم الشرعية.. وكل هذا يهىء القاعدة للمحمة نضالية وأعدة وميشرة أن شاء الله.

音樂章

فاذا اقتربنا بعد هذا كله قربا اشد الى شخصية الاستاذ راشد الغنوشى، وجدنا يقينا ما يضربنا بالتقدم، وكيفها جلست اليه، منفردا او مع جمع من الناس، لا يتكلم الرجل الا مستحضرا قواعد معينة فى التفكير. . فاذا تحدث عن ازمة اتحاد الشغل فى تونس عاد الى تاريخ النضال النقابى، وسنن الحركات، الجماهيرية، ودرجة تطور الحس النضالي داخل الشعب، واثر التدخلات الخارجية والاقليمية فى المشكلة، ودور الاسلام فى الحل والمعالجة واذا سألته فتاة عن شأن نسوى خاص، شرح لها مفهوما اشمل واكمل تتخذ فيه المسألة الجزئية موقعا أكثر وضوحا، فحدتها عن المسؤولية الانسائية، ومغزى الحجاب، ودور المرأة

في معارك الامة.

فاذا تحدث النباس عن ازمة مع دولة شقيقة مجاورة حلل طبيعة المعسكرات واتجاهات المحاور الاقليمية التابعة وانعكاساتها المباشرة على العلاقات بين الانظمة والحكومات، قبل ان يصل إلى الموقف المطلوب من المسألة الراهنة.

اريد أن أقول من هذه الامثلة، أن الرجل ليس موظفا محترفا في ادارة التنظيبات ومتابعة اعهاها بخبرة التجربة، وإنها يملك شيئا خاصا، قدرة متميزة، تضفى على كل مساهماته نكهة متفردة، وتفتح لمن حوله افاقا ارحب وأوسع وتلفت النظر الى مسائل ما يظن الفرد العادى إنها يمكن أن تترقب عن المسألة المطروحة أول الامر.

أمر شبيه تقريباً بالدكتور الترابي عندما تخطب، فالخطابة في ندوة سياسية تعالج مشكلة ظرفية لا تسمح بخصوصيات بارزة للخطاب السياسي، لكن الترابي لا يسقط في المباشرة والاسفاف والتهريج. فاذا تحدث عن الجمعية التأسيسية دخلها من باب الشوري كنظام للفرد والاسرة والمجتمع قبل أن يكون نظاما للحكم السياسي.

واذا تحدث عن مشكلة الجنوب، دخلها من باب تدافع حركة الحق في مواجهة الباطل، وربط العارض بالثابت، والحديث بالقديم، حتى تشك فيها اذا كان بجاضر في جامعة أو يخطب في جمهور.

واذا ما تحدث عن الجملة الانتخابية، ترفع عن السباب، والمهاترة، واعطى المعركة موقعها الطبيعى وفتح صفحة الصراع التاريخي بين التوحيد والشرك من لدن نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام حتى آخر معارك الحق زمن الخطاب.

وما اشد حاجتما اليوم الى هذه النياذج، فلطالما عانى العمل الاسلامى من تسلط الادارين على مواقع الترجيه فتحولت حركة الاسلام على ايديهم الى شكل هندسى يحصر الطاقات ويكبل الامكانيات المتاحة عن الانطلاق، لان مادة الهندسة هنا ليست الحجارة ولا المعادن، وإنها هم بشر فوو احاسيس وقناعات وطموحات.

ما اشد حَاجِتُنا اليَّوْمِ الَى هذه النَّهَاذِج، فالتيارُ الاَسْلامى الواسع يتخذ مراجعه ونهاذجه فى اغلب الاحيان فى ظروف غير طبيعية، فيخطىء الاختيار، اما بالعودة الى الماضى أو بالركون الى رموز التقليد والاجترار.

وَنَحْنَ اليومَ فَى امْسُ الْحَاجِة الى من يغرس فينا هم التجديد والابداع، ويرتاد بنا آفاقا جديدة فى رحاب الله والتاريخ والمستقبل، ويفجر فينا كل قابليات الحير والحق والحب والجهاد.

وبعض اوجه المأساة ان قطاعات واسعة من شباب الاسلام في اوربا، وبعض نواحى المشرق قد احيط بها، اذا سمعت نداء التجديد جفلت وهربت واذا كتب في الاسلام بها لم تعهده تناصرت على محاربة الكتاب، واذا قيل في تاريخ الحركة الاسلامية بعض النقد جعلوا اصابعهم في أذانهم وولوا مصرين، انها ـ اللهم فاشهد ـ عن حماسة وحسن نية.

ما اشد حاجتنا اليوم الى هذه النهاذج، فلقد توقفت قليلا اسهامات المشارقة، وثمة في

الساحة فراغ كبير، اما ان تملأه الافكار اليائسة المتطرفة، او التصورات التقليدية التي لم تتقسده قيد انملة مننذ استشهاد الامام البنا، او ان يبرز اعلام جدد، يهدمون في الناس اطمئنانهم الزائف الى حسن احوالهم، وصواب طريفهم ويدفعونهم الى الوان من المجاهدة الفكرية والفلسفية عظيمة، والى مساحات من العمل السياسي والاجتماعي واسعة ورحبة، والى طرق واساليب للعمل والتحرك جديدة وطريفة.

كل ذلك في تواصل مع الماضي، وتطلع للمستقبل، وتجرد امام الحق، لا مجبسه

التعصب، ولا يضلله الحماس..

لقد قدمت الحركة الاسلامية تضحيات جسيمة ، واخذت من الزمن امدا طويلا نسبيا ، وستظل طموحات الامام البنا ، وامال الشهيد سيد قطب ومن نهج نهجهم دينا في اعتاقنا ، فلننظر لم لم تتقدم كثيرا على درب هذه الاهداف ، لعل الله يفتح بصائرنا لاوجه حق جديدة لما نعهدها من قبل . . لقد هتف سيد قطب بشباب الاخوان قائلا «ان الناس في كل مكان لم نعهدها من قبل : القد هتف سيد قطب بشباب الاخوان قائلا «ان الناس في كل مكان كيا هام متحجه عليكم ، وعن اتجاهداتكم فاعلموا اذن ان العين كلها مفتوحة عليكم ، وان الانظار كلها متجهة البكم وان كل صغيرة وكبيرة عليكم عصاة ، كانكم لا تعيشون لانفسكم ولا لوطنكم الصغير - مصر _ وانا تعيشون فذا العالم المترام الاطراف . العالم الاسلامي . انكم انتم رجال المستقبل وان المستقبل لكم انتم في المحركة القاملة معركة التحرير الكبرى التي لابد ان يخوضها الوطن الاسلامي « (دراسات السلامية) . فاين نحب الأن من هذا النداء ، والوضع لا يقل سبوء عها كان عليه في ذلك الزمل الى الله يزيد!

排資者

اجدنى الآن مقتنعا تمام الاقتناع ان المرحلة الجديدة للعمل الاسلامى ، الراهنة والمقبلة ، تتطلب رموزا جديدة واتجاهات طريفة نسبيا في طريقة التفكير واسلوب العمل . . ولابد ان نساهم ـ كل بطريقته ـ في احداث هذا التغيير فلكل معركة رجالها . .

وائى لاستشعر نسيات التجديد المنشود وهى تهبّ هنا فى المغرب، وهناك فى السودان، مضافا اليها اصوات رشيدة من داخل الارض المحتلة ومصر ولبنان، وفى بعض تجمعات المهجر، فضلا عن الدروس التي لم نستخلصها بعد من ثورة الاسلام فى ايران.

كل الامكانيات متاحة أنهضة حُفيقية وضرورية داخل ألحركة الاسلامية ، فلتتحرك هذه الرياح في كل اتجاه وليتنافقح آراء حسن الترابي بافكار راشد الغنوشي وعبد المجيد النجار وحسن الميل وبن عيسي الدمني ومنير شفيق ومحمد مورو ومحمد حسين فضل الله واسهاعيل الفاروقي وغيرهم ، ولتشق الحركة الاسلامية اخيرا وبعد طول تطواف طريقها الى العزة والتمكين والعطاء .

وفي هذا الاطار فقط، يأتى تقديم هذه النصوص للاستاذ راشد الغنوشي على اعتباره واحدا من رموز المرحلة الجديدة الذين نعلق على جهادهم وعطائهم املا كبيرا.

اخترنا في هذا الكتاب عددا من النصوص نقدم بها الأستاذ راشد الى القراء، ونأمل ان نتمكن من تقديم مادة اخرى في طبعة ثانية او في كتيب مستقل اذا يسر الله ذلك. وتقدم النصوص المختارة عينات من تفكير الغنوشي واهتهاماته، وكلها جديرة بأن تكون هما لازما للمسلم يعالجها ويتقدم في اتجاه حلها بالاسلام ولصالح المسلمين.

واحترا، فقد بقى ان نضيف كلمة وجيزة وانحيرة . . آن جامع هذه النصوص ومقدمها هو واحد من الوف الشباب الذين يدينون للاستاذ راشد شخصيا بفضل كبير في انقاذهم من السقوط في الدوب الرمادية الضيقة التي جرَّت اليها العليانية اغلب الابرياء والطبيين في بلادنا، ولقد كانت محاضراته وكتاباته وجاهداته في الحقية الاخيرة من تاريخ تونس املا وشعاع نور وافقا جديدا وهتاف حق وبشير مستقبل، فتحت لنا ابوابا عراضا عندما كدنا نسلم أصربا نهائيا الى حياتنا النافهة الموشة المجردة من كل معنى والتي تمثل حصيلة ما تعلماء في المدارس، أو شاهدناه وسمعناه في وسائل الشاقة والاعلام.

ومن خلال كفاحه النقافي والسياسي، هو واخوانه الاخرين، اتيح لى وللالاف من امثالى ان يجدوا فرصة لخدمة بلادهم وينخرطوا فى تيار واسع من الذين امتزجت فى قلويهم نضارة التوحيد بدفء الوطن وطهارة الحب وحلاوة التطلع الى بعيد، فنذروا انفسهم ـ على طريقة الانبياء ـ للحقيقة والقيم الوفيعة والمستقبل، لانشيهم عن ذلك جدران الرماد ومشقة الطريق ومهاتدات الاتوراء أو الاحداء.

وهذا جهد عظيم جدا وانجاز رائع جدا بكل المقايس وفى وجه محترفى تزوير الحفائق، لابد ان يرفع المرء عجرفى تزوير الحفائق، لابد ان يرفع المرء صوته عاليا ولا يكتم شهادته، فانهم بجاولون ان بحطوا من اقدار اشرف ابناء هذه الامة ويضخموا من قيمة رموز الضياع والتغريب والانحلال. . واذا كانت الظروف الصعبة التي تحيط بالاستاذ راشد تحول بينه وبين نشر أو مراجعة ما كتب ويكتب، فانه لا علم للذين يستطيعون تبليع كلهاته ويقعدون .

ان الغبطة لتملّؤني وانا اجم _ تحتلميذ من تلاميذه _ هذه النصوص واقدمها، وان بقلبي فيضا من مشاعر التقدير والامتنان له ولاخوانه الآخرين اريد نقلها لكن تعوزني الطلاقة وشخورتي القلم. . . وإنا الشعر بارتياح كبير وإنا اقدم لقراء العربية وجها من وجوه الاضافة الاسلامية التونسية المتعيزة من خلال كتابات الاستاذ راشد الغنوشي. وأمل ان يتسبر لي من الوقت والامكانيات ما يعينني على تدوين معالم التجربة الاسلامية وخصائصها هناك بصفة الشمل واعم فانا موقن ان لبلادنا ما تقدم وتضيف الى كفاح الامة كلها من اجل التحرر والوجدة والكرامة.

امل أن يجد هذا الكتاب ما هو جدير به من قبول وتقدير، وابتهل الى العلى القدير أن يقيض للامة الاسلامية جيلا متبصرا مجددا مجاهدا وثابا مسكونا بالغيب منخرطا في عالم الشهادة، يعقل دروس الماضى ويستشرف آفاق المستقبل، يجرر فلسطين ويوحد الامة ويعيد لها عزها ومجدها التليد، أنه سميع مجيب.

محمد الهاشمي الحامدي سيتمبر ١٩٨٦

الفصل الأول

الفكر الاسلامي بين المثالية والواتعية

صحيفة الوحدة التونسية بتاريخ: ٢٩/٥/١٩٨٢ ١٩٨٢/٦/٥

المتأمل في تجربـة الحـركـة الاسلامية المعاصرة في المشرق خلال نصف القرن الاخير وبالمغرب خلال السنوات العشر المنصرمة يستطيع بكل يسر ان يلمس مدى تأثيرها في توجيه المجتمعات الاسلامية نحو تعاليم الاسلام ولَّفْت نظرها إلى ما في هذه التعاليم من خبر وصلاح وقوة وعدل ومنطق وتفوق على سائر المناهج والمذاهب والفلسفات. . ولقد كان لهذا التأثير الدور الفعال في تحرير عقول المسلمين وارواحهم من تراث عصر الانحطاط وانحرافاته في التعبيد والاعتقاد والسلوك وفي تحريرهم في نفس الوقَّت من بعض الآثار المدمرة للُّغزو الفكري والروحي للحضارة الغربية، ذلك الغزو الشرس الذي اوشك ان يحدث قطيعة تامة بين امتنا وماضيها وعقائدها ويعصف بعزتها ويذيب كيانها في بوتقته لولا ان تدارك الله الامة برجال افذاذ جاهدوا جهادا كبيرا لرد الغارة الشرسة على العالم الاسلامي امثال: الشيخ رشيد رضًا وحسن البنا وسيد قطب وابي الاعلى المودودي ومألك بن نبي رضي الله عنهم، فاستطاعوا على قلة وسائلهم أن يتصدوا للهجمة الغربية الفكرية التي صاحبت واعقبت الهجمة العسكرية وان يعيدوا للاسلام اعتباره لدى قطاع واسع من هذا الجيل ويكشفوا زيف حضارة الغرب وخواء مضامينها من الأنسانية، رغم تفوقها التقني. وأهابوا بالامة إلى ضرورة الاعتصام بالاسلام عقيدة وشريعة وثقافة ومنهاجا للحياة وأيديولوية حضارية تحررية، وبضرورة وعيها بدورهما السرسالي في العالم، وإن مقامها فيه مقام الامر والنهي لا التبعية والمذيلية ﴿كنتم خير امـة اخـرجت للنــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. . . ﴾ (آل عمران: ١١١). وهي مدعوة اليوم في عالم الضياع والاستغلال والجور الى تحمل مسؤوليتها في انقاذ العالم مما يعانيه من اغتراب وظلم وتدمير تحت قيادة العرب بحميع اوجهه الـرأسمالية والاشتراكية . . فلقد انكشف زيف هذه الحضارة وشعاراتها المضللة في الحرية والمساواة وظهر واضحا فشلها - رغم ضخامة وسائلها - في تحقيق علاقات انسانية مديرة العدل والمساواة والحق وغدت حياة الادغال ارحم بالانسان من الحياة في ظل مدينة الغرب . . فلا بد لهذه الامة من تحمل مسؤوليتها امام الله في الشهادة على الناس باظهار ما في دعوة الاسلام من حتى وعدل ورحمة وما تتضمته هذه الحضارة من زيف وخواء باظهار ما في دعوة الاستناف الحياة التحسيم الجهد الواعي المنظم لاستناف الحياة الاسلامية والعودة بالانسان الى ذاته ، الى فطرته ، الى الطبيعة التى فطره الله عليها والتى لن الاسلامية والكامل في غير هذا الدين لانه يتحدر وإياها من مشكاة واحدة . فالذى خلق تحد تعبيرها الكامل في غير هذا الدين لانه يتحدر وإياها من مشكاة واحدة . فالذى خلق عليها والتى لن المناف عليها والتى الله تعدل الناس الاحداث الذي القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون في (الروم ٣٠) . عليها لا تبرأ ذمة هذه الامة امام ربها ثم امام البشرية قاطبة حتى تبذل اقصى الجهد للشهادة على الناس باقامة نظام الفطرة الذى فطر الله عليه الناس ، نظام الحلافة الاسلامية (الخلافة الاسلامية (الخلافة الاسلامية والحلافة الاسلامية والعللة) العلية على اساس التوحيد والعدل .

قصور الحركة الاسلامية

والحركة الاسلامية ولئن حققت انجازات عظيمة في محاولتها تحرير الامة من تراث الانحطاط وآثار الغزو الغربي المدمر فقد ظلت بعيدة عن تحقيق هذا الهدف (اقامة شرع الله في الارض) اذا استثنينا التجربة الايرانية الجديرة بكل تقدير رغم ما شابها ولا يزآل من ارتباك، ورغم الظروف العدائية المحيطة بالحركة الاسلامية التي يوقد نبرانها الغرب وعملاؤه في المنطقة ومن طرف الاجهزة الدينية التقليدية التي لم تقدر بعد على مغادرة مواقع الانحطاط وتفهم منطلقات الحركة الاسلامية واهدافها السامية، فإن المسؤولية الكبري في قصور الحركة الاسلامية عن ادراك غايتها في تحقيق طموح الامة في معانقة ذاتها والالتحام بدينها وتاريخها يعود الى اسباب داخلية للحركة الاسلامية، الى بيئتها الذاتية . انها تعود اساسا الى نمط التفكير السائد داخل هذه الحركة والذي لا يزال رغم المحاولات المتكررة ونجاحه الجزثي مشبعاً بمثالية عصر الانحطاط لا يصل بالواقع الا من خلال نصوص تجمد فهمها على ضوء مقولات ومفاهيم تبلورت في عصور اقل ما يقال فيها انها تختلف الى حد كبر عن عصر نا... وفي ظروف تكاد تكون مباينة تماما لظروفنا. . فغدا المسلم بهذه العقلية المثالية مصابا بها يشبه العطالة في فهم واقعه واستيعاب تطوراته والقوى المحركة لذلك الواقع والطاقات المختزنة فيه. فكان من الطبيعي ان يعجز عن تفجير تلك الطاقات والتعامل مع تلك القوى وتحديد سياسته للتعامل معها وتسخيرها. ونكتفي للتدليل عن عجز المسلّم في استيعاب واقعة المتطور وما يحتويه من طاقات وفشله في تسخير تلك الطاقات بإيراد الامثلة التالية:

مثال اول: القوى العاملة أو الطبقة العاملة:

فهذه الفئة التى غدت تمثل مشكلا ضمنها لكثير من الانظمة الرأسيالية وحتى الاشتراكية وتتحكم في مصائر الانظمة والسياسات ظل الاسلاميون بعيدين عن التأثير فيها وتسخيرها تاركين المجال فسيحا لاصحاب الايديولوجيات اليمينية أو اليسارية خاصة للتحكم في هذا القطاع عن طريق تبنى مشكلاته ذات الطبيعة الاجتهاعية السياسية قبل ان تكون عقائدية المخالفية.. فأنى للاسلامين ان يتفاعلوا مع هذا القطاع وهم يكتفون في تناول كل المشكلات بالطرح المقائدي الاختراعية ولا يتركون للقضية الاجتماعية غير بجال ضيق يكتفون المشكلات بالطحار المعائدي الاحتراعية دون تحديد لمضامين هذا الشعار.. فكان من الطبيعي ان تكون الاستجابة لنداءاتهم وسط العمال محدودة لانهم يطرحون عليهم مشكلات غير مشكلاتهم.. فلقد تطورت مشكلات المجتمعات وهم لا يتطورون فكانهم ينادون الناس من مكان بعيد.

ومثال ثان: القطاع النسائي:

وتاثير هذا القطاع على مصير المجتمعات لا تخفى الهميته، فيكفى ان نعلم ان نصف المجتمع على الاقل نساء والنصف الآخر يتربى بين احضائين، لندرك الاهمية القصوى لهذا القطاع الذي ظل تفاعل الاسلامين معه محدودا لنفس السبب وهو عدم الوعى بها لاقته وتلاقيه النسانية والحضارة، قرون الانحطاط الطويلة من مهانات ومظالم وتضييق لافاقها الانسانية ولدورها في الحياة والحضارة، وطمس لشخصيتها وتحويلها الى شيء، الى متاع. . كل ذلك باسم الاسلام والاسلام من ذلك براء . . حتى اذا جاء الغزو الغربي يجوف في تباوه الملام والاسلام من ذلك براء . . حتى اذا جاء الغزو الغربي يجوف في تباوه الملام الاخضر واليابس من قيمنا مطيحا بكياننا الاجتماعي حاملا قيم الحرية والمساواة ، كان من الطبيعي ان يكون تفاجل المرأة _ وهي ترزح تحت أشكال شتى من المظالم _ مع مغريات الغرب وكأن تلك المظالم > وكان من الطبيعي ان تنطلق الثورة ضد تلك مغريات الغرب وكان تلك المظالم ، وكان من المبيعي ان تنطلق الثورة ضد تلك الاوضاع البالية من خارج الاسلام وإن توجه المحركة ضده وأن يوسخ في ذهن المرأة ان الاسلام لا يعنى بالنسبة اليها غير الحجاب وهذا يعنى ملازمة البيت وامتاع الرجل ، فلا علم ولا حرية ولا مشاركة في صنع المصير الوطنى والانساني وبالتالي فلا سبيل للحرية والعلم والزات الذات غير التمود على الاسلام وادابه كالحجاب وعذا يعمالة الغرب في حلوه ومره . حتى واثبات الذات غير التمود على الاسلام الإسكام الذا انطلقت الحركة الاسلامية وجدت نفسها امام مجتمع مائع منحل فلم تر منه غير سطحه : ذا انطلقت الحركة الاسلامية وجدت نفسها امام مجتمع مائع منحل فلم تر منه غير سطحه :

العرى والتبرج والخروج من البيت والاختلاط فثارت ثائرتها ضد هذه المظاهر داعية الى العودة الى السلام تاركة انطباعا واضحا عند المرأة ان العودة للاسلام لا تعنى غير العودة الى اوضاع الاسلام تاركة أنطباعا واضحا عند المرأة ان العودة للاسلام لا تعنى غير العودة الى اوضاع من الطبيعى ان لا يلاقي طرح الاسلاميين الاخلاقي لقضية المرأة على انها قضية عرى وتبرج واختلاط وعمل خارج المبيت غير الرفض واللامبالاة بل المقاومة والانحياز الى صف خصوم المرعوة الاسلامية من عزفوا ولازالوا على اوتار وتحرير المرأة» وهو شعار صحيح شريطة تحديد مضونه تحديدا صحيح شريطة تحديد

ان الطرح الاجتهاعي الفلسفي لقضية المرأة يتنهى الى ان قضية المرأة ابعد من ان تكون قضية برج وعرى واختداط ابها قضية اختراب وظلم واستعباد، انها قضية انسان سلبه الانحطاط المغلف بالدين انسانيته وحقه في تقرير مصيره وحوله الى شيء، الى متاع، وجاء الغرب بفلسفة المادة بزعم تحريره في زاده الا استعبادا، وكل اللدى فعله انه حول مواقع الاستعباد، فهمد ان كانت المرأة مستعبدة لرجل أو لاسرة غدت في ظل فلسفة المادة والربع . مستعبدة للمؤسسات الكبرى الراسهالية والاعلامية والسياسية . تتاجر بجسده فنجعل منه دمية حميلة تزين بها واجهات المحلات واداة للاشهاد وترويج البضائع والدعاية لربطان المسائية والاعالمية على تراث الربطانية على تراث الانسانية روئهة جهاد للرجل . تحرر نفسها والرجل عبر حركة الجهاد ضد قوى الظلم والاستغلال في العالم، في العالم، قوى الظلم والاستغلال في العالم، في العالم، وتحدد فوى الظلم والاستغلال في العالم، في رساسان وتبعية الا الله ربها .

ومثال ثالث: الطاقة الجمالية:

ان الاحساس الجالى من اهم خصائص الانسان. ويعبر الانسان عن هذا الاحساس بطرق مختلفة اصطلح على تسميتها بالفنون الجميلة، صورة أو لونا، ومع تطور وسائل التقنية وتعدد المشكلات الانسانية وشعور الانسان بالماساة في هذا العصر وتطاحن الايديولوجيات احتلت الفنون الجميلة اهمية بالغة على الصعيد الاقتصادي كمصدر اساسي جني المال وعلى الصمعيد الفكري والمقائدي السياسي كخير اداة للدعاية الحزبية والمقائدية لتخدير الحاجم المراحبة الوسام للجال بكل معانيه الجاهر أو لتوعيتها وتثويرها. ورغم الاهمية البالغة التي أولاها الاسلام للجال بكل معانيه تزال معطلة في الحركة الاسلامية. لا يعني بتربيتها على اعتبار أن الاحساس الجالى مقوم الماسي من مقولت الشخصية الاسلامية. لا لا تزال الحركة معرضة عن كثير من الفنول والاداب كالمسرح والسينيا والرسم والغناء. والتصوير، دون أي عاولة للتنظير وبيان الحد الفاصل بين ما يجل وما يجرم من الفنون، وتحريرها من المضامين الالحادية المائدة وتجذيرها في تراميا وساحي مناز وعبارب لعبادة الله وتنمية الاحساس الجمالي لدى الجماهير وهو

قرين الايان، وتوعيتها بقضايا البؤساء والمستضعفين ودفعها الى الثورة ضد الظلم من منطلق الايان، فكم هي حاجة الدعوة الاسلامية ماسة الى رواد عظهاء يستوعبون التجربة الفنية المعاصرة كل في ميدانه، ويعملون على ترويضها وتحريرها وتجنيرها وتسخيرها في ابداع فن المعاصر المسلامي اصيل ومعاصر. . انه لا مناص من ذلك اذا اردنا لنور الاسلام ان يتسلل الى القلوب وينيرها ويحربها في ابداع على القلوب وينيرها ويحربها تمتالى على كانها من غشارة الجاهلية المعاصرة ويعبئها بقيم الإسلام التحريرية العظيمة لتتمالى على كانة الاهتهامات والاديولوجيات، تتصل بالله العدل القوى الرحيم مستمد منه سبحانه طاقات لا تنفد من اجل تحرير البشرية من سيطرة الغرب ومهاناته واقادوجيد. فيا له من عمل عظيم ومهاناته واقده حضارة انسانية مستقبلية على اساس العدل والتوحيد. فيا له من عمل عظيم لو ان له رجالا يقتحمون هذا العالم بفنونه وادابه وعلومه ومؤسساته ويستوعبون ويعدلون أو ينقصون، ويرمسمون الطريق الى عالم جديد. يفعلون ذلك بجرأة وايان موسى لا محدر بني ينقصون، ويرمسون الطريق الى عام جديد. يفعلون ذلك بجرأة وايان موسى لا محدر بني اسرائيل وجبنهم هوقالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فان داخلون في فاجاب رجلان منهم هو ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالدن في

وفرقَ بين عقلية الاقتحام وعقلية الهروب.

نتائج العقلية المثالية

والعقلية المثالية التي ينظر الاسلاميون من خلالها الى واقعهم هي احد الاسباب الرئيسية المسؤولة عن عجزهم في استيعاب ذلك الواقع وطاقاته المتحركة وتوليد فكر اسلامي يقدم للمسلم وعيا صحيحا بذلك الواقع وقدرة على تسخير طاقاته لصالح مشروعه الاسلامي الحضاري. . تلك العقلية المنبتة عن الواقع هي المسؤولة عن الوضعية النخبوية التي آلت اليها كثير من الحركات الاسلامية فها عاد يَلْتف حولها غير مجموعات من المثقفين ثقافة متوسطة تظلُّ معزُّولة عن واقع الجهاهير لعدم استيعابها لمشكلات تلك الجهاهير. وما تنجح في استقطابه من الجماهير تعجز عن توظيفُه وتأطيره في مؤسسات المجتمع الثقافية والاجتماعية وتحويل تلك المؤسسات الى مواقع ضغط لصالح الاسلام، وبالتالي تظلّ القاعدة الاسلامية ممها كانت واسعة _ ضئيلة الفعالية والتأثير لان تكوينها الثقافي يعزلها عن وسطها ويجرمها من فهمه والقدرة على التعامل معه وتطويره تدريجيا بأن تطرح مشكلات غير التي يحس بها النماس ويتألمون منها. والحركة الاسلامية في تونس ادراكا منها لطبيعة الاسلام الـواقعية تجد نفسها مدفوعة الى ضرورة التخلص من الاطروحات المثالية للاسلام ولنهج الدعوة اليه. فاذا كان الاسلام صالحًا لكل زمان ومكان فان هذا الاسلام الخالد لن يقدُّر على التعامل مع واقع معين والتأثير فيه واحداث الانقلال المطلوب في مؤسساته وقيمه ما لم يتفاعل معه ويول أهتماما كبيرا لخصوصياته ومكوناته . وقديها اكد فقهاؤنا على ان للعرف اعتباره كأصل من اصول التشريع.

المنهج القرآنى

ان القرآن الكريم، رغم طبيعته المتجاوزة للزمان والمكان، نستطيع من خلاله ان نستمد صورة واضحة عن حياة العرب في عصر التنزيل من حيث معتقداتهم ومشاكلهم. وكان هذا المنهج الواقعي للقرآن ضروريا حتى يتم التفاعل بينه ويين القوم الذين قدر الله ان تكون انطلاقة هذا الدين على ايديهم.. فهو اذ يخاطبهم لا ينطلق بهم من عموميات ومجردات وإنها ينطلق من واقع جغرافي وسياسي واقتصادي وعقائدي وثقافي وتاريخي يعيشونه ويشاهدونه ووانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون في ثم يقوم ذلك الواقع بعد وصفه بدقة فيناقش بالحجة البينة في الرفض أو التعديل ويقدم لهم البديل وينتهي بهم من الحدث السياسي أو العقائدي او الاجتماعي المحدد للي اقرار القواعد والقيم والقوانين الصالحد لكل رمان ومكان. وذلك هو المنهج العلمي التجريبي، المنهج الاستقرائي الذي ينطلق من الواقع في جزئياته لينتهي الى القانون الذي يفسر تلك الجزئيات ويكشف عن قانونها المنظم لها الرابط

هذا المنهج التجريبي القرآني تخلى عنه المسلمون بفعل عوامل كثيرة سياسية وثقافية واقتصادية واستبدلوه بالمنهج اليوناني التجريدي الذي ينطلق من المجردات والعموميات ليحاكم الواقم اليها وينظر اليه من خلالها . . . وهذا المنهج لئن كان صالحا في دراسة العلوم النظرية كالرياضيات فقد كان ضرره بالغا في دراسة حوادث الطبيعة وظواهر النفس والمجتمع اذ فصل العقل عن الواقع ، وحول الثقافة الاسلامية الى ضروب من الجدل العقيم واحدث قطيعة خطيرة بين الواقع والعقل المسلم.

ولكى تزداد يقينا بها أقول افتح مجلة من مجلات الدعوة الاسلامية ثم حاول من خلالها ان تتمرف على طبيعة البيئة والظروف السياسية والاجتماعية للبلد الذى تصدر فيه ، انك ربها تتمجز عن معرفة حتى بلد الصدور اذا لم تستعن بقراءة العناوين . وإذا حدثتك عن اطراف من الواقع فلن تتجاوز التنديد بالجوانب اللا اخلاقية في ذلك البلد كالعرى والفساد . وإما القضايا التي تتألم منها الجهاهير في ذلك البلد كقضايا البطالة والسكن والاستخلال والاستبداد وسرء الحدمات الصحية والمواصلات ووضعية الطفولة والمرأة (عدا قضية العراء والسفور) فقد غلت من اختصاص الحركات اليسارية وغدا الحديث عنها في الادبيات الاسلامية هرتفة وإنحوافا في المنهج.

انه ما لم يعد العقل المسلم الى واقعه يدرسه ويحلل اوضاعه ويتعرف على مشكلاته لا ليكون اسير ذلك الواقع وعبدا له يتخذه اماما وقائدا له يضغط عقله وشعوره. . ويدفعه الى اعتباره الاصل والاسلام تابعا، كلا، فهذا الدين جاء ليقود الحياة ويكون للبشرية اماما وللحق والباطل والشر ميزانا، بل ليتخذ من ذلك الواقع منطلقه فى الدعوة فيقدم الاسلام

على انه انفع وأوفق حل لما يعيش في الواقع من مشكلات. . . ان عقائد الاسلام وتعاليمه لن تقبلها الجاهير وتتحمس لها وتضحي من اجلها ما لم ترتبط بآمالها في حل مشكلاتها تلك العقائد والتعاليم: والا غدت دعوة الاسلام تجديفا في الصحراء وضر با للحديد وهو بارد. فيا هناك بد للداعية الناجع من استيعاب مشكلات الواقع وتقديم الحجة القاطعة. ان الاسلام هو المنهاج الاقوم للعلاج وتجسيد الأمال فلا بد اذا من ان يعاد الى الواقع ثقله في الفكر الاسلامي حتى يكون هذا الفكر الاسلامي واقعيا ولا يكون وليد تأملات مجردة في النصوص بل يكون وليدا لتفاعل عميق بين الاسلام والواقع المعاش الذي تعمل فيه الدعوة، فيتولد من ذلك التعامل فكر اسلامي مرتبط ببيئة معينة وظَّروف معينة ، ولئن كان صالحا في التأثير في تلك البيئة وترشيد الدعوة الاسلامية فيها واحداث عملية التحول في اتجاه اقامة مجتمع ودولة الاسلام فليس ضروريا ان يكون صالحا اذا انتقل الى بيئة اخرى، بل قد يساهم ـ اذاً لم تجر عليه التُعـديلات الضرورية ـ في تعطيل سير الدعوة وتعتيم العقول وإصابتها بالشلل. ومن هذا المنطلق ترى الحركة الاسلامية في تونس ضرورة اعادة النظر في عدة منطلقات فكرية اسلامية عوملت في السبعينات على انها من قبيل المسلمات والبديهيات الاسلامية ليميز ما هو اسلامي في ذاته فيتلقى بالقبول وما هي مفهومات واجتهادات في فهم الاسلام ومنهاج العمل الاسلامي فرضت نفسها لسبب أو لاخر على المسلمين ردحا من الزمن وعوملت على انها الاسلام وأن الخروج عنها او المس بها هو اعتداء على الاسلام وهي في الحق ليست كذلك في جوانب كثيرة منها، فإ ينبغي أن ترقى لهذه الدرجة ايا كانت مكانةً الرجال الذين صدرت عنهم. وثابت ان ذلك التفاعل ضروري بين الاسلام وواقعنا التونسي والمغربي لتوليد فكر اسلامي في تونس وعلى مستوى مغربنا حتى تكون لنأ القدرة على فهم مشكلات هذا الواقع وتقديم الحلول الاسلامية الناجعة لها وتفجير الطاقات وتوظيفها لصالح انجاز المشروع الحضاري الأسلامي في هذه المنطقة.

المركة الاسلامية والتمديث

محاضرة القيت بجامعة الخرطوم الموسم الثقافي دورة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠

• مدخار:

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعهالنا ـ وصلى الله وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم. اساتذتى الكرام، ايها الاخوة المؤمنون السلام عليكم ورحمة الله ويركاته.

ترى ماذا يفعل تلميذ يجد نفسه تجاه شيوخه واساتذته في منصب الموجه الا ان يستعين بالله باذلا قصارى جهده في ان يكون امينا فيها تعلمه، فان فاته فضل الابداء لم يفته فضل الامانة في الفهم والنقل عنهم، حتى يطمئنوا الى ان جهودهم في التربية والتعليم لم تذهب سدى بل صادفت قلوبا واعية. ذلك هو حالى - بالفبط - وقد شرفني اخوتي اعضاء اتحاد جامعة الحرطوم بالدعوة للحصور والحديث اليكم اساتذتي واخوتي الكرام. ولا يفوتني هنا ان ابلغكم تحيات اخوانكم الطلبة واخوانكم في امرتي مجلة الموقة والمجتمع الونسيتين واكبارهم لعملكم وتجربتكم الرائدة في القيادة الجاهرية الطلابية وتمنهم لكم بالنجاح في واكبارهم لعملكم وتجربتكم الرائدة في القيادة الجاهرية الطلابية وتمنهم لكم بالنجاح في والاسلامية عامة. ولئن كانت تحدياتنا متنوعة: سياسية ، عسكرية، اقتصادية. . الخ فان جوهرها حضارى بمعنى ان افكاران وقيمنا وما انبثى عنها من مؤسسات واساليب حياة لم تقدر وهزائم عسكرية وديكتاتوريات سياسية ليس الا تعبرا عن هذا النمط الحضارى المتخلف الذائية وسلوكية واجتماعية الذي يسود بلدائنا.

أن اسرائيل ومن وراءها لا يتحدثون بفوة السلاح ووفرة المال والرجال وانها بنمط حضارى يقدم الأفراد تلك المجتمعات قدرا من الاتجاهات والمسالك تتبخ لطاقاتهم ان تثمر وتنتج وتتبصر على كل المستويات، على حين ان العكس تماما هو الذي يحدث في بلدائنا. ومن ثم فيا نحن في حاجة اليه ليس مجرد تقنيات نستوردها كيا يفكر في ذلك بعض فتيان السياسة في بلدائنا ـ وإنها ثورة حضارية تعيد البناء على اساس جديد. ثورة تزودنا بعقلية حضارية

وخلق حضارى وسلوك حضارى يستجيب لمكنوناتنا وحاجاتنا ويطلق طاقاتنا المعطلة وبعيد الحياة والحركة الى جسمنا المشلول. من هذا المنطلق نتحدث عن الاسلام والحركة الاسلامة

ان البحث في الاسلام والنضال من اجله خاصة لدى جيلنا الذى ترزح روحه تحت وطأة الهزائم المسكرية وتسلط الانظمة الديكتاتورية والتبعية الثقافية والسياسية والفقر والذل والحرمان، هذا البحث وذلك النضال لا ينطلقان من منطلق معرفي هو السباع الرغبة في المحرفة والاطلاع، ولا من منطلق صوفي يستهدف البحث عن ملجأ امين في الاسلام ينجى المفرود من القلق والحيرة، وانها هي مشكلات الواقع المعيشي الحادة وفشل الحلول الغربية في الحروب بالامة من المأزق. ذلك هو المحرك الكبير في دفع الاجيال الى الاسلام وفي الترامها في صفوف الحركة الاسلامية. فيا هي الحركة الاسلامية؟ وماهي الصفات المشتركة بين فصلها عاهي تقياتها واساليها في تغيير المجتمعات؟ ماهو اسهامها في تجديد الفكر الاسلامي؟ وهل يمكن ان نتبين من خلال كل ذلك ملامح استراتيجية لحركة الاسلام في الخد؟

تجديد الدين

اود ان القي نظرة قبل ذلك على حركة التجديد في الاسلام، يقول الرسول - عليه الصلاة والسلام _ «أن الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، _ رواه ابوداؤود . لقد كان الأنسان وسيبقى ابدا في حاجة الى النبوة لكي يفقه معنى وجوده وليستبين نهج حياته وليقوم بدور الخلافة . وقد جاءت الرسالات تترى حتى نزلت آية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فكانت اعلانا صريحا بأن الانسان قد ترشد وقد فقه قانون السير الذي اراده الله لحياة البشر، فما عادت به حاجة الى ان يجلس الى جانب باستمرار سائق حتى يقود سيارته. غير ان البشر تعرض لهم خلال مسيرتهم عوارض من الجهل بقانون السير او بطريقة تطبيقه إزاء حالات جديدة من التعقيد، فكانت الحاجة تدعو الى وجود رجال يعيدون للقانون نقاوته وينفون عنه ما التبس فيه من اوهام البشر وتجاربهم الناقصة ويعالجون على ضوثه ما يستجد من تطور الحياة ومشكلاتها ـ على ضوء النصوص الثابتة والغايات الكبرى للشريعة - مما يعيد للدين شبابه ويحفظ العلاقة بين المتطور والثابت، بين القرآن والزمان، وحتى يبقى القرآن قادرا ابدا على هداية البشر في طريق الخبر والحق والعدل. وان خلود الاسلام وبقاء امته انها يرجعان الى أمرين. . الاول: مافي طبيعة هذا الدين من مرونة وانسجام مع الطبيعة البشرية وقدرة على تلبية احتياجات الانسان مها بلغ مستوى تطوره. الشاني: ان الله عز وجل - قد تكفل بمنح الامة الاسلامية رجالا أكفاء اقوياء يرثون الانبياء ويقومون بمهمة تنقية الدين من الشوائب وتقذيم الحلول لمشاكل العصر على ضوء مبادىء الدين.

نشأة الحركات الاسلامية الحديثة:

لقد أسس النبى .. عليه الصلاة والسلام .. دولة كانت تجسيدا راثما لمبادىء الاسلام في العدل والحرية والاستقلال واستمرت هذه الدولة بعد وفاته تحت قيادة اصحابه، فرأت البشرية من خلالها أمالها ومثلها العليا وقد تحققت، فلخل الناس في دين الله افواجا عا احدث بالاضافة الى ماجرته حروب الردة من خسائر في صفوف الاصحاب الكرام ما اسهاه ابو الأعمل المودودي بحق: الانقلاب الحطر في جرى التاريخ الاسلامي. اذ تسببت هذه ابو الأعمل عند المسلمين في الدنيا من ذلك النمط المثالي الرائع اللي كان مسلما حقا يطابق قوله فعله ومن جهة اخرى تصاعدت نسبة الذين هم وان كانوا قد دخلوا الاسلام اعجابا بمبادئه الا ان الناحية السلوكية واحيانا العقائدية فيهم لم تكن منطبعة كليا بطابع الاسلام . وهذه الظاهرة قادت الى انقلاب خطير. وأولى النكبات هي اتبعاء التدريجي بين الدين والسياسة حتى لم يبق من الحلاق مع مرور الزمن الا رسمها . وجاء الاستعهار الحلايث لميدم هذا الرسم ولتنشأ في العالم الاسلامي الدولة العلمانية والدولة الاشتراكية والدولة التي درسورها بالاسلام .

لقد احدث سقوط الخلافة وماسبقه ولحقه من غزو استمارى صدمة عنيفة في شعور المسلم أيقظته من نومة الانحطاط وازالت عنه الطمانينة المزيفة التى كان يعيش عليها بأنه على كل حال هو من خير أمة اخرجت للناس. وبما زاد في هذه الصدمة واستغزاز شعور المسلم ماصاحب الحملة الصليبية على الصالم الاصلامي من غزو ثقافي وتبشيرى يجت الثقافة الاسلامية من جدورها وينشىء جيلا من المسلمين منبتا عن جدوره مرابعا بالمستمعر - شأن المنظوب مع غالبه - فلا عجب - والحال هذه - ان كان السؤال المطروح في العالم اسلامي في الغلوب مع غالبه - فلا عجب - والحال هذه - ان كان السؤال المطروح في العالم اسلامي في لا يزالان حتى اليوم يقسيان العالم الاسلامي الى معسكرين متصارعين . الجواب الاول: ان هشكل التخلف يكمن في الاسلام ذاته فلابد من تطويره وتحويره حتى ينسجم مع الغرب فيلحتي المسلمون بركب الامم المتقدمة، وتطور هذا الجواب عند الماركسيين الى الدعوة الى الدخل عن الاسلام جملة وعارته. ولذلك كانت ليبرالية طه حسين تمهيدا لماركسية لطفى الخيل و عبد الله العروى.

آجواب النانى: ان المشكل يكمن في المسلمين لا الاسلام. تخل المسلمون عن الاسلام في صورته الحقيقية فحدث الانحطاط. والحمل حركة تجديد تمسح عن الاسلام غبار الانحطاط فيستعيد حيويته وقدرته القيادية على ايجاد مجتمعات اسلامية ليست متقدمة فحسب بل تمثل اعلى صور التقدم. وإذا كان الاتجاه الاول قد تبلور في مجموعة من الحركات الموطنية والقرمية والاشتراكية التي استمدت وتستمد صورها ومثلها من الغرب الرأسهالي والاشتراكي وهي التي حكمت العالم في مرحلة مابعد الاستقلال وظهر فشلها واضحا في

احداث نهضة في العالم الاسلامي بل اتجه المسلمون في ظل قيادتها إلى مزيد من التبعية للغرب ومزيد من الهزائم العسكرية والاقتصادية والمارسات الديكتاتورية البشعة، فإن الاتجاه الثاني قد عبر عن نفسه على لسان عدد من المفكرين والعلياء المجددين كالافغاني واقبال ومصطفى صرى والسنوسي وابن باديس وتبلور واخذ شكلا واضحا على يد الامام البنا والمودودي وقبطب والخميني ممثلي اهم الاتجاهات الاسلامية في الحركة الاسلامية المعاصمة. واخذ دور هذه الحركات ـ لا على المستوى المحلي بل على المستوى العالمي ـ يتنامي ويزداد. بالإضافة الى انها رغم انها تندرج في خطها العام في سياق حركة التجديد المتواصلة عبر التاريخ الاسلامي فان مفهومها للتجديد اخذ بعدا جديدا هو التأسيس أي اعادة البناء من الاساس، ذلك انه طالمًا بقيت الدولة الاسلامية قائمة ولو في شكلها الانحطاطي فان عمل المجددين كان عبارة عن عملية اصلاح وترميم وتقويم للمعوج ونبذ للدخيل على الاسلام، وفي هذا الاطار كان عمل ابن حزم وابن تيمية. اما وقد سقط البناء جملة واصبح الاسملام غير معترف له بالحاكمية والسلطان فقد لزم ان يكون التجديد لا اصلاحا بلّ تأسيسا، ومانشهده اليوم على ساحة العالم الاسلامي هو تجديد من هذا النوع. فقد سقط المجتمع الاسلامي القديم وانتهت بذلك دورة من دورات الاسلام الحضاري، واليوم يبدأ الاسلام مع نجاح الثورة في ايران وباكستان دورة حضارية جديدة . ماذا نعنى بمصطلح الحركة الاسلامية؟

ان للدعوة للاسلام والتحرك به أساليب واتجاهات كثيرة كالوعظ والارشاد ونشر العلم والتربية على العبادة والذكر وإنشاء مؤسسات صحية وثقافية وللخدمات الاجتماعية. ولكن الـذي عنينا من بين ذلك الاتجاه الذي ينطلق من مفهوم الاسلام الشامل مستهدفا اقامة المجتمع المسلم والدولة الاسلامية على اساس ذلك التصور الشامل. وهذا المفهوم ينطبق اكثر مآينطبق على ثلاث اتجاهات كبرى، الاخوان المسلمون، الجياعة الاسلامية ساكستان وحركة الامام الخميني في ايران. وماتبقي من اتجاهات اسلامية اما هو تابع بشكل او آخر لأحد هذه الأتجاهات أو هو مبتدىء لم يتبلور بعد، أو أنه قاصر عمله على جزئية من جزيئات الاسلام والعمل الاسلامي كالوعظ والدعوة والارشاد والتربية والذكر

مقومات الحركة الاسلامية

ماهي اهم العناصر التي تشكل ماهية الحركة الاسلامية؟

1 _ الشمول:

اول هذه المقومات فكرة الشمول، فالاسلام في هذه الاتجاهات الثلاثة يؤخذ على انه كل مترابط، كل جزئية فيه ترتبط بغيرها. فالعقيدة والشريعة والعبادة كل متكامل ومن ثم لا بجال للتفريق بين الدين والسياسة والدين والدولة . . والنصوص الصادرة عن كل هذه الاتجاهات كثيرة اكتفى بنص للامام الحميني يقبول فيه: وان أول واجبات الفقيه العارف بأحكام الشريعة هو النهضة والقيادة من أجل أعلاء كلمة الله في الارض والمامة عداء الله عز وجل . عرفوا الناس بحقيقة الاسلام حتى لا يظن جول الشباب أن أهل العلوم في زوايا النجف يرون فصل الدين عن السياسة وأنهم لا يارسون سوى دراسة الحيض والنفاس ولا شأن لهم في السياسة. أن النضال السياسي واجب وطنى ٤٠٠ ومن ناتاج فكرة الشمول هذه العمل على تكوين دولة اسلامية . ولقد بذلت الاتجاهات الاسلامية الشدولية للاسلام اعتبار المسلمين كلهم على مابينهم من خلافات كيانا واحدا فرقته احداث الزمان، وفرض على المسلمين بعث الكيان الدولي للاسلام .

ستسعير بعث المساول - ايضا - الاحتمام بالقضية الاقتصادية والاجتماعية . يقول الامام ومن ابعاد فكرة الشمول - ايضا - الاحتمام بالقضيم : ويجب على ولى الامران يساعد الناس على ايجاد اعيال لهم ويتمهدهم حتى يصلح حالمم . فاذا كان دخل الانسان لا يكفيه وكان غير قادر على العمل فهو في كفالة الدولة . فاذا لم تكف الزكاة لسد حاجات الفقراء اصبح فرضا على كل من عنده فضل من المال ان يعود به على الفقراء فاذا منم الفقر-حقه فان له ان يقاتل عليه .

٢ ـ القضية الوطنية:

ومن هذه المقومات الاهتبام بالقضية الوطنية. انه لا تناقض فى نظر الحركة الاسلامية بين العالمية بين العالمية المسلم باصلاح وطنه واجب دينى، العالمية والوطنية هى منطلق العالمية، وإن عناية المسلم باصلاح وطنه واجب دينى، اذ كليا تقدم هذا الوطن الا واصبح اقدر على إعانة الاوطان الاسلامية الاخرى والناس حيثها كانوا. يقول المودوى: «إن الجهاعة الاسلامية ليست بجهاعة تستهدف القومية الوطنية ولا تقتصر دعوتها الى أمة بعينها ووطن بعينه بل الدعوة التى ترفعها عللية الاهداف، غمر ان

الجياعة تؤمن اننا معشر المسلمين في باكستان مادمنا لا نجعل بلادنا مثلا حيا للنظام الاسلامي فاتنا لا نقدر على اقناع الناس بسلامة هذه العقيدة. فالمسلم اذا وطني وليس احد اولي منه بهذه الصفة لانه الامتداد الحقيقي لثقافة الوطن وامجاده، وغيره عمن لا يحملون دعوة الاسلام هم غرباء عن هذا الوطن بل هم بقايا تركها المستعمر بعد انسحابه.

٣ ـ السلفية :

ومن مقومات هذه الحركة السلفية، ونعنى بها استمداد الاسلام من اصوله دون تعصب لما وجد في تاريخ الاسلام من نظريات واجتهادات. فالاصل ماورد في الكتاب والسنة وعصر الخلفاء. يقول البنا: «وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك أنَّ الاخوان المسلمين دعوة سلفية لانهم يدعون الى العودة بالاسلام الى معينه الصافى كتاب الله وسنة رسوله». ويقول الامام الخميني عندما سئل عن نظام الحكم الذي يسعى اليه هل هو سنى ام شيعى؟ فأجاب: «اننا نُرَيد ان نحكم بالأسلام كما نزل على محمد ﷺ، وَمِن ثُم فَان تُهمة الوهابية ظلَّت تلاحق الحركة الاسلامية في كل مكان مما جعل الامام الخميني ينلد بأولئك الذين لا شغل لهم الا بالجزئيات واتهام فلان بكِّذا أو آخر بكذاً. يقولُ: «هنالكُ أجهزة معروفة تسعى لاثارةً الضُّجة حول مسائل ثانوية، فعلى سبيل المثال يضيعون مناسبات ثمينة وفرصا غالية في الحديث عن أن زيدا من الناس كافر، أو فلانا مرتد أو أن فلانا وهابي المذهب، وذلك بسبب عمل الحركة الاسلامية في ايران المتواصل ضد التراث البدعي الذي ورثوه وورثناه جميعا عن عصر الانحطاط. ولا تعني السلفية هنا ـ كما هي عند البعض ـ حربا على المداهب الفقهية او العقدية . كلا، فهذا تمزيق لكيان الامة . وإنها السلفية تعنى اولا التحرى في معرفة حكم الله من الكتاب والسنة قدر المستطاع، ثانيا عدم التعصب للمَّذهب والاشتخال بالدعوة اليهُ حتى يصبح المذهب بديلا عن الأسلام دون التسامح مع المخالف، واعتبار اخوة الاسلام فوق اخوة كل فرقة وكل مذهب. ويلحق بالمعنى السلَّفي تجميع المسلمين حول ماهو معلوم من الدين بالضرورة ابعادا للخلاف وتوحيدا للصفوف حسب القاعدة: «نتعاون فيها اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيا اختلفنا فيهي

٤ ـ البعد الاياني:

ومن مقومات الحركة الاسلامية البعد الايهاتي أى ان الحركة الاسلامية تؤكد فى تربيتها على ضرورة الاخذ بالاسباب ولكن مع الاعتقاد بأن هذه الاسباب لا تؤدى الى نتائجها الا باذن الله .

ه _ الشعبية :

ومن مقومات الحركة الاسلامية ايضا الشعبية وهى ان الحركة الاسلامية ليست حركة فئة معينة أو طريقة صوفية تحصر عملها في مجموعة المريدين. أنها ضمير الامة المتحرك وأعهاقها الثائرة. ومن ثم فهى ترفض مقولة الصراع الطبقى وتعتبر أن الاسلام - والاسلام وحده - قادر على أزالة كل الموان الظلم والاستغلال داخل المجتمع الاسلامي، ولكن في مجتمع لا يطبق الاسلامي حدثلة تجد نفسها منحازة يطبق الاسلامية عدثلة تجد نفسها منحازة والعشى يطبق الفقراء بأمر من الله فواصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنياله. فوعس وتولى أذ جاء الاعمى .. في واللهم أحيني مسكيننا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين». فحشمً على الحركة الاسلامية أن تحصر نفسها في زمرة المساكين.

ولقد استطاعت الحركة الاسلامية المعاصرة ان غور - الى حد ما - الاسلام من الطبقة الحاكمة . والاسلام يتحول كل يوم وفي أكثر من بلد من ان يكون ملكا لحاكم لان يكون ملكا لحاكم لان يكون ملكا للشعب والذي حدث في ايران هو تسلم الجهاهير للاسلام . لقد بدأت في ايران عملية لعلها من أهم مايمكن ان يطرأ في مسيرة حركات التحرر في المنطقة كلها، وهي تحرر الاسلام من هيمنة السلطات العاملة على استخدامه في وجه المد الثوري في المنطقة .

من انجازات الحركة الاسلامية

لقد ورثت الحركة الاسلامية تركة ثقيلة من عصر الانحطاط: جود وعطالة في الفكر ونمط فردى قبل ديكتاتورى من الحضارة زاده الغزو الفكرى ثقلا. ورغم ذلك فقد استطاعت الحركة الاسلامية بفضل الله بعد جهاد طويل خلال ربع قرن من الزمان - ان تنفض عن الاسلام غبار عصر الانحطاط وان تمره من هيمنة ثقافة الغرب وان تقلم للأمة عنه تصورا الاسلام غبار عصر الانحطاط وان تمروه من هيمنة ثقافة الغرب وان تقلم للأمة عنه تصورا شاملا تتجاور وتتناسق فيه الجوانب السلوكية والمقائدية والاجتباعية . كما استطاعت ان تنزل على مستوى المراكز الثقافية التي أقطعها الغرب تلامذته فاحتكروا سلطة القيادة والترجيه فيها . زلت العناصر الاسلامية هذا الميدان فأبلت خبر البلاء واستطاعت بعد كفاح مرير ان تنذل جانبا كبرا من هذا الجيل من بين براقن الغرب ويراثن الانحطاط، وتسلمت الحركة الاسلامية اليوم في أغلب الجامات في العالم الاسلامية مؤ نموة فلذا الجهاد الطويل الذي حركز القيادة وثمو ثمرة فلذا الجهاد الطويل الذي خاضته الحركة الاسلامية في السودان و ولوشتنا ان نستمر في رصد مكاسب الحركة الاسلامية على المستوى الفكرى او مستوى الحركة لقطال بنا الحديث ، ويكفى لأخذ فكرة عن المعصرة على المستوى الفكوى ويكفى لأخذ فكرة عن المعاصرة على المستوى الفكرى او مستوى الحركة لطال بنا الحديث، ويكفى لأخذ فكرة عن المعاصرة على المستوى الفكرى او مستوى الحركة لطال بنا الحديث، ويكفى لأخذ فكرة عن

هذه الانجازات ان نعلم ايها الاخوة ان الخلافة العثانية في القرن التاسع عشر استبدلت القوانين الاسلامية بقوانين غربية فيها يسمى بالتنظيهات كيا فعل باي تونس نفس الشيء سنة ١٨٦٤م دون ان تحرك المؤسسات الدينية ساكنا لا بسبب جبن وانها لانعدام الوعى بأن تلك القوانين تمثل جوهرا في الاسلام.

أمـا على المستوى التعبدي ألشعبي فلاتزال بعض الصور الانحطاطية قائمة في بلدائنا حتى اليوم . رعلى المستوى الثقافي فقد كان الخيار امام المثقفين في اوائل هذا القرن حاسيا بين الاسلام والرضي بالجهل والتخلف او العلم مم مايصحبه حتها من تحلل والحاد.

الشكلة الكبرى للحركات الاسلامية:

قلت أن التهوين من انجازات الحركة الاسلامية خاصة من طرف هذا الجيل الذي فتح عينه على مفاهيم اسلامية ناضجة وأساليب في التربية والترعية وعلى جماعة اسلامية مناضلة لحو من أخطر مايمكن أن تصاب به الحركة الاسلامية . ولكن على نفس المستوى فأن اقبال المجدوع الكبيرة عليها المجدوع الكبيرة عليها المجدوع الكبيرة عليها المجاوزة المامها سؤالا هاما : ماذا ستعمل بهذه الجمدوع المقبلة عليها؟ كيف سنوظفها في خطة التغيير في الخطة الحضارية؟ حتى لا يغدو عملها ـ كما يقول المرحوم مالك بن نبى وهو يتحدث عن عمل الانسان المتخلف ـ الجمع والتكثير . ومعلوم أن أكواما من الحجازة مها كثرت لن تصنع بناء مالم تدرج ضمن خطة مسبقة ، ومن هنا ظل العمل الاسلامي في حالة سياها فتحى يكن حالة التكامل والتاكل ، كليا ارتضع البناء قليلا وابتهجنا بانه اوشك أن يكتمل انبار لأول دفعة من يد قوية ، بل احيانا يسقط من تلقاء عدم تماسكه الداخل ..

ان حال العمل الاسلامي هذا يشبه حال التقنية القديمة. لقد كانت التقنية القديمة تقوم على مجرد التجربة والخطأ.. ان القرق بين التقليدي والمهندس هو أن البنّاء التقليدي يبدأ عملية البنّاء وفقا لفكرة مسبقة غير مدروسة عن نوع البناء الذي يريد فان سقط البناء أعاده على نحر آخر حتى يستقر. اما مهندس البناء فيبني البيت في رأسه قبل ان مجهزه في الواقع ، يبند كفكرة ثم مجسم الفكرة على الورق مقالا وفق حسابات هندسية، وفاذا استقر البناء الهندسي على الورق انتقل مجسده على الورق انتقل مستئدا الى علم الهندسة. وبدلك تغدو التقنية كيا هي في الواقع تطبيقا للعلم، ويوفر الانسان على نفسه جهودا كثيرة. اما البناؤون كيا هي في الورق مقالا وفق مستئدا الى علم الهندسة. وبدلك تغدو التقنية المحاولة والخطالة الما في حالات أخرى فهم على تكرار أخطائهم ماضون دائبون وذلك راجع المحاولة والخطالة التي اصابت عقل المسلم فيا عاد يفقه أبعاده ولا الواقع في تعقيداته ولا السبيل الى نقل الاسلام الى الواقع ولا الارتفاع بالواقع الى الاسلام. ان عقل المسلم ظل قرونا الى نقل الأسلام الى الواقع ولا الارتفاع بالواقع المناقبة تغشى الأبصار وتمنع الرقية المصحيحة أشار هذه الشيطحة وتلك السكرة لاتزال عالقة تغشى الأبصار وتمنع الرقية المصحيحة الانتخابط العلمي على ضوء المعلوات الواقعية .

الاستراتيجية والتغيير الحضاري:

انه على حين حشدت كل الاطراف السياسية خطتها للتغيير بدأ الاسلاميون يكدسون ولا يبنون. انه لمكسب عظيم ان تربي الشباب الصالح في مجتمع يذخر بالاغراءات ولكن هذه التربية نفسها ينبغي ان لا تكون معزولة عن استراتيجية الحركة الاسلامية في التغيير في المجتمع. ان في جسد المجتمع كما في جسد الفرد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله. ولقد حدد القوميون هذه المضغة فعمدوا الى الجيش يكثفون فيه نشاطهم حتى بلغوا مراكز قيادية فيه الطلقوا منها للسيطرة على المجتمع كله. وحدد الشيوعيون هذه المضغة فانطلقوا الى النقابات خاصة وجعلوها مكانا لعملهم يجندون الطبقة العاملة ويوهنون السلطة حتى تضعف وينقضوا عليها وينقضوا على المجتمع كله. بينيا الحركة الأسلامية لم تحدد بعد هذه المضغة الاجتماعية وظلت توزع جهودها على كل المستويات فتبقى ضعيفة في كل المستويات. لا تقود افرادها وإنها تتبعهم من وراء فلا تحدد للطلبة _ مثلا _ المنتمين اليها اختيارات وتخصصات محددة لخدمة خطتها لانها ليست لها خطة. وآية ذلك ماتري عليه الاسلامين من اقبال على الكليات العلمية والتخصصات الطبية والهندسية لسبب واحد هو الاغراءات المالية التي تقدمها للخريجين وتضاءلت بذلك العناص الاسلامية في الكليات الانسانية والتخصصات العسكرية. والنتيجة ان العناصر الاسلامية آل امرها الى ان تعمل عناصر تنفيذ تبني السدود والمشاريع الزراعية وتداوى مرضى الخصوم. ونفذت العناصر القومية والشيوعية آلى مراكز القيادة السياسية والثقافية في مجتمعاتنا حتى أن الصحف الاسلامية تعانى عجزا كبيرا في المحررين ورجال الأعلام.

بعد نصف قرن من العمل الاسلامي انتج رجالا صالحين واكتهم عدودو الفعالية بل هم اعوان في ادارة الدواليب التي يعارضونها. ينجحون في عملهم المهنى بقدر ما يفشلون في دعوتهم، وليست في هذا _ ابدا _ دعوة لشعارات فقدت دورها كشعار مفاصلة الجاهلية دعوتهم، وليست في هذا _ ابدا _ دعوة لشعارات فقدت دورها كشعار مفاصلة الجاهلية والمخجرة والتكفير، وانا تشخيص لواقعنا المؤلم. لقد فشل العقل المسلم في الحركة الاسلامية في فهم واقعه والتخطيط له بسبب ما ران من غبار عصر الانحطاط ونخاوف الحاضر وبسبب درود الافعال، فانفصل بذلك عن الواقع واستمر انفصال الدين عن الحياة في مجمعاتنا وانفصال الدين عن الحياسة والتأثير والمشاركة في توجيهها رغم ان الحركة الاسلامية بدأت برفض الفصل بين الدين والدولة. باختصار لا مناص للعمل الاسلامي من تنظير لاستراتيجية تخرج بالحركة والامة من الدوامة وتستجيب للتحديات الكبرى التي تواجه المنطقة، اختفى هذا والصحالة بتقليم مبادئ شرورية في وضع هذه الاستراتيجية المساحة وليستراتيجية في ملحة الاستراتيجية المساحة في الحساب.

مبادىء أساسية في استراتيجية العمل الاسلامي

عن موقفي التقديس والاحتقار؟

ثانيا موقفنا من الغرب: هل هو سلسلة من الاخطاء والاباطيل والارتباكات _ كما يجتهد الاسلاميون في تصويره _ وإنه قاب قوصين او أدنى من الانهيار _ وكأتهم يريدون ان يبشر ونا بوراثتنا له _ مع أنه حتى وان سقط الغرب فانه ليس بالضر ورة ان نكون نحن الوارثين لانه يرث الارض أصلح من فيها. فهل نحن أصلح من فيها الآن؟ وإذا كان الغرب سلسلة من الإخطاء فكيف استطاع ان يفرض هيمنته قرونا طويلة على العالم؟ هل يرتفع على الباطل الإخطاء فكله والمنافزج الهسالح للتطبيق في كل زمان ومكان مهها اختلفت الظروف؟ ماذا ناخد من الغرب وماذ نترك؟ هل نستفيد حكما ألح الاسلاميون ـ باستعارة تعنياته مع رفض كل قيمه وتنظياته ورؤسساته؟ وحتى لو كان كما ألح الاسلاميون عصليا، هل هو هو السياسية كما ألح الاسلاميون ـ وصملاء لنا؟ اليس في تنظيات الغرب الادارية والسياسية وعدهاء كان نحرره من اطاره المادي ويضعه في سياق حضارى اسلامي كما فعل اسكون من نحره من اطاره المادي ويضعه في سياق حضارى اسلامي كما فعل استجرى بعضها مساجد لا نزان نستظرا ما حتى الآن.

ثالثا : تحديد نظرتنا الى واقعنا بعيدا عن كل فكرة مسبقة . أهو جاهل أم اسلامى؟ والسلطة التى تحكمه كذلك ونئاته وتجمعاته السياسية والدينية : نتعاون معها ام نفاصلها؟ ما هو الحد الادنى الذى يمكننا ان نلتقى فيه مع كل التجمعات الدينية والسياسية؟ .

رابعا: ما هي اداة التغيير؟ القوة والآكراه آم الحرية والاقناع؟ هل نؤيد الانقلابيين في العالم الاسلامي ام نعتبرهم غاصبين انتهازيين؟ هل نمد اليهم ايدينا اذا ما فعلوا ذلك ام نعتبر ان شر ما تبتل به امة على الاطلاق النظام العسكري؟ وإن الانقلابي - كل انقلابي رجل مغرور يقفز الى السلطة في حالة غفلة من الرعى من الشعب فيستيد بالامر دون الناس وي فيضط نفسه بكل منافق لئيم، يصفقون له حتى غيل اليه انه انه بها لم يأت به الاوائل وإن الدهر لم يجد بمثله، ويعتبر نفسه الزعيم المنقذ، بل حكيما من الحكهاء، بل حكيما من الحكهاء ، بل حكيما من الحكهاء ، بل حكيما من الحكهاء ، بل حكيما بيكون وصيا عليه لانه ليس طفلا ولا سفيها بل هو خليفة الله في ارضه مصرين على أن الجهاد يكون وصيا عليه لانه يكون وصيا عليه لانه المهاد من اجل الاسلام، وإن من حق كل التجمعات السياسية أن تكتل ولاستعادة الحرية المغتصبة المؤودة في العالم الاسلام، وإن من حق كل التجمعات السياسية أن تكتل ولاستعادة الحرية المغتصبة المؤودة في العالم الاسلامي إن انا ينبغي أن نوفض الديكتاتورية في

كل اشكالها ولو مارسها مسلم يدعى انه يريد ان مجمل الناس على الاسلام. اذ قد اباها الله حتى على انبيائه فكيف نجيزها نحن للعساكر المغرورين؟ ﴿أَفَانَت تَكُوهُ النَّاسِ حتى يكونوا مؤمنين﴾.

فاذا تحقق لنا نظام يعترف بالحريات فينبغي على الحركة الاسلامية ان تمارس حقها كطرف سياسي معترفة بغيرها من الاطراف السياسية الاخرى مقدمة اختياراتها للنموذج الاجتباعي الذي تريد. فتخوض المعارك الانتخابية وتضم مواطن اقدام لها في البرلمان ومؤسسات المجتمع كالبلديات وتشارك في الحكم ولو جزئيا لتدريب افرادها على ادارة المؤسسات وعلى قيادة الجياهير وتعبئتها وتوعيتها باهداف الحركة الاسلامية. إذ المجتمع الاسلامي لم ينزل من السياء مكتملا ولا سقط في يوم إنها بني حجرا حجرا وسقط حجراً حجرا، هكذا إعادة البناء. وفي هذه الحالة اذ تعترف الحركة الاسلامية بالشرعية القانونية للدولة على اعتبار إنها غتارة من الشعب فانها ما دامت هذه الدولة لا تحكم بالأسلام لا نعترف لها بالشرعية الدينية حتى يكون الدين هو قاعدة المجتمع والتشريع وهذا ينبغي الحذر من ان يظن الشعب ان السلطة غدت اسلامية لمجرد مشاركة بعض الأسلاميين في اجهزتها. أما اذا كانت السلطة تغتصب إرادة الشعب، فالحركة . في رأيي . لا ينبغي ان تترك اي لبس في ذهن الشعب من هذه السلطة لا هي اسلامية ولا هي قانونية ما دامت لا تسمح للشعب بالتعبير عن إرادته وحريته في التجمع. وعندئذ فليس امام الحركة الاسلامية الآ الثورة الشعبية التي تنتهي بتكتيل الشعب صفًا واحدا في وجه السلطة الجاثرة كما حدث في ايران أو الثورة المسلحة التي تدفع الشعب لحمل السلاح في وجه السلطة الجائرة كها حدث في افغانستان ولعله بدأ يحدث في سوريا. فهناك آذن ثلاث طرق واضحة للوصول الى الحكم كلها الشعب اداتها: الحل الديمقراطي: الثورة الشعبية والثورة المسلحة. وحل اخر أداته العسكر ما احسب انه ينسجم مع قيم الاسلام الذي اعتبر الجهاد من اجل الحرية على رأس اهداف جهاده الدائم. خامساً : الدعوة للاسلام من خلال حاجات الناس وهمومهم. واهم هذه الحاجات والمطامح التحرر من كل تبعية للاستعيار بكل اشكاله والتحرر من الانظمة الاستبدادية في الداخل وتحقيق العدالة الاجتماعية. فيجب ان نربط ربط اقتران بين الاسلام وحاجات شعوبنا حتى تستيقن هذه الشعوب ان نضالها من اجل الاسلام هو نضال من اجل امالها ومطامحها. ذلك أن الحركة لا تنتصر في مجتمع الا أذا جسدت آماله. وإن الحركة الاسلامية حالفها النجاح بسبب تصديها لأعداء الآمة، وإنها تزحزحت عن مركز القيادة في اوقات اخرى بسبب مُوقفها غير الواضح من الهموم الكبرى للامة وممالأتها للسلطان الجائر. ولقد آن للحركة الاسلامية ان تغادر مواطن الحذر والتردد وتلتحم بضمير الشعب وقضاياه معتمدة على ربها ثم على رصيدها الشعبي.

سادسا : التربية المتكاملة على المستوى الفكرى: تنمية الروح النقدية الموضوعية في الحكم ومحبة الحق والاذعان له حتى يكون الولاء للفكرة لا للشخص ومحبة العلم وتوقير العلماء دون تعصب، والاقرار بالخطأ في حقهم اذا وقم، وتبنى الخطأ في احدهم فكل ابن ادم خطاء والحكمة ضالة المؤمن، فتتحرو بذلك من العقلية المانوية التي تعتبر ان الاشياء اما خير مطلق واما شر مطلق. وعلى مستوى التربية الموجية نوثق صلات الفرد بربه وتفكره في لقائه والاستعداد ليوم الميعاد وهي من أوجب واجبات الحركة الاسلامية في عصر طفت فيه المادية واستفحلت الشهوات عاجعل بناءنا الحركي مها سيا على جرف هار. فلا مناص من اعتبار التقوى اسمى قيم الاسلام والميزان الاول الذي يوزن به الافراد مها كانت صفاتهم وبذلك نقلل من امكانية الانحراف ويرتفع مستوى تضحية الافراد باموالهم وأوقاتهم وارواحهم وتغدو الشهادة اسمى اماني المسلم ونجب الافراد الامراض النفسية كالكبر والغرور والنفاق وحب الظهور والرياء والجدل، ولكم فتكت هذه الامراض بجسم الحركة.

سابعا : ومن هذه المبادىء العالمية في الحركة الاسلامية تحقيقا لمبدأ التوحيد وهو اساس العقائد الاسلامية وارضاء للرب، فضلا عن ان العالمية هى روح العصر بدلا عن فكرة القوصة الوطنية ـ التى سادت في القرن التاسع عشر في اوربا ـ عما يجعل الداعين الى الاسلام ليست البديل ليسوا على انسجام لا مع دينهم ولا مع عصرهم. والعالمية في العمل الاسلامي ليست البديل للوطنية فانها هي معنى يضاف اليها ويكملها ويثرها. أن العمل الاسلامي العالمي رفز للوطنية النج هو تعويض للخلاقة وقتيا وهو اطار لتبادل التجارب والخبرات ورسم السياسات الاسسلامية الكبرى دون مس بالتجارب المحلية فاهل مكة ادرى بشعاباً . ولماذا يكول لليهودى وكالة يهوية عالمية ويكون للمسيحى المجمع الكنائسي العالمي وللشيوعية المؤتمر الشيوعي المجلمة الشركة وللعرب الجامعة الشيوعي العالمي وللاوربين البريان الأوربي والسوق الأوربية المشركة وللعرب الجامعة العربية ولا يكون للعاملين للاسلام مؤسسة عالمية إلا أن نكون متخلفين عن دينا وعصرنا .

نامناً : اعتباد التحطيط وهو روح العصر. والكم مبدأ اساسي في التحطيط. وكثيراً ماتهمل طريقة القياس الكمي وتلغي برفع شعار: المهم الكيف لا الكم، ، مع ان احدى اهم خصائص عصرنا - خصائص العلم الحديث - تحويل الكيف الى كم، الى مقدار قابل للقياس. والقرآن يعتبر الكم مبدأ اساسيا في بنية الكون فوركل شيء عنده بمقدار في وحيد لا وجود للقياس الكمي تغدو عملية تقويم عملنا وعاسبة انفسنا شبه مستحيلة. ولا ينبغي أن ينسينا التخطيط ابدا انه بغير مدد من الله يأتينا وتثبيت منه وتوفيق فلن نكون شيئا.

ويما يجب مراعاته في التخطيط لتجاوز التحديات ايجاد مجالات لتوظيف طاقات الشباب المذين تملأهم الحركة بالحياس لانه ان لم توجد هذه المجالات تعرضت الحركة لكثير من الانحرافات. وليست ظاهرة التكفير والهجرة الانتيجة لعمل اسلامي لم يوجد مجالات للتغيير في المجتمع كالنهر المتدفق الذي ينساب في جوانب غنلفة إذا لم يشق له الطريق.

ومن هذه العوامل اعتبار عامل الزمن اساساً في حركتنا فلابد للحركة أن تطور نفسها باستمرار. ومنها ايضا الواقعية: ونعني بها تقدير امكانياتنا وامكانيات خصومنا والتخلص من وسواس التآمر الـذي تصاب به الحركة الاسلامية فتتخيل ان العالم كله يتآمر عليها، ﴿يحسبون كل صحة عليهم﴾. صحيح ان العالم يكرهنا ولكن السياسات لا تبني على المبادى، فقط، وانها تبنى على المصالح وليس من المستحيل ان تلتقى مصالحنا في خطوة من الطريق مع مصالح أعداثنا.

آن نعيد للجياهر الوعى والسلطة وإن نخطط لكل طاقات المسلمين وإن اختلفوا معنا في الرائح وإن اختلفوا معنا في الرائح والشجاعة للدخول على العالم الحديث ومؤسساته كالتمثيل والسينيا لنحروها بدل الهروب منها فربنا يقول ﴿ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون﴾.

ان التحدى الخطير أيها الاخوة هو: هل نستطيع ان نعيش فى العالم الحديث محافظين على السلامنا؟ لقد بذلت الحركة الاسلامية جهدا كبيرا فى اقناع الامة بالتوافق بين دينها والعلم الحديث ونجحت فى ذلك الى حد كبير. لقد استطاعت فى عالم ملوث ان تربى شبابا طاهرين. لقد استطاعت الى حد كبير ان تقضى على شعار الفصل بين اللدين والدولة ولكن التحدى الخطير هو كيف نستطيع أن نروض عصرنا؟ أن نصب ثقافة العصر ونليبها فى إطار الاسلام فيرى الناس الاسلام بحبدا فى نظريات وتطبيقات فى الاقتصاد والفن والمسرح ويعبر الاسلام عن نفسه ازاء العالم لا بالرد فقط بل بتقديم البديل، ويذلك ينتقل الاسلام من كونه دينا لفرد أو فقة الى كونه حضارة شعب وامة وطريقها الوحيد الى العزة والعدالة والحرية . ولقد استطاعت الحركة الاسلامية أن ترجد رأيا عاما مواليا للاسلام ولكن هل تستطيع الحركة الدسلام ولكن هل تستطيع الحركة الدسلام بدأت تتكون، يمكن أن الاسلامية ان تتكون، يمكن أن الدسلام ولكن هدا تمدول المعالم العدل المعالم العدل المعالم المواليا للاسلامية الموالية الناس من الاسلامية الأسلامية كالمختل التشريعات الاسلامية وتطبيق الاسلام، هذا تحد الحروه وعوادة من القوة المضادة لتوجه النصر الكبير الملى وتجهد المحركة الاسلامية الى مسارات خاطئة ثم تضبيعه فى الطريق.

خاتمة

ولا يفوتني في الاخير ايها الاخوة الكرام ان اعتدر عن تقصيري في الاحاطة بهذا الموضوع فهو اكبر من ان يتناوله مبتدىء مثلى، ولكن ان كنت نبهت الى اهميته فقد بلغت ما اريد. وكثير من المسائل التي ذكرتها هي من قبيل تحصيل الحاصل بالنسبة للحركة الاسلامية في السودان التي نعقد عليها امالا كبيرة بالنسبة لحذه المنطقة خاصة في ان تكون المضغة التي ينطلق من صلاحها صلاح الجسم كله. ويؤيد ذلك ما يراه مالك بن نبي من ان جانبا كبيرا من الشعوب الاسلامية قد دخل الحضارة ثم خرج، ومن الصعب ان يعاد شعب الى الحضارة بعد ان خرج. وإن المجتمع السوداني لا يزال مجتمعا بكرا. اما الحركة الاسلامية في السودان فلها من تجاريها وموقعها بالنسبة الافريقيا واسيا وتاريخها الجهادي الطويل ووعي افرادها وقادتها

ما يرشحها .. اذا احسنت التعامل مع جيرانها . لان تكون اول استجابة ناجحة للتحديات الكبرى المطروحة في المنطقة . لقد ابحرت سفينتكم إيها الاخوة فلا يلتفت منكم احد الى دنيا يصيبها أو شهوة يشبعها وامضوا حيث تؤمرون الى جهاد متواصل ، الى جنة عرضها السموات والارض وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

التغريب وعتمية الديكتاتورية

مجلة (الغرباء) اللندنية عدد (٦) س (٦) سبتمبر ١٩٨٠

المتأمل فى النهاذج السياسية السائلة فى العالم الاسلامى والعربى بشكل خاص يلاحظ ظاهرتين متلازمتين بارزتين تمثلان قاسها مشتركا بين كل هذه النهاذج السائدة على اختلافها.

الاول: ظاهرة التغريب:

فكل هذه الناذج تستوحى مثلها الثقافية والاقتصادية والاجتهاعية عامة من الغرب في شكله الرأسهائي أو الاشتراكي، اذا صرفنا النظر عن تطلعات الايرانيين الى نموذج جديد. فيا عدا ذلك تعتبر اوروبا لدى الجميع هي النموذج المحتذى للتقدم والحضارة، حتى ان الهدف من كل برنامج ثقافي أو اقتصادى للتنمية هو، بحسب العبارة المكررة عندنا، «اللحاق بركب الامم المتقدمة، والنسج على منوالها، في ثقافتها وتنظياتها الادارية وعيارتها وازيائها، واعتبار ان التقدم يقاس بمستوى الانتاج والانتاجية والدخل الفردى، الغ.

النخبة المثقفة والتغريب:

ومرد هذه الظاهرة في العالم الاسلامي الى ان النخبة المثقفة التي قادت حركة التحرير من الاستعار الاوربي ، هي نخبة تربت غالبا في احضان الغرب. ولئن كانت عصرية الا انها لم تكن مؤصلة ، فها كان تصورها للاستعار يتعدى وجوده العسكري السياسي الى كونه بناء فلسفيا ثقافيا حضاريا ، بمعنى عام ، وما كان تصورها للاسلام بالمقابل يتجاوز كونه تراثا حضاريا ومجموعة مبادىء أخلاقية وروحية لا علاقة لها بالبناء الاجتماعي ان لم تكن سبب ارباك له . فها كان تصورها يرقى الى اعتباره هو ايضا بناء عقائديا وحضاريا شاملاء اذ ان الاسلام الذي نشأت في ظله تلك النخبة كان الانحطاط لا يزال يطمس معالم الحضارية .

ورغم ان الاسلام كان هو وقود الثورة ضد الاستمار والمحرك الاساسي للجهاهير الا ان جوانبه العاطفية كانت هي المسيطرة على الالباس، فكيف يمكن لهذا الاسلام العاطفي او السروحي ان يمد القادة السياسيين بتصور لنموذج اجتهاعي منبئق عن تصوراته العقائدية خاصة وان الفكر الاسلامي لم يكن يومئذ قد تخلص من قيود الانحطاط وبدا انطلاقه. فلا عجب والحال هذه ان تكون اوروبا بعد جلاء جيوشها عن العالم الاسلامي هي المثل الاعلى الذي استوحى منه القادة اسلوب الحياة السائدة اليوم في العالم الاسلامي، وهو اسلوب لا يمكن وصفه بأنه غربي لانه ليس كذلك، وهو بالتأكيد ليس اسلاميا لان صانعيه لا هم بالمؤصلين اسلاميا ولا هم بالغربيين لاعهم مقللون والمقلد لا يكون اصيلا، انه نموذج يشبه المسخ في عالم البيولوجيا.

الظاهرة الثانية: العنف أو الديكتاتورية:

ولان هذه النياذج السائدة في العالم الاسلامي مستوحاة من الغرب عن طريق النخبة المنقفة فقد ظلت بناء فوقيا لم يستطع ان يتغلغل في اعهاق الجهاهير التي ظلت مشدودة الى الاسلام ونياذجه اللاجتهاعية التاريخية، وفقدت ما كانت عليه من حماس فياض ابان الكفاح ضد الاستمار، وبدأ شعور المرارة وخيبة الامل والاغتراب يسيطر عليها وهي تجد نفسها في وسط اجتهاعي كل ما فيه غريب عنها: فنونه وآدابه واشكاله المهارية وتنظيهاته الادارية وحتى لغته في بعض الاحيان وأزياؤه. فكان طبيعيا جدا ان تمنى بالفشل كل خطعات النهضة في العالم الاسلامي. اقتصادية، عسكرية، الخير. بليل انه لا يوجد بلد اسلامي واحد حتى الامام الاسلامي واحد حتى الأن يمكن ادراجه ضمن قائمة المدول المتقلمة. وكيف لا تمنى بالفشل برامج تتجاهل ثقافة والمهاجل من الاهتهاس الله عنه من اليأس والفتور للشورة؟ فياذا يبقى أحيان كثيرة عما يدفع على ماك داع والمتعاد للانتهاد وراء كل داع والمتبالاة والانصراف الى التافه والعاجل من الاهتهامات والاستعداد للانتهاد وراء كل داع والمتبالاة المنافقة على مراكزها ومصالحها للشورة؟ فياذا يبقى امام النخبة الغربية التي تقدس الحرية فتعمد الى اساليب القمع ومصادرة الحريات العامة وتركيز وامتيازاتها، بعرية ويوليسية مدعومة بميليشيات لتحمى نفسها من الجهاهير الثائرة. انها الجهزة قععة عسكرية ويوليسية عن الهائم الهة:

أ/ ان تصادر الحريات العامة وتقيم نظاما قمعيا يحميها.

ب/ ان تنشىء طبقة جديدة تتمنع بامتيازات تجعلها محظوظة ومرتبطة بالنظام القائم وتتمكن بواسطة تلك الامتيازات من انشاء مجتمعات صغيرة ترفل بكل ما طاب ولد من حياة الغرب وفنونه ولهوه وزينته، مجتمعات تمارس فيها حتى طقوس الغرب الدينية كالاحتفال باعياد الميلاد.. انها كالجزر الصغيرة اللاهية وسط محيطات من الفقر والحرمان. ولأن هذه النخبة السياسية والثقافية والاقتصادية تعيش معزولة عن الجاهير وآلامها وآمالها وروجها وفي خوف مستمر عن ثورتها تتهالك على اللذائذ وتغرق في الكؤوس على نخبات الموسيقى واصوات النغاء وضجيع الرقص في حفلات ومهرجانات الغناء والرقص وما أكثرها في عالم الفاقة والحرمان. انها تفعل ذلك املا في نسيان الهاجس الذي يلاحقها دثورة الجاهير. وحتى لا يحصل ذلك تعتمد على النخبة التي تحولت الى طبقة للسيطرة على مقاليد التوجيه التقافي والتربوى والسياسي باذلة كل جهدها في اجتثاث الجهاهير من أصولها الثقافية وفرض التغريب عليها وتجمعي هذه الديكتاتورية الثقافية السياسية الاقتصادية ديكتاتورية عسكرية ماسيت.

ُ ج/ ان ترتبط هذه الانظمة النخبوية بمراكز القوى الدولية المالية والسياسية والعسكرية لحايتها اقتصاديا وعسكريا مقابل صيانة الانموذج الغربي بعد رحيل الغرب والمحافظة على مصالحه في الابقاء على البلاد مصدرا ثريا لتزويد صناعته بالمواد الاولية بأبخس الاثهان وسوقا لمضائعه ومتزها لسواحمه احيانا.

وحيشها قلبت نظرك في العمالم الاسلامي متصفحا الانظمة السائدة، وخاصة في العالم العربي تجد الارتباط الجذري الحتمى بين ظاهرتي التغريب والعنف والاستغلال حتى في السائدج الاشتراكية حيث نشأت طبقة جديدة، وذلك لان التغريب، وهو اقتلاع امة من جدورها، هو بحد ذاته نوع من العنف وهو لا يستمر الا في حلية الديكتاتورية وهي ليست ديكتاتورية سياسية فحسب بل هي ديكتاتورية اقتصادية تتمثل في اغداق الامتيازات على الجهاز السياسي والثقافي والعسكري الذي يحمى التغريب ويشكل في الاخير طبقة قائمة للأمتال

نتيجة خطيرة :

وهذا التحليل ينتهى بنا الى نيتجة خطيرة وهى ضرورة تجذير مطالب الجهاهير السياسية والحجتهاعية في الحرية والمدالة، لان الحرية وكذا المدالة انها نعتا في أوروبا في ظل ثقافة معينة ذات تصووات معينة للانسان والحياة والوجود، فكيف يمكن في العالم الاسلامي ان تتحدث عن الحرية أو العدالة دون القيام بفحص دقيق لمكوناتنا الثقافية التي يمثل الاسلام تحروما، نبحث فيها عن موقع هذه القيم في هذه الثقافة فيكون حديثنا عن الحرية أو العدالة ليس من قبيل التلويع بالشعارات البراقة وإنها بحثا عن انموذج حضارى جديد بنبشق عن السلاما الانحطاط، وإنها الاسلام في صورته الاصلية، وهو ثورة شاملة ضد الاستبداد والاستغلال والتبعية في كل أشكاها ودعوة ملحة للى الترقى المغرى والمدالة والكرامة والتقام وان النصال من اجل الاسلام هو نضال من اجل الحرية والعدالة والكرامة والتقدم وإن العكس صحيح إيضا.

الثورة الايرانية والتطلع نحو عالم جديد:

وفى هذا الصدد تعتبر النورة الايرانية على حداثة سنها بابعادها الاجتهاعية فى الحاحها على حقوق المستضعفين فى الحياة الكريمة والقضاء على الامتيازات، وابعادها السياسية فى الحرية، حيث تمكنت كل الاتجاهات السياسية والعقائدية من حقها الطبيعى فى التعبير والتنظيم وهوحق اعترف به الدستور الاسلامى الايراني، تعتبر بذلك تطلعا الى عالم جديد، الى حضارة السلامية جديدة تنبئق مع مطلع القرن الخامس عشر مبشرة بنموذج جديد للاجتماع البشرى يلتشم فيه ما فرقته حضارة الغرب من شمل القيم: الحرية العدالة، التقدم المادى والانساني.

فهل من عجب أن تُحاصر هذه الثورة بكل عنف وخبث من القوى الدولية وامتداداتها في المنطقة المعربية الاسلامية ويغدو الحديث عنها مثيرا للرعب في افئدة الطغاة والنحبة المنغربة النوبة التوبية والمنطقة الموبية والمنطقة المنطقة التوبية والمنطقة المنطقة والتي يوشك الخوف من عودة الاسلام ان يتحول عندها الى كابوس مضن يدفعها الى مزيد من القمع والديكتاتورية ـ ولكن العنف يولد العنف والنتيجة واضحة ، وشاه ايران المخلوع اللدي ضافت به الارض شاهد ناطق .

فى المبادىء الأساسية للديمقراطية وأصول الحكم الاسلامى

تمهيد:

ان الحديث عن الحريات السياسية في العصور الحديثة لا يكاد ينفصل عن النظم الديمقراطية على اعتبار ان الديمقراطية تقدم افضل اطار أو جهاز للحكم يمكن للمواطنين في ظله تمارسة الحريات الاساسية ومنها الحريات السياسية! وهي اقل الانظمة سوءا ـ حسب دفاع احد السياسيين .

> فيا هي المباديء الاساسية التي تمثل جوهر الديمقراطية؟ هل شهدت تطورا? ما هو؟ ما دوافعه؟ تقويم النظام الديمقراطي؟ ما هي المباديء الاساسية للحكم الاسلامي؟

المبادىء الاساسية للنظام الديمقراطي

1/ نظرة اجمالية:

ان النظام الديمقراطي ليس بناءا مصطنعا من طرف منظرين أو قانونيين أو مفكرين سياسين، انه نتيجة لتطور تاريخي بعيد المدى. . استمدت كثير من قوانينه من الانظمة السياسية التي سادت في اوربا في القرون الوسطي وتحولت تدريجيا حتى اصبحت اساسا لنظام جديد مستفيدة عناصر قديمة بها يتفق مع منطقها، وكان للتطور العلمي تأثيره في نمو الانتاج وفي تقدم وسائل النقل وكذلك كان لاتصال الاوربين خلال هجومهم وحروبهم الصليبية مع المسلمين اثر في انقلابات البنيات والقيم الاجتماعية ، كان النظام الديمقراطي الحرثمرة التي ساهمت الحرثمرة التي ساهمت في ايقاظها من غفوة الاقطاع وغيوبة الدين الكنسي وديكتاتورية الملول الارستقراطين.

ولا شك انـه كان للفكّـر النهوضي دوره الريادي في الثورة على العهد القديم ورموزه ومؤسساته وقيمه . وكان طبيعيا لحضارة قد كبلتها سلطة الملوك الاطلاقيين ان تجعل هدفها تحرير الانسسان من الاستبداد فتعلن المساواة للاطاحة بالامتيازات والتحررية لتأكيد قيمة

(۱) دوفرجیp.43(۹)

INSTITUTIONS POLITIQUES ET DROIT CONSTITUTIONNEL
P. Universitarice de FRANCE 1980

الانسان ازاء مؤسسات الكنيسة والاقطاع وتنادى بالشعب مصدرا للسيادة بديلا عن سيادة الملك . . والتعددية على انقاض الانفرادية وفصل السلطات لمنع التركز والاستبداد . ان اهم المبادىء التى نادت بها الديمقراطية الليبرالية مضمونا لها هى : السيادة الشعبية والانتخاب وفصل السلطات والحريات العامة والتعبير، الصحافة ، تكوين النقابات ، تعددية الاحزاب . . » وهى فى جملتها أريد منها تمكين المحكومين من ادوات للضغط بجدية للوقوف فى وجد الحاكمين والتأثير فى قراراتهم .

لقد ظلت التحرية والمساوة والتمثيل والتعددية والتنافس المضامين الاساسية للديمقراطية الغربية حتى الحرب العالمية الثانية حيث تجمعت جملة من عوامل التطور الاقتصادى والتغنى والسياسي والاجتهاعي لاحداث نوع من الثورة على ذلك النظام، فلم يعد دور الدولة فيه حياديا في الصراع الاجتهاعي الدائر مقتصرة على حفظ الامن الداخل والحارب المنظمة القوية، وعديد الجهاءات الاخرى المنظمة) من اجل الحصول على توازن والاحزاب المنظمة القوية، وعديد الجهاءات الاخرى المنظمة) من اجل الحصول على توازن الداخل النظمة القوية، وعديد الجهاءات الاخرى المنظمة) من اجل الحصول على توازن الغرب نفسه يتجاوز مرحلة الحريات الشكلية المتمثلة في اعلانات حقوق الانسان وسيادة الشعب والبرلمانات والانتخابات وحق الاغلمية في ان تقدو وحق الاقلية في ان تعارض وتتحول الى المؤينة ويا التعامل من التواصل بين جماهير من الموائلية بحكم هالنداولي لينتهي الى جوهر يتمثل في نظام من التواصل بين جماهير من الموائلية المواظنين وبين المنظهات الحاكمة . نظام بيبح للجهاهير ان تنادى وللدوات الفير ورية لتلك يمكن الجهاهير من التأثير الفعال والشاركة في ادارة المشؤون العامة والتحكم في صنع مصيرها المشاركة من ضيانات اقتصادية واجتهاعية هي في الاصل ملك الشعب، ومعطيات اعلامية ومادوات اعلامية حرة (١)

اما المفكر الاسلامي مالك بين نبي ، فقد ذهب ابعد من ذلك في تحديد جوهر النظام الديمقراطي على أنه مشروع لكافة الشعب على الصعيد النفسى والاخلاقي والاجتهاعي والسيامي ، فليست الديمقراطية بجرد عملية نقل السلطة الى الجهاهير والاجلان عن أن شعبا هو بموجب نص دستوري صاحب السيادة ، ففي وانكلتراه ليس النص الدستوري وحول السيادة ، ففي وانكلتراه ليس النص الدستوري ولكن المقلية البريطانية نفسها هي ذلك الضامن للديمقراطية . ويغوص علامتنا المغربي مالك حفيد ابن خدلي المنابئة نفسها هي ذلك الضامن للديمقراطي اللغربي مالك حفيد ابن خدلور الاحساس الديمقراطي الذي تفجر في الاعلان الشهر لحقوق الانسان في وامريكاء وكان تتوجها روحيا وسياسيا للثورة الفرنسية فنجد جلوح ذلك الاحساس منغرمة في حركة الاصلاح الديني والنهضة اللذين شكلا العنصر الاساس الشعر الانسان الوربي في بجال الروح والفن والعقل، لقد شكل كل ذلك المدساني بها قدمه من تقدير ممين للانسان المواطن .

⁽٢) دوفرجي _ المصدر السابق ص ١٢

⁽٣) حول الديمقراطية في الاسلام: مالك بن قبي ص ١٤، ١٥ ترجمة المؤلف راشد الغنوشي (رشاد النوري) والحبيب

وخلاصة كل ذلك ان النظام الديمقراطي شكل ومضمون . شكل يتمثل في اعلان مبدأ سيادة الشعب وإنه مصدر كل سلطة ، وهي سيادة يارسها عبر جلة من التقنيات الدستورية التي تختلف في جزئياتها بين نظام وآخر وتكاد تتفق على مباديء المساواة والانتخاب وفصل السلطات والتعددية السياسية وحريات التعبير والتجمع والتنقي والاقرار للاغلبية المياقيرير والحكم ، وللاقلية بحق المعارضة من اجل التداول، وانتهى تطورها الي القرار للاطبية وحريات المصمون النظام الديمقراطي فهو الاعتراف بقيمة ذاتية بجملة من الضهانات الاجتماعية . اما مضمون النظام الديمقراطي فهو الاعتراف بقيمة ذاتية في ادارة الشؤون العامة والقدرة على الضغط على الحاكمين والثائر فيهم من خلال ما يمتلكه من ادوات المشاركة والضغط والثائير في صنع المصبر، والامن من التعسف والاستبداد . انه حرية المحكومين في اختيار حكومتهم (*) وتبعيتها لهم . ولا شك ان افضل الانظمة على الاطلاق ذلك الذي ينبني على الاعتراف بكرامة الأنسان ويتوفر على جملة من التقنيات حرية المحكومين على الك الكرامة وتقدم ضيانات ضد الجور وتهيء المناخ الفروري لتفتح ملكات الانسان وترقيه ومشاركته في صنع مصيره فتتضاءل حتى تختفي أو تكاد الهوت يعن المحكومين على الصعيد السياسي والاقتصادي والثقافي ، ويغدو الحاكم بحق خادما للشعب من الناحية المقانونية وفردا عاديا من افراد العائلة الإجباعية هو فيها الاختاد الولي . .

ان المشاركة على الصييد الاجتهاعي والسياسي هي جوهر المنال الذي يرنو اليه النموذج الديمقراطي وليس التمثيل . . ان المثل الاعلى للديمقراطية ان يصبح المحكومون حاكمين ليحققوا لانفسهم بأنفسهم ما يتوقون اليه من اهداف وغايات ولاشك ان حجم المشاركة الشعبية في ادارة الشؤون العامة مقياس رئيسي في الحكم على مدى ديمقراطية نظام ما، فبقدر ارتفاع تلك النسبة يقرب النظام من مثاله .

٢/ الدولة في التصور الغربي:

أ/ القانون والدين: لم يشت البحث في تاريخ الجياعات البشرية ان واحدة منها قد خلت من آلفة يدين لها الناس بالخضوع أو من اله واحد يتولى الامر كله. ومن هذا الخضوع لارادة عليا المناس بالخضوع أو من اله واحد يتولى الامر كله. ومن هذا الخضوع لارادة عليا الذين على ماهية القانون، فل ان قواعد القانون الاولى كانت في بدء نشأتها قواعد دينية، وكان القانون في كل مجتمع نشأ معتمدا على الدين عمرجا به حتى ان رجال الدين كانوا هم انفسهم رجال القانون " ما الكهانة واعهال السحر والشعودة فقد نشأت مضاهاة للدين الحق الذي

⁽٤) الديمقراطية في الاسلام . عباس العقاد ص ٥٢.

⁽٥) عبد المادي ابو طالب - القانون الدستوري والمؤسسات الدستورية ص ٢٠٠.

⁽٦) مقاصد الشريعة ص ١٨، ١٩.

كان ينزل به الوحى على الانبياء لهداية الناس الى عبادة الله الحق من خلال الخضوع لجملة من قواعد السلوك التى كان لها النصيب الأوفر فى اخراج الناس عن سلطان اهوائهم من قواعد السلوك التى كان لها النصيب الأوفر فى اخراج الناس عن سلطان اهوائهم واغراضهم وقبولهم الخضوع لسلطان موحد يعلو هو قانون الله والشريعة. . غير ان تحول اللوك الدين والحديث باسم الله جمل الملوك يسارعون الى استغلال النفوذ الكبير للمؤسسة الدينية من اجل اضفاء صبغة القداسة على سلطانهم حتى غدت ارادتهم هى الارادة الحقيقية لله، وتم التيايز بين سلطان القانون وارادة الحتىقة لله، وتم التيايز بين سلطان لقانون وارادة الحتى من جاز لهذا الاخير ان يقول انا الدولة، وانا ظل الله فى الارض كها زعم قرينه رجل الدين إنه الدين وكثيرا ما تنازعا السلطان للانفراد به. وكان ذلك وبالا على الدين السياسة وقاعدة اساسية للتسلط.

ب ـ الثورة السيامية المعاصرة: ولذلك لا عجب ان تركزت الثورات في الغرب منذ قرنين على تحرير القانون عن ارادة رجال الدين وسلطان الملوك من اجل الانتقال من حكم الفرد الم حكم القانون . . وتجريد الملوك من السيادة والهيمنة التي يزعمون استمدادها من الله مباشرة بل قد يزعم بعضهم انه الله نفسه كما فعل فرعون بعقالته الشهيرة ﴿أَنَا ربُكُمُ الاُعْلَ ﴾ اى صاحب السلطان المطلق الذي لا سلطان بعده، ولم يكن حكام «فارس» ووبيزنطا» وصواهم اقل تواضعاً اوتسلطاً فلقد كانت ارادتهم ابداً هي القانون . ولقد كان الملك في طل النظام الفرنسي مثلا «قبل الثورة يضع القوانين المنظمة نشاط السلطات العامة ولكنه لم يكن يتقيد بها (؟) فكان صاحب السيادة المطلقة. ولذلك كان هدف الثورات المعاصرة تحديد صلعاة الملك ورجال الدين ونقل السيادة المي الشعب او ممثليه باعتباره صاحب السيادة وبذلك تم الانتقال من سلطة الفرد الى حكم القانون وذلك هو المضمون الاساسي للدولية الغربية الحديثة (*).

وأضح ان الدولة الغربية المعاصرة تقوم على دعامتين: الشرعية والسيادة:

١/ الشرعية: ١ن اهم ما تفخر به الدولة الغربية الحديثة انها دولة قانونية بمعنى ان تصرفات الحكومة تخضع لقواعد ثابتة واكيدة يستطيع الافراد المطالبة باحترام هذه القواعد امام قضاة مستقلين (١). وذلك هو المقصود بالشرعية وهي اساس عمل الدولة الحديثة (١) فالشرعية هي بالتحديد تقيد السلطة بقانون قائم بقطع النظر عن عدد الحاكمين (١)، وصدور ذلك القانون وفق الاجراءات المتبعة . وينضاف إلى هذا المعنى السلبي للمشروعية أي امتناع الدولة عن اى فعل لا يتباشى مع النظام السائد معني آخر ايجابي هو ضرورة التزام السلطة باحترام القيم الاساسية والأهداف العليا للمجتمع (اجتهادها في تحقيق الصالح العام بها باحترام القيم الاساسية والأهداف العليا للمجتمع (اجتهادها في تحقيق الصالح العام بها

⁽٧) نظام الحكم الاسلامي مقارنا بالنظم الماصرة ص ١١٦ ط ٢ د. محمود حلمي،

⁽٨) د. محمد طه بدوي. بحث في النظام السياسي الاسلامي من كتاب مناهج المستشرقين ص ١١٢.

⁽٩) الدولة. ص ١٣. تأليف جاك دوينيو دوقابر - ترجمة د. سيوجي فوق العادة. منشورات عويدات. بيروت.

⁽١٠) د. بلوى بحث في النظام السياسي الاسلامي ص ١١١.

⁽١٢) د. بدوى بحث في النظام السياسي الاسلامي ص ١١٢.

يؤدى الى القبلول الطوعى من قبل الشعب بقوانين وتشريعات النظام السياسي وبعدالته وملاحمة مؤسساته لحاجات المجتمع وقيمه (١٣)

٣ - السيادة : مفهوم رئيسى من مفاهيم الدولة الغربية يتخلص في اعتبار الدولة سلطة عليا لا تعلوها سلطة أخرى وخاصة في مجال التشريع فهى لا تعرف بجانبها او فرقها سلطة اخرى، أنها سلطة فوق الجميع وتفرض نفسها على الجميع (1). أن صاحب السيادة هو السلطان الحاكم شخصاً أو هيئة ، الذي يتولى سلطة التشريع في المجتمع فهو بفضل سلطت على تغير القانون يعتبر مالكناً للسلطة الشرعية العليا في الدولة وتخضع له السلطات الاخرى، أنه المشرع الأكبر. ففي العصور الوسطى كان البابا يتولى هذه السلطة بصفته نائب المسيع ، وقبل ذلك كان قسطنين تمثل إرادته قوة القانون، ثم ظهرت الدولة الحديث نائب المسيع ، وقبل ذلك كان قسطني تمثل إرادته قوة القانون، ثم ظهرت الدولة الحديث العرفة الحديث المدالة المسلطة المسلطة المسيعة على أن ناحبين: أنه لا توجد سلطة اعلى ثمنها وإن سلطنها غير منازعة. أن سيادتها مطلقة في المجال المداخل من حيث كونها الملى ، وفي المجال الحارجي عدم النجية في تنظيم علاقاتها مع غيرها من الدول بها في ذلك حقها في إعلان الحرب وحتى ضم ارض الدولة المهزوية .

ان مفهوم السيادة مفهوم قانوني أذ يراد منه اعطاء القانون صفة الشرعية اذ القانون هو ما صدر عن الحاكم، صاحب السيادة من امر او نهى، هو قانون باعتباره السلطة الأمرة ومن جهة اخرى لا يعتبر اى شىء لا يأمر به الحاكم قانوناً.. وإذا كان القانون هو ما يأمر به الحاكم قانوناً.. وإذا كان القانون هو ما يأمر به الحاكم يصبح علينا ان نعرف من هو الحاكم؟ ولا سبيل لذلك الا من خلال جملة من القواعد القانونية هي ذاتها في حاجة الى مصدر للشرعية .. اذ ان السيادة انها جيء بها لاعطاء القانون الصفة الشرعية (١)

ورغم هذّا المَارْق المنطقى الذي تنتهى البه نظرة السيادة فهى تظل مقبولة لدى القائمين بها طالما افضت الى هدف عملى اذ ان حياة القانون كها قال القاضى وهولز، ليست المنطق بل التجربة (۱۷) .

ولقد رسخت هذا المفهوم للدولة المتمحور حول كيان ذى سيادة مطلقة لا يحتاج في تبرير شرعية اوامره وضرورة المفضوع له الى غير إثبات صدورها عنه مها كانت مصادمة للأخلاق والدين وقانون العدل و رسخت هذا المفهوم للدولة كتابات عدد كبير من المفكرين السياسيين الغربين امثال الانجليزى «هويز» والإيطالي «ميكيافيل» والالماني «هيجل» . فلقد رأى هذا الأخير مثلاً _ ان الفكرة التي تحكم التاريخ البشرى هي «العقل» . . وان العقل يتحقق تدريجياً في التاريخ عبر صراع الافكار وان أعلى درجات ذلك التحقق الدولة الوطنية التي هي

⁽١٣) الموسوعة السياسية ج ٣ ص ٤٥١.

⁽١٤) د. عبد الحميد متولى. القانون الدستورى والانظمة السياسية ع ١ ص ١٣٥.

⁽١٥) فكرة القانون. المصدر السابق ص ٢٠٤ ـ ٢٠٨.

⁽١٦) نفس الصدر ص ٢١٠.

⁽١٧) نفس المبدر ص ٢١١.

تجسيد للعقيل، وهي الحقيقة المطلقة التي تفوق حقيقة المواطنين الذين يجب عليهم ان يضعوا كلياً لا هداف الدولة العليا، وإن الصراع بين الدول الوطنية ظاهرة ضرورية لتقدم البشر وحريتهم. أمّا الصراع بين الدولة والمواطن فغير متصور لأن الدولة واثم على حق باعتبارها تجسيداً للفكر المطلق، فإرادتها معيار للاخلاق وفعلها ميزان للحق (10. ولقد كانت الحروب الحديثة بين الدول القومة للانفراد بالمجد والثروة ولو كان ذلك على حساب قيم المحدل والحروب الحديثة ذات صلة واضحة بهذا المفهوم للدولة الأله، التي تتضمن في ذاتها مصدر شرعيتها وهي مصدر لكل شرعية ووليست مسؤولة أمام احد ولذلك فان عمل او ممثل السيادة فيها في حصانة من انطباق القانون عليهم (١٠٠ وواضح أن الكبرياء القومي والرغبة الجاعجة في التحرر من سلطان الكتيسة وامراء الاقهاع والملؤلة الأطلاقيين كان وراء الجهود الكبيرة الني بلدات في عبال الفكر والعمل لاقامة هذا السلطان الجديد ذي السيادة المطلقة «الدولة» وقبول ما يجيط به من غموض ("ووهم (""ولا منطق "")، الأمر الذي يجعل النظام الغربي وتكز شأن الصور التي تخيلها الناس للعالم قدياً على فيل ("")

هذا التصور للدولة الذى أقامه المفكرون الوضعيون أو الهاربون من استبداد الكنيسة ولم الطلاق... التصور الذى يجعلها المبدأ والغاية لكل شيء ولا تعلو سيادتها سبادة ولا تحتاج لان تبرر قراراتها امام أحد.. على الرغم مما حققه من اعلاء سلطان القانون وتفييد تصرفات الحكام به ومن أقرار للشعب بحقوق تقوم على حراستها سلطات قضائية وإعلامية مستقلة وحريات للتعبير والتجميع، الى جانب توزيع للسلطات.. على الرغم من ذلك فقد فقاد هذا التصور الى حروب طاحنة وتسلط للاقوياء على الضعفاء، وظهور للدكتاتوريات الفاشية والنازية والبروليتارية.. وقدم خير مير للطغيان والاستعمار الامر الذى اقتضى جهوداً لتلين هذا المفهوم للسيادة بها ينسجم مع ثورة الاتصال التى كادت أن تلغى مفهوم المنات وحكمت بوحدة المصير البشرى وبها يتح الفرص أمام الدول للحوار وتبادل المنافق والحد من اخطار الابادة المجاعبة التى تأتاحها التقوم التقوي.. أنه أمام كل ذلك لا مناص للمجموعة البشرية أذا رادت أن تواصل العيش من الحد من هذا المفهوم للسيادة الوطنية لحساب قانون أعم وأشمل هو القانون الدولية لحقوق الانسان وهي مستمدة

⁽١٨) فكرة القانون. المصدر السابق ص ٢٤٢.

⁽١٩) الدولة: المصدر السابق ص ١٥.

⁽٣٠) في المصدر السابق ص ١٤، ١٥ ورد وان معنى الدولة صعب التعريف، فهي مزيج من الكبرياء والتواضع ومن السلطة الشخصية والنظام للقبول ومن ارادة السلطة والاخلاص للخفحة العامة، وشعور وجدائي بالسؤولية ازاء المصير الجهاعي للبلاد وازاء سلطة عليا تمخطة بسعوها في الرقت الذي لا تلزم نفسها بأي شيء . يوج كل ذلك عدم مسؤولية رئيس المدولة . . وإذا كانت الدولة تعمتم بفكرة مغيولة بصورة عامة ولكتها مبهمة فان التاريخ يمنح كل دولة اسلويا وكبانا خاصا

⁽٢١) حاول اروسوه في بحثه المستميت عن اساس الدولة يعطيها شرعية وصيفة مستمدة من داخلها ان يتخيل مرحلة كان الناس مجمورة في حالة طبيعية اى افراد اطفاه ولكتهم بمحضل واداعهم الحرة متافلوا على ان بيشتوا حياة جامعية بتنازل فيها كل مهم عن جزء من حريتهم الطبيعية لفائدة الحياة الإخياصية فاقتضى ذلك وجود قانون أو سلطة هما تعبير عن الارادة العامة للمواطنين. . وقند رفض الرضميون فكرة العقد الاجتماعي واعتبرها وهما وخيلاً . «فكرة القانون» م ٣٧.

ـ غالباً ـ من فكرة القانون الطبيعى انطلاقاً من ان الطبيعة البشرية واحدة في كل زمان ومكان، اذا تعمقت في غورها فانك ستجد قواعد اخلاقية اساسية راسخة. ان القانون الطبيعى عجسد لدى القائلين به المفهوم الرئيسي لقانون اعلى ينظم ويضبط القانون الوضعي البشرى ⁽⁷⁵⁾ البشرى أن انه يمثل قانوناً اخلاقياً صنتقلاً عن قانون الدولة يمكن بواسطته معرفة ما اذا كان قانون الدولة ظالماً وغير اخلاقي، فعلى الدولة ان تهندى بمبادىء القانون الطبيعى لكى تكون شرعة (⁷⁷) وأكثر عدلاً.

ولقد قامت مدرسة القانون الطبيعي في القرن السابع عشر في اوربا على اعتبار الفرد اسبقي واسمى من المجتمع وان هذا الأخير إنها قام لحدمة الفرد وان للفرد بحكم آدميته حقوقاً يستمدها من طبيعته لا مما تصدره المدولة لان هذه الحقوق سابقة عن وجود المدولة فلا يجوز للمولة اهدارها^(۱۲) فاذاً فقدت الثقة فيها حق للشعب استعادة السلطة.

ولقد خرج القانون الطبيعى الى حد ما من حالة الغموض والمتافيزيقية التى كان عليها يوم ان كان ثوباً فضفاضاً يمكن لكل رجل دين او ملك ظالم ان يرتدبه لاضفاء الشرعية على أوامرو ونواهيم . خرج من تلك المرحلة عندما اصبح ينظر البه على انه مصدر الحقوق الديمقراطية الاساسية التى تقيد حرية الحكام والتى تجسدت خاصة في الوثيقة العالمة لحقوق الانسان وتضمنتها معظم الدساتير الأمر الذى بواها مقام الحكم على كل ما تصدره الدولة من قوانين وخول للمحاكم الامتناع عن العمل بمقتضى اى تشريع يتناقض مع تلك الطبعة . . مثار حرية المقتد والتملك وسائر الحريات الشخصية والعامة .

ولقد وجد القانون الدول في فكرة القانون الطبيعي الاساس الصالح للدفاع عن وجوده على اعتبار علو قانون الطبيعة عن كل الخصوصيات الوطنية، ولكن ذلك زاد أنصار فكرة السيادة كمقوم أساسي للدولة حرجاً، اذ أن الاعتراف بسلطة السيادة كمقوم أساسي للدولة حرجاً، اذ أن الاعتراف بسلطة خضوع المناسية المناسبة كند من سلطانها وتقيد إرادتها الشريعية اذ نضرض عليها المخضوع المقتضيات وقواعد القانون الدولي وذلك ما جعل انصار السيادة المطلقة للدولة يرفضون اعتبار أية صلاحية للمنافقة من منطلق سيادتها الملكة الدولة من منطلق سيادتها يمكن لها الاعتراف بالقوانين الدولية كنوع من التحديد الذاتي ويمكن لها ايضاً إعتبار المنادي على ما يقض علاقتها بغيرها، فضلاً عن أن جهاز القانون الدول إن بيال اذلا يملك في أحيان كثيرة فوق التنفيذ ويحتاج في نفذ احكامه كما هو الحدال في احكيام عكمة «لاهاي» الدولي أن تصديق المعنين بالأمر إلى قبول الاحتكام

⁽٢٢) يقول دو. . بن لويد ووهكذا نجد انفسنا متووطين في حلقة مفرغة ، اذ ان السيادة نثار لاعطاء القانون صبغة الشرعية ، ثم يئار القانون خلق الحاكم، ومع ذلك يقبل اللا منطق من اجل الموصول الى قامة هذا البناء المصدر السابق ص ٢٠٠ .

⁽۲۲) الصدر السابق ص ۲۳۱. (۲۶) نفس الصدر ص ۵۷ ء ۵۸.

ره؟) د. سليان الطاوى. الوجيز في نظام الحكم والادارة ص ٣٥.

⁽٢٦) د. يجيى: المطول في القانون الدستوري نقلًا عن العيل المرجع السابق ص ١٧

اليها.. ولكن أيا كان التبرير او منهاج التوفيق بين مبدأ السيادة وهو جوهر الدولة الغربية والاعتراف بمواثيق لحقوق الانسان وبقانون دولى كقيمة تعلو سلطان الدولة وتفرض عليها الانسجام معها لدى ممارستها لسيادتها، فمها لا ريب فيه ان ثغرات من الشك قد فتحت فى جدار مبدأ السيادة المطلقة الموحدة كمقوم أساسى للدولة الحديثة، مما يترك المجال لامكانية القول بسيادة محدودة وان تباينت المذاهب فى نوع ومصدر القيمة او السلطة او السيادة التي تحد من تلك السيادة وتعلوها وتفرض عليها الانسجام معها والخضوع لمقضياتها.

هل هي قانون الطبيعة؟ أم قانون الأخلاق؟ أم المواثيق الدولية لحقوق الانسان؟ ام

القانون الدولي؟ ام سلطان الدين؟

ولكن النّبابت _ كخلاصة _ أن مبدأى الشرعية: اى خضوع الدولة للقانون والسيادة الشمية اى اعتبار سلطان الدولة التشريعي _ أساساً _ لا يعلوه سلطان وعدم خضوعها لآية سلطة خارجية واستبداد سلطاتها من الشعب عن طريق الانتخاب العام، ان هذين المبدأين المبدأين وهما جوهر الدولة الغربية ولئن مثل الاقرار بها خطوة هامة في تأكيد سلطة القانون والشعب فوق سلطة شخص الحاكم، في الاقرار للمواطن بحقوق ثابتة وتحكينه من أدوات لمقاومة الجور فان المشكلة السياسية المتمثلة في كيفية كبح جماح رضية الانسان في التسلط على الأخرين مستغلاً ضرورتهم الى الاجتماع، ان هذه المشكلة لا تجد لها حلاً مرضياً في اطار مفهوم الدولة الغربية من خلال مقوميه الاساسيين: مبدأ الشرعية وسيادة الشعب.

فلقد رأينا عجز مفهوم الشرعية عن ان يقدم لتلك المشكلة حلاً اذ ان الدولة حسب ذلك المفهوم عادلة طلما ظلت متفيدة بنظامها القانوني الذي هو من وضعها وحتى اجهزة المفهوم هي عادلة طلما ظلت متفيدة بنظامها القانوني الذي هو من وضعها وحتى اجهزة الدولة. انه بمقتضى هذا المبدأ ليس أمام المواطن الامريكي الا ان يمول العدوان على «نيكارغوا» ودعم اغتصاب اسرائيل للأراضي العربية طالما صدر بذلك قانون من الكنونغرس، وذلك مهما بذأ له ذلك مناقضا للمبادى العليا للعدالة والحرية والواردين في الدستور الامريكي . . ان جل ما يملكه ان ينتظر لحظة التعبير عن ارادته كليا مضت ثلاث سنوات لتجديد هيئات الحكم . . ان محروم من حق مقاومة الجور سواء بالكف عن دفع الضريبة طالما انها تصرف فيها يناقض المبادى العليا للعدالة وإحتياد السلاح لتغييرذلك المنكر.

أما مبدا السيادة الشعبية فهو ينتهى عملياً في ظل الديمقراطيات الحديثة - وهى تكاد تكون كلها غير مباشرة - الى سيادة المجالس النيابية حيث يعتبر عضو البربان نائباً عن الامة كلها، اى ليس نائباً عن احد عملياً اذ انه ليس مسئولاً امام احد ليقدم له حساباً خلال الدورة النيابية كلها، انه في نهاية الدورة فحسب وخلال حملته الانتخابية لتجديد النيابة بجد نفسه مضطراً للعودة الى أصحاب السيادة الحقيقيين في عاولة الاغرائهم مجدداً لتجديد انتخابه من مساءلة نائبهم التحاديد النيابة كلها من مساءلة نائبهم وسحب وكالتهم ان اقتضى الامر، وذلك ما يجعل سلطان الشعب في تلك الديمقراطيات المحجود لحظة الانتخاب فضلاً عها يرتكب في تلك اللحظة من فواحش السلط على السلط على السلط على السلط على المسلط ال

الناخبين بمختلف وسائل الدعاية والتضليل التي تتوسل بها المؤسسات الرأسمالية والجهاعات الضاغطة على أفكار ومشاعر الناخبين.

ان مبدأ السيادة الشعبية على أهميته لم يزد فى ظل الفكر الغربى عن ان أطاح بطاغ واحد هو والبابا» او قرينه والملك، ليقيم فريقاً من الطغاة هم أعضاء المجالس النيابية (اسحاب السيادة الفعلية يهارسومها نظرياً بالنيابة عن الشعب وينهضون بها فى الواقع الى حد كبر نيابة عن تجمعات الضغط المللى والسياسى فى غياب مساءلة شعبية يومية مباشرة ومنظومة قيم عليا محصومة عن الحظا يستهدى بها الشعب ونوابه ويهارس النيابة والوقابة على حد سواء على ضوفها. ولقد فشل القانون الطبيعى - رغم اهمية الفكرة - فى الوصول الى مضامين واضحة عددة له يمكن ان يستهدى بها المشرع فى تشريعه والشعب فى متابعته . اما القانون الدولى فمها بلغ سموه فيظل غالبا شعارات براقة لا تعصم من هوى ولا تحد من طغيان طالما ظل عبداً من قوة التنفيذ . الأمر الذى لا يخفف شيئاً من طغيان هذا الوثن المعاصر المسمى الدولة . والعماذ بالله . الامراد بالله . والعماذ بالله .

أين النظام الديمقراطي من مثاله؟

إن تعريف الديمقراطية بأنها حكم الشعب يفترض اشتراك جميع افراد المجتمع في شؤون الحكم بالتساوي، وهو أمر متعذر لا يسبب الاستحالة الواقعية لعدد كبير من المواطنين غير الـرشـٰداين او المحـرومـين من حقوقهم المدنية ان يشتركوا بل انه حتى في نطاق الشعب السياسي وهم المتمتعون بحقوقهم السياسية ليست هناك مقاييس ثابتة لتحديد هؤلاء، فلقد كان عددهم في أثينا لا يزيد عن ٢٠ الفا بينها كان عدد السكان ٢٠٠٠ فكان الارقاء والنساء والأجانب محجوبين عن المشاركة، ولم يكن يدعى للانتخاب في بريطانيا ـ زمنا طويلا ـ الا ميسورون، وظلت المرأة محرومة من الانتخاب الى سنة ١٩٢٨ في بريطانيا وإلى سنة ١٩٤٥ في فرنسا وتـأخـرت المـرأة السويسرية الى سنة ١٩٧١. ولا تزال بعض الولايات الامريكية لا تسوى بين البيض والسود في الحقوق السياسية. ورغم انه من الناحية النظرية تتساوى قوة أصوات المالكين للاحتكارات الكبرى ولمديري المشاريم والنخبة الفنية المسيرة وملاك الصحف وقنوات البث الاذاعي والتلفزي والعاملين فيهها من المسيرين والصحفيين وجماعات الضغط السياسية والثقافية والنقابية تتساوى قوة أصواتها مع اصوات العاطلين عن العمل او العمال في الصناعة والزراعة وهم الذين يمثلون غالبية الشعب السياسي فان الواقع يشهد أن هؤلاء الاخيرين هم تبع غالباً لتوجهات الفئات الأولى ـ على قلة عددها ـ الأمر الذي جعل تعريف الديمقراطية بأنها حكم الشعب بالشعب للشعب يعد رؤية مثالية لا يمكن تحقيقها. فذهب بعض النظرين المحدثين الى تصحيح النظرة الى الحكم الديمقراطي فاعتبروه ليس حكم الشعب ولكنه الحكم المتعدد الاطراف الذي تزاوله النخبة من المواطنين والقادة والسياسيين ويقوم في ظله حواربين عملي الجهاعات والمصالح . . ولكن تلك النحبة تزاول الحكم بإرادة جماهم الناخبين الامر الذي يجعل الديمقراطية العملية ليست الاحكم

⁽۲۷) انظر بدوي البحث السابق صي ١١٦

النخبة باسم الشعب (⁷⁷ ولكن خصوم النظرية التقليدية في الديمقراطية مضوا أبعد من ذلك في نقدها فشككوا في مصداقية تلك الانابة ، انابة الجياهير للنخبة هل هي انابة واعية حرة ام هي انابة واعية حرة الم هي انابة والحداع؟ لقد أقامت الم هي انابة بالحداع؟ لقد أقامت الديمقراطيات الغربية المساواة وحذفت الامتيازات الأرستقراطية ولكنها وللدت بالتدريح اللامساواة الاقتصادية التي تتجه الى إيجاد أرستقراطية جديدة تقوم على الملكية والاحتكارات الكبرى التي تمارس نفوذاً واسعاً على الاحزاب والصحافة والرأى العام (⁷⁷⁾.

ولكن هلّ يعني ذلك ان الوزراء والنواب ورؤساء الحكومات والاحزاب والصحافة مجرد دمي في بد الراسهاليين كها يزعم التبسيط الدعائي الماركسي؟.

يميب دوفرجى كبير الفقهاء الدستوريين ذو الترجه الاشتراكى بالنفى ذلك ان هؤلاء يستطيعون ان يعتمدوا على الناخبين للصمود فى وجه الضغوط الاقتصادية رغم تأثير تلك الضغوط فيهم ، مما يجعل القرارات فى الاخير لا يمليها طرف واحد بل انها تؤخذ فى إطار قوى متوازية وهكذا فالنمط الديمقراطى هو فى الحقيقة لا يمثل ديمقراطية كاملة بل نصف ديمقراطية وسواحية كاملة بل نصف ديمقراطية وسواحية كاملة بل نصف المقروبة على المسلومة التصريعية (البرانان) فقويت السلطة المركزية على حساب نفوذ الولايات ونشب واشتد الصراع بينها، وغذا الكفاح التقليدى ضد الملك كفاحاً ضد السلطة المركزية على حساب نفوذ الولايات لضان حقوق الولايات وغدت النظرية التقليدي ضد الملك كفاحاً ضد السلطة المركزية تلى نصاباً كافياً لمنع لضان حقوق الولايات واستحواذ السلطة المركزية على النصيب الأوفر من النفؤذ فى المركزية على النصيب الأوفر من النفؤذ فى المركز.

ومهها يكن من امر محدودية تجسيد المثال الديمقراطي في حكم الشعب نفسه ينفسه يبقى الحكم الديمقراطي خاصة بعد نمو الأبعاد الاجتماعية فيه (الضيانات الاجتماعية) قائباً على نوع من التوازن بين الرأى العام لجماهير الناخبين وبين جملة النخب ومراكز الضغط رغم رجحان الكفة في كثير من الاحيان لفائدة الاخبرة.

أما الديمقراطيات الشعبية التى قامت على أساس النظرية الماركسية فيتركز نقدها للديمقراطية الغربية على الشعبية التى قامت على أساس النظرية الماركية في يد ملاك رؤوس الاموال وإنه لا سبيل لامتلاك الشعب خرياته طالما ظلت الملكية في يد فئة الرأسهاليين التي لن تكون الدولة الا خادمة لها، بما يجعل الطريق الوحيد لحرية الجهاهير هو امتلاكها لوسائل الانتاج بمصادرة كل ملكية فردية، أما في تلك الديمقراطيات. . فان ذلك التوازن مفقود . . إذ أن ملكية الشعب انها تعتبر في الواقع ملكية الحزب الواحد بل النخبة المسطرة فيه واحياناً الزعيم الأوحد الذي يضع بيده مقاليد كل شيء الامر الذي يجعل الجهاهير عزلاء

⁽٢٨) المرجع في القانون النستوري ص ٣٤، المرجع السابق.

⁽٢٩) دوفرجي المصدر السابق ص ٥٦.

⁽٣٠) دوفرجي ـ المصدر السابق ص ٥٤ .

من كل سلاح لمواجهة دولة وحزب قد استحوذا على كل وسائل السيطرة الاقتصادية والثقافية والامنية والمصكرية . ومن قبيل الهراء والدعاية الرخيصة بعد ذلك لوك شعارات مهـ ترثة حول ملكية الشعب وحرية الشعب . طالما أن الشعب قد جرد حتى من سلاح الاحتجاج والاضراب والتجمع ومن اى وسيلة من وسائل الضغط غير اللامبالاة والتقاعس في الانتاج والموت البطىء .

الخلاصة:

إن مصطلح الديمقراطية . كما بين بحق أستاذ العلوم السياسية د. عبدالله نفيسى يتسع ليشمل انظمة سياسية متنوعة وهو مطاط لدرجة انه يتحمل من الديمقراطيات الشعبية في المسكر الشيوعي، الى الديمقراطيات البرجوازية في المعسكر الرأسهالي عددا غير محدود، ويبقى للمصطلح في كل الاحوال حدان:

١ ـ نظام الحكومة.
 ٢ ـ مجموعة مؤسسات من مهاتها انجاز حاجتين أساسيتين:

أ_ القدرة على سر الارادة الحقيقية لاكثرية الشعب فيمن يمثلها وكيف سيحكمها
 وهذا يعنى حرية تشكيل الأحزاب وحق الانتخابات والتصويت الحر.

ب _ توفير الطرق الكفيلة بضمان قيام النواب المنتخبين بأداء ما أراده الناخبون فعلاً والقدرة على استبدالهم عند الاخلال بذلك الواجب عما يعنى ايجاد وسائل لمراقبة الحكومة(٢٠٠).

أما صاحب العالمة الثانية فلم ير فى الديمقراطية غير ثمرة لفلسفة الصراع الأوربية تنحصر مهمتها فى ضبط الصراع والاحتفاظ به ضمن حدود ما قبل الانفجار وتقديم قنوات لتسريب الضغط وليست الصراعات التى تمزق العالم اليوم الا تجسيداً لنتائج تلك الروح الفاوستية ⁽⁷⁷⁾.

ومها اتسع نطاق المشاركة الشعبية فانه لن يتعدى النطاق الامر الذي يجعل الديمقراطية مرتبطة لا محالة بفكرة القومية او العنصرية فقيمها ابعد ما تكون عن الانسانية، وحرياتها وحقوقها لا تتجاوز في افضل الحالات نطاق الشعب بل الطبقة المهيمنة. فلا عجب ان تجد اعــرق المديمقـراطيات المعاصرة أوغلها في الـوحشية والاستبداد بالشعوب الاخرى (المديمقـراطية الانجليزية او الفرنسية). ولأنها لا تستند الى قيم مطلقة غير قيم اللذة والسيطرة وحق الأقوى فان حريتها لا تحدها غير القوة، مجتمعها مضطرب منقلب عرق. . تتخبطها الاطاع وتحكمها شتى ضروب الخداع والغش والبطش طالما ليست هناك قيمة

⁽٣١) د. عبد الله نفيسي : مجلة المجتمع الكوينية ٨ ربيع الاول ١٤٠٤هـ. (٣٢) محمد ابو القاسم حاج احمد: العالمية الاسلامية الثانية ص ٢١٠ـدار المسيرة.

مطلقة تعلو ارادة الانسان، فرداً كان ام طبقة او شعباً ـ فلا امن معها للضعيف سواء كان أقلية داخل الشعب حيث ارادة الأغلبية تمثل مشر وعية مقدسة لا عبال للقيام ضدها، او كان شعباً آخر أعوزته أدوات القوة للوقوف في وجه خصمه فليس امامه الا الخضوع او الفناء وفق شريعة الجماء للأقوى، وارادة المنتصر هي شريعة الحق الله.

ولأن الديمقراطية مفهوم اجمالي يتسع لأشد الانظمة تناقضاً فانه يعسر الحكم على نظام معين من خلال انتسابه اليه، الأمر الذي يفرض الوقوف طويلًا في فهم طبيعة أي نظام الى ظروف نشأته وجملة القيم والافكار والأدبيات والفنون والفلسفات الشائعة بين أهله حول الأنسان وعلاقاته . . ثم تتبع جملة المسالك الفردية والجماعية التي أفرزتها تلك القيم والأفكار والادبيات في علاقة الناس ببعضهم وعلاقاتهم مع الآخر. فليست العبرة بالاشكال الديمقراطية والاعلانات مثل اعلان سيادة الشعب وحقوق الانسان ووجود تمثيل برلماني واحزاب. وانتخابات وأغلبية . فقد وجدت تلك الاشكال الديمقراطية ولا تزال موجودة في أعتى الديكتاته ربات كالنازية والفاشية وسائر الانظمة القومية والطبقية في مشرق الارض ومغربها . . ولا تزال كثير من المظالم والفواحش من مثل عدوان الشعوب على بعضها بالاحتلال او الاستغلال. ومن مثل انتشار الفسوق والفساد والرشاوى والغش والضلال تستمد شرعيتها من جهاز الديمقراطية . ألم تزل أعرق الديمقراطيات - في بريطانيا وفرنسا -تحتفظ بوزارات للمستعمرات او لما وراء البحار؟ وتشرع للقيار واللواط والوأد المعاصر (الاجهاض، تحديد النسل) ولفرض شروط مجحفة في مبادلاتها مع الشعوب الضعيفة مستهترة بالأوضاع المأساوية التي تعيشها تلك الشعوب، أليس وجود حوالي ربع البشرية في حالة مجاعة يموت تحت وطأتها كل سنة عشرات الملايين شاهداً صارخاً على فشل الديمقراطية المعاصرة وجهازها القانوني وخلفياتها الفكرية الانسانية في تنمية الشعور الانساني وإحلال كرامة الإنسان محلًّا اسمى من الرفاه والمجمد القومي اللذين تبذر فيهما الميليارات في المديمقراطيات الغربية والشرقية؟ أليس بالقياس الى هذه المأساة تتضاءل منجزات الله مقراطية المعاصرة وما وفرته اجهزتها في بلاد الغرب من حريات وحقوق للانسان،، انسان الغرب وضمانات لمنع الجور طالما ان مصير الانسانية ينبغي ان يكون واحداً، ولقد جعله التطور التقني ووسائل الاتصال ـ فعلًا ـ واحداً، الأمر الذِّي يجعل العدوان لا على شعب بل عي انسان واحد عدواناً على البشرية كلها يهدد أمنها وسلامتها ما لم تنهض لوضع حد لذلك العدوان؟

إن موطن الداء ليس في أجهزة الديمقراطية: الانتخاب الريان، الاغلبية، السيادة، بقدر ما هو كامن في فلسفات الغرب وادبياته التي فصلت بين الروح والجسد (فلسفة ديكارت) ثم تجاهلت الروح ووأدتها وحاربت الله وجاهدت جهاداً كبيراً لاحلال الانسان محله فلم يبق في الكون والانسان غير المادة والحركة والللة والسيطرة والمراع وشرعة القوى. انه هنا تكمن مصائب الانسانية وليس في النظام الديمقراطي او تقنياته المعروفة التي يمكن ان

⁽٣٣) فلسفة دارون وهيجل وتيتشة واضحة في التبرير والتشريع للاقوياء في حكم الضعفاء.

تعمل بنجاح وتشكل جهازاً صالحاً لتنظيم العلاقة بين الحاكمين والمحكومين ونقل الشرعية من الشخص الحاكم الذي يعلن في صلافة مع لويس ١٤ او مع بورقية ، واضرابها كثيرون وأنا المدولة مستملين الوحي من سلفهم فرعون وأنا ربكم الأعلى ﴿ وَما أريكم الأما أريكم الأما أريكم الأما أريكم الأما أريكم الأما أريكم الله من يمكن ان يعمل الجهاز الديمقراطي بنجاح في كبح جماح الاستبداد والرق لو تبيأت له فلسفة وقيم انسانية صالحة تمترف بأبعاد الانسان كلها ومنها بعده الروحي والحلقي من حيث حاجته الدائمة الى الحالق، وعدم قدرته على الاستقلال عنه الا بالتفريط في انسانيته وسموه .

إنه لا بد من فلسفة تعترف للانسان بكرامة تجنبه السقوط في هاوية الاستبداد من جهة وهاوية الاستبداد من جهة وهاوية الرق من جهة اخرى (٢٠٠٠). ولكن النظام الديمقراطي على ما هو في الغرب يبقى في غياب النظام الاسلامي افضل الانظمة التي تمخض عنها تطور الفكر البشرى، كها انه يبقى اطاراً صالحاً لضهان حرية الشعوب في تقرير مصيرها واختيار نوع النظام الذي تريد ان تعيش في ظله فها ينبغي اذن الاتكاء على عيوب هذا النظام لرفضه وليو كان ذلك لحساب الديكتاتورية ، فان حرية منقوصة خير من الاستبداد. وان مجتمعاً محكوماً بقانون ناقص افضل من مجتمع العوفة ارادة الطغاة واهواؤهم.

المبادىء الأساسية للحكم الاسلامى مقدمات

مقدمة ١ فى اعتبار السلطة فى الاسلام ضرورة أو طبيعة اجتماعية ضه ورية:

لم يعد احد من الدارسين عمن أتى الاسلام بقلب سليم باحثاً عن الحق وقد توفر على إلمام كاف بعلوم الإسلام وتجربته التاريخية يساروه ادنى شك في الطبيعة الخاصة للاسلام من كاف بعموم و مسلم المراجعة المسلم المسلم عن المسلم كما يؤكد «إقبال». . هي بعينها حيث كونه نظاماً شاملاً للحياة، وإن الحقيقة في نظر الاسلام كما يؤكد «إقبال». . هي بعينها تبدو ديناً اذا نظرنا اليها من ناحية وتبدو دولة اذا نظرنا اليها من ناحية اخرى(٢٠٠٠). ولم يخرج عن هذا الاجماع من القدماء غير عالم واحد من المعتزلة وفرع صغير من فروع الخوارج اعتبروا إقامة الامام أو الدولة الاسلامية ليس واجباً دينياً وإنها مصلحة شرعية يؤخذ بها قدر الحاجة اليها. . أما في العصر الحديث ونتيجة لتأثير سيطرة الغرب على بلاد المسلمين فقد برزت في الوسط التعليمي الغربي الذي أسسه المستعمرون مبادىء فصل الدين عن الدولة وتحميل الأسلام وسياساته مسؤولية الانحطاط. ولكن المعاهد الاسلامية التقليدية هي نفسها قد انطلقت منها بعض الاصوات الداعية الى نفس التفكير العلماني من مثل الشيخ المصرى على عبداله از قي الذي كان لكتابه والاسلام وأصول الحكم، الصادر في نهاية الربع الأول من هذا القرن شبهرة كبيرة وتدافعت الأراء حول ما تضمنه من نفى الدولة عن الاسلام والتأكيد بأن محمداً ﷺ كسابقيه من الرسل لم يكن غير مبلغ لرسالة وإنَّ ما استحدَّث بعد ذلك من نظام الخلافة كان مجرد عمل اقتضته ظروف البيئة ولا علاقة له بالدين ولا يقتضيه. لقِد تدافعت مناكب المفكرين والعلماء حول الكتاب تأييداً ومناصرة او نقضاً وتقييماً واستنكاراً. ولم تلبث تلك الضجة حول الكتاب ان خبت وفقد الكتاب وهجه نتيجة حملة النقد العاتية التي قامت ما المؤسسات الدينية الرسمية ضد الكتاب وصاحبه متعاونة في ذلك مع دعاة الحركة الاصلاحية ومفكريها الذين لم يكتفوا بنقد الكتاب وتسفيه الأدلة القائم عليها وتعرية الدوافع الكـامنة وراء الكتاب في ظرف اتسم بتمكن الغزو الغربي من الاجهاز على ما تبقى من الخلافة العثمانية . بل اضافوا الى ذلك جهوداً ايجابية تمثلت في تكثيف الكتابة في النظام الاسلامي لتجلية خصـوصياتـه بين الانـظمة وإبراز معالمه من ناحية. . وبعث حركاتُ واحزاب اسلامية للدعوة ألى إعادة الخلافة او لاقامة حكومة اسلامية بشكل عام من ناحية الحرى. . وكانت جهود الدعوة الاسلامية في مصر منذ العشرينات وما تلاها وسار على نهجها ـ على نحو او آخر ـ من دعوات في معظم مناطق العالم الاسلامي، منذ ذلك التاريخ وحتى الآن متاثرة بدرجات غتلفة بتلك المعركة التي اندلعت نارها في العشرينات بين حركات لانكية _ علمانية _ (ليبرالية، ماركسية، قومية. .) تتخذ من دعوة على عبدالرازق وخلفائه في

(٣٥) تجديد الفكر الديني في الاسلام. محمد اقبال.

مصر وتونس والهند سند الدعم الانفكاكها عن النص الاسلامي لحساب توثيق الصلة مع الغرب، وكانت انظمة الحكم التي عمرت المنطقة حتى الآن في غالبيتها المطلقة متاثرة الغرب، وكانت انظمة الحكم التي عمرت المنطقة حتى الآن في غالبيتها المطلقة متاثرة لتحرير الاسلام عما حاولت تلك الدعوات اللائكية الصاقة به من تأويلات مجافية لم وحديد التوحيدية. وكانت اهم الاداة التي استند عليها دعاة الوصل بين الاسلام والسياسية هي: 1 - المدليل التاريخي: ويتمثل في ان احداً لم يعد قادراً على إنكار حقيقة انه قد قام بعد الهجرة في المدينة مجتمع مساسى متميز مستقل برقعته الترابية وبنظامه القانوني الموحد وقيادته. تربط افراده وشائح وهواثيق وإهداف مشتمركة. وإن ذلك المجتمع قد قام بحل وظائف الدولة من دفاع وقصاء وتعليم، وإبرام معاهدات وابتعاث السفارات، وإنه ما كان من بناة ذلك والناشام من يشك في طبيعته من حيث أن سلطة التقيين العليا لله ورسوله (الكتاب والسنة) والمصادر الأخرى للتقنين والحاجية انها هي مصادر ثانوية تعمل في إطار المرجعية والمسروعية العليا (الكتاب والسنة) والمسجوء المسادر والمدار الأخرى والسنة والوحيء).

٧ ـ دليل الاجماع: فلقد ثبت أن علياء المسلمين وعقلاءهم عامة لم يساورهم في كل عصورهم ربيعة وخدمتها عملا عملا عملا في ضرورة أقامة الامام والحكم الاسلامي، لا نفاذ الشريعة وخدمتها عملا بقاعدة أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب، فاذا كانت الامة كافة مأمورة بإقامة الشريعة وهي جملة النظام الاسلامي الذي اختاره الله لحياة البشر وهو واجب النفاذ، وهم أثمون أن لم يقيموه، لا سبيل الى إقامته الا في مجتمع سياسي مستقل بأرضه وقيادته مشبع قناعة بالشريعة واصولها فأن أقامة ذلك النظام والحكومة الاسلامية، واجب شرعى تأثم الامة كلها

ان لم تبذل اقصى الجهد وتسترخص الأموال والانفس لاقامته.

ويتأكد هذا الاصل بالنظر ألى الشريعة من حيث شمول مضامينها لحياة الناس الاقتصادية والاجتهاعية والحلقية والسياسية وللعلاقات الدولية وللعقوبات. . ففي الشريعة اوامر عامة كإقامة العدل والشورى والمساواة وفيها شرائع تفصيلية تأمر بوسائل محددة لكفالة المحتاجين وتوزيع الشروة منعاً للتكديس . . النج وفيها أمر للاثمة بالعدل والشورى والأمة مروب النساعة والنميية والامر بالمحروف والنهي عن المنكر وفيها اوامر بمحاربة كل ضروب الفساد واوامر بحياية الامة من أعدائها وصيانة الاسلام والدفاع عن المسلمين وتوفير حرية الاختيار للناس كافة والتعريف بالاسلام وحمل رسالته، وفيها نظام مفصل للاسرة ونظام للعقوبات، ونظام للعقوبات، ونظام للتعليم، فكيف يمكن لغير جاهل أو مدخول النية أن يخطر على بالله أن ذلك كله ممكن المتحقق في إطار سياسي يقوم على مبادىء واهداف معادية أو عايدة للاسلام وعلى يد رجال لم تتشيم ارواحهم بقيمه؟ أن ذلك من أشنع ضلالات الملحدين وضحايات الغزو الفكرى، أنه ابليس والردة المعاصرة (١٠).

٣- السلطة الاجتماعية: ولا يعنى التأكيد على ضرورة السلطة فى الاسلام او للاسلام كونها جزءاً منه فليس فى الاسلام امر مباشر بإقامتها ولكن عدم قيامها يأتى او يكاد على جملة الشرائع التى جاء بها الاسلام لانه طالما ان الاجتماع ضرورى لحياة البشر ووقيهم وانهم فى اجتماعهم لا مناص لهم من سلطة تقيم العدل بينهم وان الاسلام هو شريعة لاقامة العدل فان هذه السلطة لا يخلو حالها اما ان تقوم على انفاذ تلك الشريعة فتكون اسلامية واما ان تقوم على إنفاذ شريعة اخرى فتكون غير إسلامية سمها عندثذ ما شئت الا ان تنتسب الى الاسلام.

ان السلطة بهذا التصور لئن لم تكن جزء من الاسلام فهى وظيفة اساسية لقيامه فتندرج بذلك ضمن الوسائل لا ضمن المقاصد. . وقيامها تبعاً لذلك لا يحتاج الى تنصيص من الشارع لأن سنن الاجتماع تقتضيها ضرورة . . وإنها الذى احتاج الى تنصيص وعناية هو الضيانات الاساسية لعدم خروجها عن وظيفتها : إقامة العدل . كالأمر بالشورى والمساواة وإشاعة الثروة ومنم إتيان الحكام الأموال يأكلونها باللباطل ، وإلزام الامة كلها وخاصة علماءها بالحسبة على الحكام وإشاعة العلم كل ذلك لانتاج رأى عام يقظ يقوم بالرقابة العامة لحراسة الشريعة ضد كل انتهاك من الحكام والمحكومين من خلال المارسة الدائمة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. . ا

أن الأسلام لم يحتج الى امر باقامة السلطة لأن سنن الاجتباع تقتضي ضرورة قيام تلك الوظيفة عادلة او ظالمة تماماً كما هو الشأن مع وظائف الحياة .. فلم يأمر الاسلام بالاكل والشرب والتنفس والراحة لان الناس بطبيعتهم يفعلون ذلك وانها احاط إشباع هذه الغرائز بجملة من القيم والتعاليم من شأنها قيام تلك الوظيفة بطريقة ايجابية تحفظ ألحياة ووقيها، فمنع الاسراف والتقتير والبغى والاحتكار كها احاطها بعجملة من الآداب تضفى على الأداء حالاً.

وهذه النظرة للسلطة في الاسلام على الها وظيفة اجتهاعية لازمة تمثل موقفاً وسطاً بين موقف اللاتكيين والعلمانيين) نفاة هذه الوظيفة وهم دعاة نشعلون لتعطيلها مصادمين سنن الدين والاجتهاع، وبين طائفة من المسلمين ذهبوا في غلو شديد الى اعتبار السلطة في الاسلام وظيفة دينية كالصلاة والصيام قد نص عليها الرحى كها نص على قائمة اسمية لمن يجب ان يتولاه بعد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وتتكون تلك القائمة الاسمية من إثنى عشر اماماً وان الايان بتلك القائمة ينقس مستوى الايان بالله ورسله واليون الايان بالله واليوم الآخر، فليس للمسلمين الا ان يسلموا بتلك القائمة تسليماً ويذلك النظام الوراثي

⁽٣٦) للعلامة إبى الحسن الندوى رسالة صغيرة في هذا الشأن عنوانها وردة جديدة ولا إبابكر لهاء إذ ال المرتدين كيا هو معلوم لم يعلن المساورة والشامال التصديدة، وإنا كان رفضه للجانب الإجهامي معلوم لم يتوقع المساورة المقالية المساورة المقالية المساورة المساورة المساورة المساورة المساورة المساورة المساورة المساورة والمساورة المساورة والراكات وقدة مناية الوضوح: الزكاة كالصلاء تلازم الشفيدة فعين الكرد هذه الكرك الله والقالم الاقاليان من قرق بين الساورة والزكاته وقدم بلك في المهد اول حركة علمائية الانكباد في المهد اول حركة علمائية للكركة على المساورة والزكاته وقدم بلك في المهد اول حركة علمائية للكركة عبد الله المساورة الساورة والسابقة السلمة السياسية.

الذى اختلف دعاته انفسهم فى ترتيبه وتسلسله (الله و الله عنه متفقون على أن اتمتهم قد بلغوا من العلم والقرب مبلغاً لم يصله نبى مرسل (الله وهذا بلا ريب غلو ثيرقراطى الملته وكرسته المظالم السياسية ، والعصبيات العرقية ، والمصالح الحزبية الضيفة . وانها الحق وميزان الاعتدال ما ذهب اليه جهور المسلمين قديماً وحديثاً من أن السلطة وظيفة اجتماعية لحراسة الدين والدنياء الدين أس والسلطان حارس (الله وي بهذا الاعتبار سلما مدنية دمية مراطة الدين المن والسلطان حارس (الله وي بهذا الاعتبار سلما مدنية دمية والتقنين الألمى لا تختلف عن الديمقراطية الماصرة الا من حيث علية سيادة الشريعة أو التقنين الألمى على حسب ما يعاشمتها في تحسين اداء تلك الوظيفة الا وهي ما تنص عليه أو تضمنه بحسب ما يوافقه أو محسب ما يوافقه أو

ان الدولة الاسلامية وسيلة لا غنى عنها - طالما ان الانسان اجتهاعى بطبعه وان الاسلام نظام شامل للحياة - لايجاد بيئة اجتهاعية تتبح لأكبر عدد ممكن من افرادها ان يعيشوا روحيا ومادياً في نوافق مع القانون القطرى الذي جاء من الله وهو الاسلام . . ان الدولة الاسلامية ليست الا الجهاز السياسي لتحقيق مثل الاسلام الأعلى في ايجاد امة تقف نفسها على الحير والعدل تحق الحدل وتبطل الباطل في الارض كلها "عنى تكون عبادة الله والتقرب اليه بالطاعات وفعل الخيرات وإقامة العدل امراً مرغوباً ميسوراً مجزياً . . ومحادته بالكفران والمعاص وانتهاك الحرمات وإشاعة الشرور وإقتراف المظالم اموراً بغيضة عسيرة مرهوبة في المستوى الاجتهاعي على الاقل .

ان تصور إتاحة الفرصة امام اكبر قدر ممكن من الناس لتحقيق المثل الاسلامي الاعلى من العيس دون قيام سلطة والاطمئنان الى العيس دون قيام سلطة والاطمئنان الى ال أمة الاسلام بخير طالما حافظت على بعض الشعائر المزولة عن واقع الحياة وانظمتها هو من جهة اولى أنحراف شنيع عن الاسلام ووقوع في الضلال والاثم المين وهو من جهة احرى المسلام لاحداء الاسلام، وتكويس لاستمرار الهزيمة والتجزئة والنبعية والهوان وإيكال الاسلام لمصدو.

من أبحل كل ذلك كان الرفض بل الثورة على الدولة المليانية واللاتكية، والكهنوت الجديد، التي عاشت امتنا في ظلها التجزئة والتبعية والتخلف، والعمل الدائب الفردى والجياعي واسترخاص الاموال والانفس في سبيل اقامة دولة الاسلام واجبا شرعياً ومصلحة

⁽٣٧) اختلف الشيمة الامامية وهي القائمة في ايران اليوم عن الشيعة الزيدية والشيعة الاسباعيلية في ترتيب تلك القائمة با, في الهرادها.

[.] ٠٥ انظر الحكومة الاسلامية لآية الله الخميني، طبعة المكتبة الاسلامية الكبرى بطهران، ص ٢٥.

⁽٣٩) انظر كتب أسياسة الشرعية في تعريف الأمامة; للمارويي ولابي يعلى ولابن فيمية من القدامي ولضياء الدين الريس وقتحي عثمان وعمد سليم العموا والمودوي وغيرهم . . اما عبارة الامام النزالي والدين اس والسلطان حارس. ومالا اساس له فمهدوم ومالا حارس له فضائم، فقد وردت في كتاب: الاقتصاد في الاعتفاد .

⁽٤٠) محمد اسد من كتابه الوجيز العميق ومنهاج الحكم في الاسلام، ص ٧١، ٧١، ٧٠.

^{*} راجع نص رثيقة دستور دولة المدينة في نهاية هذا العدد.

وطنية استراتيجية. فانمه طالما ظل هذا الواجب معطلًا فستظل الامة محرومة من بركات الاسلام وثيار حضارته فى الدنيا الآخرة. . العدل والحرية والوحدة والأمن والتقدم والسلام العالمي والنعيم المقيم فى الدارين.

مقدمة ٢ فها هي مقومات الدولة الاسلامية في المدينة؟

إن الدولة الإسلامية كها تجسدت في المدينة على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين من حيث الشكل تتوفر على جميع العناصر التي تتوفر عليها كل دولة وهي الشعب (الأمة) واقليم وسلطة، ونظام قانوني . وقد حدد دستور المدينة (الصحيفة) بشكل دقيق الفثات التي تتكون منها الدولة . . من مسلمين ويهود ومشركين قد نص عليهم الدستور قبيلة قبيلة ، جميعهم يكونون امة من دون الناس والأمة السياسية ، وقد نصت الصحيفة على حقوقهم وواجباتهم .

أما الاقليم فهو المدينة ويثرب، موطن الدولة الاسلامية الأول. ولقد قام رئيس الدولة بوضيع علامات تبين حدود الدولة وجعلها حرماً آمناً مشعراً المنتقلين منها واليها بأن كياناً سياسياً جديداً قد ولد ((1) كيا حددت الصحيفة موضع السلطة في الدولة الاسلامية من اجل تنظيم امور الشعب والامة. ونصت كذلك على النظام القانوني الذي يخضع له الجميع والمتمثل في الشريعة التي هي مرد كل نزاع.

وأكدّت الصحيفة واجّب التناصر والمسأواة بين جميع الفئات في الدولة والدفاع المشرك عن حرم الدولة ومنع الولاء لاعدائها، والتكافل داخل كل فئة من تلك الفئات ومنع العدوان مطلقاً . . وحرية الاعتقاد وبمارسة الشعائر الدينية .

وتعد هذه آلوثيقة الدستورية المكتوبة ألتى كانت من اول انجازات النبى في المدينة لدى المطلعين عليها من فقهاء القانون الدستورى سبقاً دستورياً لا مثيل له في تاريخ القانون الدستورى جديراً بمزيد من الاهتهام والدراسة خاصة وقد تعرضت الصحيفة لبعض المشكلات المواطنة في مجتمع متعدد المذاهب والمعتقدات مناعترفت المشتركة المشتركة في مجتمع وين أن استفياء وإلى الناس وهي الامة السياسية التي يشترة أفرادها في الارادة المشتركة في التعايش السلمي والولاء لملدولة والدفاع عنها حذلك الى جانب الامم العقائدية امة يهود، وامة الاسلام . الغ. . ولا شك أنه وقد عدت الصحيفة جميع الفتات العقائدية المكونة ليثرب. ما كانت المستنبئ فئات اخرى، ذات عقائد اخرى قد ارتضى اهلها الدخول في هذا المقد لو كانت موجودة فليس هناك ذات عقائد اخرى قد ارتضى اهلها الدخول في هذا المقد لو كانت موجودة فليس هناك موجب لاستثنائهم – الامر الذي يقطع بوجود مفهوم واضح للمواطنة في تلك المدولة يتكون

(٤) يمكن السرجوع للوثائق السياسية للعلامة عمد حميد الله أو لمحاضرة د. معروف الدواليسي والدولة والسلطة في الاسلام، من ٨٨ ضمن ندوة اليونسكو الدولية حول ورقيا الاسلام الحلقية والسياسية، ولقد اورد ابن هشام في السيرة نص الوثيقة، أو الصحيفة . من الاشتراك في الاقليم مع ارادة العيش المشترك فيه والنهوض بها يترتب على ذلك من حقوق وواجبات، ومن عنصر عقائدى هو الذى يضفى على تلك الدولة صبغتها المذهبية ويزودها بالقاعدة او الفكرة القانونية التى تقوم عليها وبالشريعة المنظمة لها وهي العقيدة الاسلامية والشريعة الاسلامية . . فحسب هذا التصور الذى قلمته هذه الصحيفة ونصوص القرآن لفهوم المواطنة في هذه اللولة انه على الرغم من احمية العقيدة والشريعة في تاسيس تلك اللولة وتظهيراتها فانه لا يتمتع بحق المواطنة فيها الا من كان مقياً على ارضها مسلياً كان او غير

ان المواطنة متاحة لكل من طلبها فالتحق بإقليم الدولة وادى الذي عليه. . أما الذين رفضوا ذلك ـ وان كانوا مسلمين فليس على الدولة من ولا يتهم من شيء الا ان يلتحقوا بها . . اما اذا آثروا الاقامة في إقليم خارج الدولة فهم وان كانوا جزء من الامة العقيدية فهم خارج الامة السياسية (۱۲).

وهذا الوضوح الذي قدمه دستور المدينة يدحض ما ذهب اليه بعض المستشرقين وتبعهم بعض رجال القانون الدستورى عندنا مثل الاستاذ عياض بن عاشور الذي زعم في مقال بمجلة وبوفوار POUVOIR الفرنسية: «ان الامة ليس لها كيان واضح ملموس وانها هي تصور غامض، ولذلك فان هذه الامة لا يمكن ان تكون لها ارادة ولا يمكنها ان تعبر مباشرة عن نفسها وإنها الذي يعبر عنها هو فئة الارستقراطية التي تحتكر السلطة والعلمي (٢٠٠٠).

مقدمة ٣ أساس الحكومة الاسلامية:

ان انظمة الحكم لا تتيايز بمؤسساتها السياسية والقانونية التي تدار من خلالها السلطات وتتخذ القرارات رغم اهمية ذلك، بقدر ما تتيايز بنوع الافكار والعقائد والقيم والقواعد التشريعية الرئيسية التي تمثل مضمون نظام معين وروحه العامة وتشكل الشخصية الفردية والعلاقات الجهاعية لمؤسسي ذلك النظام وتصوراتهم عما هو عدل وحق وخير وعما هو ظلم وباطل وشر وعبا هم حقال وحق وخير وعما هم طلم عناء يمكن نقل مؤسسات نظام معين من امة الى اخرى، أما نقل الرح العامة. . وذلك مرد خوا المؤسسات المغربية وقشلها في ان تؤتى خارج اطارها التاريخي والتقانى حتى تلك الشهار الضيلة التي انتها داخل ذلك الأطار. فقد كنا اكدنا صابقا أن الديمة واطبة مثلا ليست عبد اعلان الديمة واطبة مثلا ليست عبد اعلان دستورى لحقوق الانسان وانتقال السلطة الى الشعب واعتياد اسلوب الانتخاب في قيام السلطة التنفيذية والتشريعية ـ فكم من اعلانات ولا ديمة واطبة _ بقدر ما هي تقدير معين السلطة التنفيذية والتشريعية _ فكم من اعلانات ولا ديمة واطبة _ بقدر ما هي تقدير معين السلطة التنفيذية والتشريعية _ فكم من اعلانات ولا ديمة واطبة _ بقدر ما هي تقدير معين

⁽۲۶) يراجع ابر الاعلى المودوى في تفسيره لآية الانفال فواللذين لم يباجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى بياجروا) م (۱۳) عبلة (۱۷) علمة المعارضة) المداد ۱۲ سنة ۱۹۸۰ نقلاع من د. معروف الدواليين في عاصرته السائم اللذي وقد باهم ا وعياضي ضمن رده على المستشرق وافراغان في السياق التال ويراشي بعد وليام اوزائدان الاستناذ عباض بن عاطور من توضى ونت احسب انتي ساجد في كلمته ما يصموح مراضع وازغان وقا به ينرب معه من نفس الكأس، ص ۸ نفس للصادر.

للانسان وللكون وللحياة، تقدير يرسخ فيه كرامة الانسان وحريته وينأي به عن السقوط في هاوية الرق أو الاستبداد (٤٤) . ولا شك أن حسنات النظام الديمقراطي إنها تعود إلى ايجابيات ذلك التصور الانسانوي (Humanisme) الذي قدمته فلسفة عصر النهضة والاصلاح الديني، وإن قصوره في تحقيق التوازن في شخصية الفرد بين مطالبه الروحية والمادية وفي تحقيق التوازن بين مصالح الفرد والجاعة وبين مصالح الشعوب القوية والضعيفة وايجاد السلام والتعاون بينها بدلاً عن الاستغلال والتسلط آنها يعود الى تصور تلك الفلسفة سواء في صبغتها الاصلاحية الدينية التي كرست الفصل بين العقل والروح، والروح والمادة، والدين والحياة ومحاولة المحافظة على توزيع السلطة بين الله وقيصر، أو في صيغتها الفردية التنويرية التم. الهت العقــل وخلقت ديناً ماديا فرديا لئن اطلق العقل من عقاله يجوب الأفاق ويستكملُّ مسميرة المعرفة ليوظفها توظيفا ابليسيا في اشباع اهواء التسلط والمتعة الأثمة. . فقد اطلق الغرائز المحمومة ايضا دون ضابط ولا رادع . . أو في صيغتها المادية الماركسية أو النازية التي كفرت بالله والكنيسة والحرية لتحل محلها آلهة جديدة هي الانتاج والطبقة والحزب والزعيم والدولة. . وتنصب كنيسة جديدة في قيادة الحزب و«بابا» جديد هو رئيس الحزب. . انه في كل الاحوال سمه ما شئت. . «نابليون» أو «هتلر» أو «موسليني» أو «لينين» أو «ستالين» أو «ديغول» أو «ريغن» . . انه في كل الاحوال رمز التسلط الداخلي أو الخارجي والثمرة الطبيعية للانسان المتمرد على الله الطامح للحلول محله. قد تسعد البشرية في ظله يوما سعادة المخدر المخمور لتشقى دهرا، وقد تعرف الابتسامة طريقها في ظله الى فرد أو آحاد او حتى شعب لتنوح مثات الملايين. . قد تضيء اسلاكه بعض الطرقات لتمتلىء القلوب ظلمة وتعاسة . . قد تعر ناقلاته القارات وصلا لتغير عليها نفاثاته وصواريخه الناقلة للدمار قطيعة ومحقا. . انه النبات المسموم الذي تحدث عنه القرآن وكمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما. . وفي الآخرة عذاب شديد، أو هو شنجرة الزقوم التي ولئن كثرت ثهارها وأزينت فها تزيد الجاثعين الاعذابا ونكدا. .

أنه أذا كانت الفكرة المركزية في الخضارة الغربية وحكوماتها الانسان المقطوع عن الله او المتمرد على الله بديلا عن الفكرة المركزية في حضارة القرون الوسطى الاوربية وفي حضارات المتمرد على الله بديلا عن الفكرة المركزية في حضارة العربية للكنيسة ورجال الدين وانصرافه عن حياة الصراع والكدح، فأن الفكرة المركزية في الحضارة الاسلامية ومنها الحكومة الإسلامية وهي انها اداة رئيسية من ادوات تلك الحضارة _ هي الانسان المستخلف عن عادة هذا الكن واكتشاف طاقاته وتسخيرها لتحقيق الحير والحق والمساواة والعدل والحربة والمسوقولية . . الذي أوكل اليه خالقه في عام والمعرفة والثروة للجميع وفق الضوابط والمناهج والقيم والعقائد التي جاء بها الرسل عونا من الله ورحمة غذا المخلوق متى يحقق هذا المخلوق الحر بارادته واحتياره سنن الله في حياته كها تحقيق تلك السنن للدى الكنائتات جبلة وغريزة، فيحقق هذا المخلوق بالعلم والعالم والعقل السنن للدى الكنائتات جبلة وغريزة، فيحقق هذا المخلوق بالعلم والحرية

⁽٤٤) مالك بن نبي، الصدر السابق.

والجهاد التناغم مع الاكوان كلها تسبيحا وصلاحا وارتقاء فيكون بحق سيدها، أو يستسلم لدوافع الهوي في الارض فسادا أو الدوق فيسعى في الارض فسادا أو المدادا أو مذلة وهوانا فيشقى في الدنيا ولعذاب الأخرة اشتى أو ينجح في الابتلاء والتحدى فتكون له جنتان فها اكره من تحد وما اخطره من رهانى.

آن نظرية الاستخلاف وهي الركن الاساسي في الفلسفة السياسية الاسلامية تتضمن: ١/ الاعتراف بوحدانية الله وإنه ـ سبحانه ـ رب كل شيء ومليكه والحاكم بغير معقب

ولا شريك وان قانونه يعلو كل قانون.

٢ / وان الانسان كائن مكرم بالعقل والحرية والمسؤولية والرسالة قد اكتسب بمقتضى
ذلك التكريم حقوقا لا سلطان لاحد عليها وشمل تكاليف لا انفكاك له منها، وهي في جملتها
تشكل عهدا أو عقدا ان يعبد الله لا يشرك به احدا وفق شريعته وانه ان فعل ذلك استحق
من ربه بركات الرضوان والفوز في دارى اللنيا والأخوة. وإذا كانت خلاصة المتيجة الاولى
من ربه بركات الرضوان والفوز في دارى اللنيا والأخوة. وإذا كانت خلاصة المتبحة الاولى
تضمنته من عقائد وشعائر واخلاق ونظم هي في حقيقتها جملة من القواعد القانونية العامة
تضمنته من عقائد وشعائر واخلاق ونظم هي في حقيقتها جملة من القواعد القانونية العامة
وبعض التنصيلات تمشل في مجموعها «الاطار القانوني والعقائدي والاخلاقي للدولة
وبعض التنصيلات تمشل في مجموعها «الاطار القانوني والعقائدي والاخلاقي للدولة
والدلالة، وهدو المدسسور الاعلى للدولة الاسلامية. فان خلاصة التنبحة التأتية لوثيقة
الاستخلاف من الناحية الدستورية اي في التنظيم العام للحكومة الاسلامية: تتنخص في
وشورى الناسي "فاهم عالمية والرين الرئيسيان الملذان تتاسس عليها الدولة الاسلامية وهما قمرتان
لازمتان لنظرية الاستخلاف الركن الاساسي في العقيدة السياسية الاسلامية.

والاسلام والعنف

مقدمة :

كثر الحديث في الفترة الاخبرة من تطور الاحداث في تونس عن «الاتجاه الاسلامي» وهوره فيها جد من حوادث عنف. وازالــة لكـل التبـاس وظن واثـم، واخراجا للقضية من مجال المزايدات والتوظيف السياسي نحب لقرائنا الكرام ان يتابعوا بانتباه هذا المقال التوضيحي.

على اعتبار أن الاتجاه الاسلامي حركة تغيير شامل للواقع بالاسلام لبناء مجتمع اسلامي ، فلا مناص لكي نحدد موقفه من قضية العنف ان نحدد نظرته للاسلام ولمهاج التغيير كها مارسمه الانبياء عليهم السلام ، وللواقع الذي هو مجال هذا التغيير، ثم نتبع هذا الجانب النظري من الموضوع بتتبع تاريخي لهذا الاتجاه وواقعه .

ماذا نفهم من الاسلام؟

ان الاسلام منهاج شامل للتحرر او هو ثورة تحرية شاملة ، انه تحرير للبشرية من الطاعوت الشهرة والخرافات والاستبداد والاستغلال وهو دعوة الى التوحيد وما ينتج عنه من معانى المساواة والعدل والاخوة والحرية وحب الحق ، انه منهاج شامل للحياة يوجب على المؤمنين ليكونوا صادقين في ايهانهم ان ينظموا حياتهم الحاصة ويعملوا على تنظيم الحياة عامة وفق ارادة الله التي كانت دعوة النبي العربي محمد الشيانة اخر واشمل تعبير عنها ، والمتمثلة في القرآن والسنة .

مبررات الدعوة للاسلام في مجتمعنا:

تنطلق هذه المبررات اساسا من التناقض الذي يحس به المؤمن احساسا حادا بين الصورة المشرقة للاسلام التي تغمر كيانه وبين الواقع الآسن والغارق في الوحل، ميوعة وانحلالا وتغريبا ثقافيا وحيفا اجتهاعا واستبدادا سياسيا، وولاءا لا الله ولرسوله لللمؤمن، وانها للاهواء والمصالح والمصبيات والقوى الدولية الشيطانية. وباختصار ان المسلم غريب وان غربته في هذا الجميع تزداد على قدر نمو معارفه وانعتاه من الاستلاب الثقافي ولان الاسلام والتغريب معتنقيه ان يكونوا فعالين، ايجابين اصحاب رسالة خلفاء لله في دعم الحق والمدل والخبر في العالم ومطاردة الظلم والكفر، كان لزاما على هؤلاء ان يجتمعوا على هذه الدعوة ويتفقوا على منام الاسلامي.

منهاج الدعوة الى الاسلام:

وإذا كان الاسلام ربانيا فمنهاج الدعوة اليه فى مفهومه العام لم يترك للاجتهاد الشخصى وانها تولى الوحى والبيان النبوى تحديد ذلك المنهاج. ويتلخص هذا المنهاج فى مرحلتين: أ/ مرحلة بناء المجتمع المسلم أو اعادة بنائه واصلاحه:

ومنهاج الدعوة في هذه المرحلة يتلخص في «البلاغ المبين والصبر الجميل» كها اوضحته عديد الآيات والمرحلة المكية في السيرة النبوية حيث كان النبي عليه الصلاة والسلام يصدع بالحق في إبطال العقائد والمفاهيم الخاطئة وما ارتبط بها من مظالم اجتياعية ومفاسد خلقية واستبداد سياسي، ويدعو الى عقائد الاسلام مبشرا بثهارها في سيادة العدل والمساواة والحرية والسعادة في الدارين متحملا بكل صبر ما يلقاه من اضطهاد من القوى المضادة لحركة التغيير، وافضا كل محاولة من اصحابه لرد العنف بالعنف، داعيا اياهم لمواصلة الهجوم الفكرى على رموز الجاهلية مع تحمل الاذى والآيات في ذلك كثيرة منها:

(أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادهم بالتي هي احسن »، (فاصدع

بها تؤمر في، ﴿ لا اكراه في الدين في، ﴿ إن عليك الا البلاغ في، ﴿ فَاصْبِر صبراً جبلا في.
فكان حرص النبي وكل الانبياء شديدا على الا تلتبس دعوتهم في هذه المرحلة باى تهمة
عنف أو اكراه تكريسا لمبدأ حرية المعتقد والرأى، وحرموا بذلك القوى المضادة من ان يقوموا
بأى ممارسة عنيفة تستغلها في التشهير بهم - فتقيم حواجز بينهم وبين الرأى العام - ووصفهم
بالارهاب والتنام، وكان امتناعهم عن بجابة القوة بمثلها وهم قادرون على ذلك تفويتا
للفرصة على الحصوم من ناحية وآية على صدقهم من ناحية اخرى اذ لا يصبر على البلاه
غوالعذاب الا صاحب عقيدة، فكانت مشاهد التعذيب المسلطة عليهم وهم صامدون في
غولي البلاه
غوالعذاب الا صاحب عقيدة، فكانت مشاهد التعذيب المسلطة عليهم وهم صامدون في
فو قوة الايهان، فيتحول الرأى العام بدافع الاعجاب بالبطولة والثبات في وجه الطغيان وبها
هي قوة الايهان، فيتحول الرأى العام بدافع الاعجاب بالبطولة والثبات في وجه الطغيان وبها
فيط عليه الانسان من كره للظلم الى متعاطف مع اولتك الدعاة ومع ما يؤمنون به، ناتم على الاذى
فضعلهديهم، مستهن بسلطان الجور امام قوة الحق. . . وبديهى أن صبر الدعاة على الاذى
ليس دافعه استيالة الجاهير وانها انتظار الاجر من الله على الالتزام بتهجه.

وهوما نقموا منهم الآ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميدي، ﴿ اتَّقَتْلُونَ رَجَلًا أَنْ يَقُولُ رَبِّي الله ﴾. الله ﴾.

وهى تهمة تحرج القوى المضادة للتغير لان الجهاهم ترفض بفطرتها اضطهاد صاحب المبدأ لمجدد ايهانه بمبدأ ودعوته اليه ما تجنب استخدام القوة. فاذا كانت هذه الجهاهير اسلامية ، ولو كانت هذه الجهاهير اسلامية ، ولو كانت ولو عن غير وعى ، كان ذلك من باب اولى . وعندها ترى القوى المضادة للاسلام - ولو كانت ملحدة - تحرص على اظهار احترامها للاسلام ، فكيف تضطهد الدعاة الى الله ، انه لابد من رميهم عندئذ بأية تهمة عدا انهم دعاة للاسلام ، ومن ثم فكم تكون فرحة تلك القوى عظيمة

بتورط الدعاة او بعضهم في ورطة العنف، وكم يكون اضرار الدعاة بدعوتهم فادحا.

فَهكذا كان شأن الأنبياء في منهاجم لانشاء ألمجتمع المسلم وهكذا تكون أعادة البناء كها اكد ذلك الامام مالك ولا يصلح اخر هذه الامة الا بها صلح به اولها». وفي هذا الاطار نجد كثيرا من الترجيهات النبوية الداعية لتجنب استعمال العنف مع الحرص على الاصداع بكلمة الحق أذا فسدت احوال المجتمعات، تجد نفسيرها لا على انها دعوة للاستكانة وانها هي دعوة الى تصديح المفاهيم وتقويم الموازين مع التسلح بسلاح والصبر الجميل» حتى يستعيد الشعب وعبه.

ب/ مرحلة قيام المجتمع المسلم:

فاذا الله عمل التوعية الاسلامية استجابة الجاهير في قطاعها العريض لهذه الدعوة، فرضيت بتحكيم الاسلام في حياتها، قامت للاسلام دولته وكان على تلك الدولة ان تنفذ حكم الله وتمارس مهامها في نشر العدل ومنع الظلم بين رعيتها.

مسالك الجهاد:

وكثيرا ما ترد شبهة الجهاد عند الحديث عن انتشار الاسلام والدعوة اليه مما يوهم بأن انتشار الاسلام وانتصاره لم يتم الا باستعهال القوة .

والحقيقة أن القوى المضادة للاسلام، لانسانيته وعدله ورحمته لم تستخل مبدأ في تشويه هذا الدين وصرف البشرية المضطهدة عنه كها فعلت ذلك مع مبداً الجهاد. . ولقد ساهم المسلمون في استقرار هذه الشبهة اما بعدم القيام بالبيان المبين في هذه المسألة أو بقيامهم المسلمون في تصويرهم على انهم ارهابيون مع انهم في الواقع ضحايا الارهاب. فكان يكفيهم أن بيبنوا للناس معنى الجهاد وهدفه ، فالجهاد لهم بد ينا الجهاد في نصرة الاسلام ، فكان يكفيهم ان بيبنوا للناس معنى الجهاد وهدفه ، فالجهاد وليد ويجه الله المهد في نصرة الاسلام ، فكان يكفيهم ان السلام في انفسنا أو واقعنا يراد به ويجه الله المهدد المهدين المهدد والمهدد المهدد المهدد والمهدد المهدد والمهدد المهدد والمهدد المهدد والمهدد المهدد والمهدد والمهدد

هوجها

والجهاد يتنوع بحسب المرحلة التى تم بها الدعوة الاسلامية، ففي مرحلة بناء المجتمع الاسلامي أو اعادة بنائه - كها هو حالنا - لا يزيد الجهاد عن مجموعة الاعمال السلمية التي يقوم بها الدعاة من اجل تحقيق الاسلام في انفسهم وتوعية الجهاهير بحقائقه وتنفيرهم من المفاهيم الخاطب الحياها من اجل تحقيق الاسلام في انفسهم وتوعية الجهاهير بحقائقه وتنفيرهم من المفاهيم الحاطنة وما يرتبط بها من الوان الظلم والاستفلال وتجميع صفوف المؤمنين وتربيتهم على التحرر من عبادة العباد لعبادة الله وحده وليس من عمل الدعامة هنا اقامة الحدود وهل الناس على قوانين الاسلام الما الناس يسلموا قيادتهم مارست تلك الدولة سيادتها وفقات احكام الله فنشرت العدل ومنعت الظلم والاستغلال والفساد ولو بالقوة .

وعلى اعتبار أن الدولة الاسلامية تقوم على رسالة أهية كان عليها أن تعمل على نشر الاسلام عن طريق (البلاغ المين) فأذا قامت في طريق الدعاة قوى طاغوتية تستبد بشعوبها وهول بينها وبين عمارسة حرياتها ومنها حرية المعتقد كان على دولة الاسلام أن تزيع تلك الكيانيات المستبدة ولو باستعمال القوة لا لغرض فرض الاسلام على تلك الشعوب وإنها لتمكينها من فرصة التعرف على الاسلام فقيله عن بينة أو ترفضه عن بينة بدون أى أكراه، فهنا ينضاف ألى معنى الجهاد معنى آخر هو القتال من أجل كسر القوى المهيمنة في العالم وقمكن الشعوب من حق تقرير مصرها ما فيه الموقف العثالدي.

لقد كانت حركة الجهاد بكل مَعانيه ثورة ضد الاستبداد والاستغلال ودفاعا عن مبدأ عظيم لم يعترف به العالم الا فى هذا القرن هو مبدأ حرية المعتقد والدعوة اليه، وقد عاشت فى ظل الدولة الاسلامية شعوب شتى ومذاهب شتى لم تحمل على التنكر لعقائدها أو لغاتها.

الاتجاه الاسلامي والعنف:

ان العمل الاسلامي منذ انطلاقته في بداية السبعينات الى يوم الناس هذا وهو يستوحي المنهج الاسلامي في الدعوة الى الاسلام واقتصر عمله على توعية الجاهير بحقائق الاسلام مفندا حجج الايديولوجيات المناقضة للاسلام ناقدا صور التدين الموروثة من عصر الانحطاط متوسلا الى ذلك بمختلف ادوات التثقيف والنشر المتاحة له.

ولقد المرت بفضل الله الجهود المتواضعة التي بدلتها الحرّقة فتنامى الاقبال على المساجد التي كانت قد اقفرت الا من عجوز مدنف، واشتد الاقبال على المشورات الاسلامية، ووسرت روح جديدة في مجتمعنا، فتسارعت حركة بناء المساجد في المؤسسات التربوية والاحياء والمدن وتذكر التونسي بعد سنوات طويلة من الجدب ان له ربا واحدا هم الله ينبغي ان يعبده وحده وان له دينا يقتضي منه التزامات وتضحيات وليس مجرد النطق بكلهات. ان دينه يمثل اقوم منهج لحياة البشر فها باله يهيم على وجهه في دروب الخضارات والايديولوجيات يبحث عن ذاته، تذكر ان حاله:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

فصحا وهاله ما عليه واقعه من تفلت وانبتات وانحلال ومظالم شنيعة يأباها الدين الحنيف فانطلق الى مناهل الاسلام يرتوى من معينها والى شخصيته يعيد صياغتها والى مجتمعه يحاول تصحيح مساره المنحرف مبشرا بتعاليم «الدين الجديد» كها لو كان جديدا حقا .

وكان من الطبيعى ان تصطدم هذه الحركة التغييرية بمقاومة من المجتمع شأن كل مجتمع يدافع عن نفسه ضد كل تغيير، ومقاومة اشد من طرف النظام شأن كل نظام يبحث عن الاستقرار والبقاء، ومن طرف القروى الطامحة للتغيير ولكن في اتجاهات اخرى. ولقد استطاعت القوى الفاشية والرأسهالية من داخل النظام ان توظف اشعاعات الثورة الايرانية وما حملته من رياح التغيير في العالم العربي والاسلامي، فكانت حملة الحزب وهو يعد لمؤتمره سنة ٧٩ ضد الحركة الاسلامية تلك الحملة التي توجت أواخر ٧٩ بايقاف مجلتي الاتجاه الاسلامي «المعرفة» ووالمجتمع»، واعتقال عند من وجوه العاملين للاسلام وايقاف نشاطهم المسجدي، ثم جاءت في بداية ٨٠ هرة قفصة فضيرت الموازين والمهارسات والسرجال والشعارات، ولكن الموقف المترجس من تنامى التيار الاسلامي لم يتغير واستمر المسؤولون الجدد على تعطيل الاعلام الاسلامي بل اضاؤوا ضحية اخرى جديدة والحبيب» وسلسلة اعتقالات متنالية.

وكان من الطبيعى ان يتفاعل الاتجاه الاسلامي مع مرحلة التحولات وتفاقم الازمات التي يمر بها مجتمعنا وشعور الاضطهاد يتعمق عنده يوما بعد يوم.

قَكَانُ للاتجاء الاسلامي من موقعه المتنامي في الفاعدة الشعبية المتضررة من المنهاج المتبع في تسيير البلاد مواقف معارضة .

صمود ضد الاستدراج الى العنف

ان الاسلامين باعتبارهم جزء من القاعدة الشعبية المسحوقة يعانون مجموعة من التوترات والضغوط يشتركون مع غيرهم في مجموعة منها ويختصون في مجموعة اخرى تنطلق من احساسهم الحاد بالتناقض بين الصورة المشرقة للاسلام وبين الواقع المتردى بها فيه واقع التدين التقليدى الذى يمثل هو الآخر مصدر ضغط اضافي عليهم، فضلا هما يلاقيه الشاب المسلم من ضغط عائلي بسبب انتهائه لحركة معارضة متجذرة، فاذا خرج الى الشارع او الى المؤسسة وجد قمعا آخر في شكل سخرية به وبعظهره خاصة أذا كانت فقاة، ويصل الامر حد تسليط غنلف المقدوبات كالزجر والطرد لا لشىء الا لان هذا العنصر يمثل سلوكه نموذجا يخالف النموذج المألوف، فاذا كان هذا القمع على مختلف المستويات بجد دعها ضمنيا أو صريحا من قبل الملاقعة المستويات بجد دعها ضمنيا أو صريحا من قبل الملاقعة المستويات بجد دعها ضمنيا أو صريحا من قبل الملاقعة المستويات بجد دعها ضمنيا شخصية المسلم الملتزم.

فاذاً أضفناً الى هذا القمع الاجتاعي والسياسي الرسمي ما تمارسه فصائل المعارضة بدافع الغيرة والحسد والخوف من تنامي الاتجاه الاسلامي مما تمارسه من دس وايغار للصدور بل من عنف ضد كل منافسيها السياسيين الذين استطاعت باساليبها الارهابية ان تصفيهم تقريبا وتخرجهم من حلبة الصراع، حتى اذا جربت ذلك مع الاتجاه الاسلامي تصدى لها دفاعا عن الحرية في الجامعة وحق كل اتجاه في خدمة قضاياه والدفاع عنها والتعريف بها.

اذا وضعنا ذلك فى الحساب ادراكنا حجم التوترات التى تتفاعل فى نفس كل تونسى وكل معداد معارض بشكل اخص، والتى تفسر استعداد معارض بشكل اخص، والتى تفسر استعداد هذا الاتجاه بل كل اتجاه معارض بل القاعدة الشعبية عامة للعنف، لا ضد النظام فحسب بل حتى ضد بعضها بعضا.

ولكن السؤال الذي ينبغى ان يطرح هو كيف استطاع اتجاه سياسى معباً عقائديا تسلط عليه كل هذه الضغوط ان يمسك زمام نفسه طوال هذه الملدة فلم يتورط في اعهال العنف المتجددة والمتصاعدة في مجتمعنا، فها اندفعت الجهاهير من المساجد المكتظة يوما تحرق او تكسر المساجد المكتظة يوما تحرق او تكسر المساجد المكتظة يوما تحرق به هذا أو تقرب، الذي يقسر هذا الصمود في وجه العنف هو المنهاج الحركي الذي يقمن به هذا المتاقبة والذي يتلخص في «البلاغ المين والصبر الجميل، وهو يتناقض مع العنف اساسا تناقضا لا ظرفيا أو مصلحيا فحسب بل مبدئيا - كما سلف - فضلا عن مردوده السيء على الحركة وتوفيره الفرصة لاعدائها ان يلوثوا المناخ السياسي والاجتهاعي المهيأ لطرح مقولاتها ومبادئها في عاولة لاجهاض تطلعات الجماهير نحو الاسلام رائدا ومنقذا، فالمنف فضلا عن ومبادئها في المنافقة على عبر مصلحة اعدائنا، اعداء الانسانية . نحن نثق في الانسان وقدرة تفاعل هذا الدين مع طبيعته في جو من الحرية والصراع الديمقراطي، في إذا الانسان والعنف غير الحسارة؟ .

ان رفض الاتجاه الاسلامي للعنف هو الذي يفسر المقاومة الشديدة التي ابدتها قواعده في الثانويات للتصدى لاعيال التخريب التي يغذيها شعور الفتيان بالحيرة والفلق وغموض المستقبل وديكتاتورية الادارة، كما تغذيها اطراف سياسية داخل النظام وخارجه تتبني العنف ملهاجا، ورغم ما اجتهد بعض الحاقدين عن لا تحارق لهم في الباس الاتجاه الاسلامي لبوس العنف في الاحداث المدرسية الاخيرة، فاني أؤكد، وسيكشف التاريخ ذلك، انه لو لا تصدى الاتجاه الاسلامي في المدارس لاعيال التخريب لما بقي شيء قابل للكسر او الحرق لم يكسر ولم يحرق ولو صدق رجال الادارة في المدارس لادوا هذه الشهادة ولكشفوا المسؤولين الحقيقين عن ظاهرة الفساد والتخريب الذي يؤمن المسلم انه من اعظم الاثم.

والاتجاه الإسلامي لم يتردد في ادانة أعيال العنف سواء تلك التي حصلت في المدارس أو في المدارس أو الكليات أو في المؤسسات. وإذ ندين اعيال العنف والتخريب من موقع مبدئي وسيلة في محموكة تحديد مصر تونس، فنحن نحمل المسؤولية الكبرى في ذلك لاختيارات النظام ثم لاولئك الذين ينظرون للعنف من داخل اجهزة الحكم ولسان حالم «التونسي ما يمشى الا بالقبوة» ولاجهزة القمع التي تسير بخطي حثيثة في طريق تقريب صورة السافاك لاذهان التونسيين ويقابلهم في صفوف المعارضة اولئك الذين يرفعون جهارا شعار العنف الثورى ضد ما اسموه بالرجعية، منادين «لا حرية للرجعية» اولئك الذين يشكل العنف القاعدة الاساسية في منهاجهم للسيطرة على البلاد والعباد.

ونحن اذنبين هذه الحقائق لا نفعل ذلك من موقع الكيد لاحد أو الخوف من احد، فنحن قوم لا نفتا نروض انفسنا على العمل من منطلق الايان انه ﴿لن يصيبنا الا ما كتب الله لناكه، وإنها ذلك جزء من واجب البلاغ الذي نقوم به ليتحمل الجميع مسؤوليتهم عن وعى. وفحن نذكر في الاخير بها اكده المفكر الاسلامي جودة سعيد بأننا (نريد ان نساهم في بناء مجتمع جديد لا تشيع فيه رائحة الدم والتلمظ للثار ومضغ روح الانتقام والعدوان).

عبل الله وبيوت المنكبوت

من الاخطاء الشنيعة في هذا العصر النظرة الذرية للاسلام التي تحاول تمزيق الاسلام الى أشــلاء تفقــده بهاءه ووحدته وقوته . فيقدم على انه جزء من الحياة أو على انه الحياة فحسب في أحسر: الأحوال .

وإذا كان الجهل بالاسلام أو الكيد له هما الدافع الى تقديم الاسلام كجزء من الحياة، فأن الشمور بالنقص الذي يدفعنا ألى الدفاع عن الاسلام هو الذي جر كثيراً من دعاته الى تقديمه على أنه منهاج للأرض فحسب، فالرغبة في الانتصار للاسلام أمام أعدائه اللدين تقديمه على أنه منهاج على أنه غير صالح لحل مشاكل هذه الحياة وإن الزمن قد تجاوزه وإن مشاكل المعصر الاتحمل المحمر لاتحمل الا بحلول عصرية، هذه الرغبة في الدفاع عن الاسلام دفعت الكثيرين إلى الالحاح على أن الاسلام منهاج حياة فتكلموا وأعلوا في هذا المناهج الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية وتقننوا في أبراز افضلية المناهج الاسلامية على غيرها، وقد استطاعوا بذلك أن يعيدوا المنقة في الاسلام لعدد كبير من المبهورين بالمناهج الغربية.

غير أن هذا الاسلام الذي عادوا اليه ليس الاسلام الرباني وإنها هو اسلام بشرى ولدته الرغبة البشرية في الدفاع. انه اسلام الارض وليس اسلام الساء، (اسلام الدنيا والاخرة)، انه الاسلام الذي تستغرقه الحياة وليس الاسلام الذي يتسغرق الحياة وما بعدها. انه دين دنيوي يعطى لمعتنقيه املاً في الفوز بخيرات الدنيا في التقدم والازدهار والقوة والنصر املاً يلهيهم عيا أعده الله لعباده الصالحين من نعيم مقيم ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾، ﴿بل تؤمِلُ ولها عند الله خير للأبرار﴾، ﴿بل

دنيا تغر وقلوب غلف :

وهذه النظرة الذرية للاسلام على انه مجموعة مناهج أقدر من غيرها على حل مشاكل الحياة ينتج عنها تضخيم لحجم الدنيا في شخصية الداعي المسلم. وإذا كان كل خطأ في التصور ينتج عنه انحراف في السلوك فلا عجب ان تفرز هذه النظرة الى الاسلام تعلقاً بالدنيا ونعيمها والتنافس على خيراتها عما يجفف ينابيح الايان في القلب ويفقده الانس بالله والرغبة في لقائه والتنافس على خيراتها عما يجفه ويندو صلوات المؤمن حركات وتمتهات لا انس فيها ولا خشرع، قد قام اليها متكاسلاً يتمطى كمن ألزم بالقيام بعمل شاق لا لذله له ولا راحة فيه فيتعجبا الانتهاء منه لهيئاً ويرتاح، لسان حاله أو مقاله ينطق: هيا متحجلوا أرغونا منها، على حين كان الداعية الأول عليه السلام يقول: «أرحنا بها يا بلال»، نعم قد تجد من هؤلاء من يبهرك بقوة عارضته في مجادلة خصوم الاسلام وافحامهم، وتجد منهم من يملك عليك اعجابك بشدرته على بيان تفوق مناهج الاسلام الاقتصادية والسياسية والاجتهاعية على غيرها من المناهج، نعم نجد ان من هؤلاء الخطيب المصفع، والمجادل الدلق، والعالم المتبحر في فرع من فروع الدين، ولكن قل ان نجد منهم العابدين من فوتتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً في وندر ان تجد منهم من تخطل اعينهم بالدمع وهم يتلون آيات الله، وقل ان تعر على من ينفق في سبيل الله لا يخشى فقراً تطاردهم الدنيا في يقظتهم ومنامهم، ليس منهم إلا طامع في المزيد، هان عليهم أمر الآخرة وشغلوا عن اهوال المحشر وصعقة الموت وسؤال المحشر وصعقة الموت

و السلام، هذا شأنه أنى له ان ينتصر، انه كغيره مناهيج الارض، فأنى له أن يتغلب على مناهج الأرض، وهي مسلحة بمخالب وأنياب ذرية كثر عندها وافرة عنها، انه غير الدنيا يعطل طاقتنا ويحد من فاعليتها، فاذا اردنا لهذه الطاقات المعطلة ان تتحرك فتكتسح هذا الباطل الجائم على حياتنا فلا مناص من العمل على ارجاع الدنيا الى حجمها الطبيعي في شخصية الانسان المسلم، وتعربتها عن البهرج الذي احاطتها به اوهامنا حتى ينظر البها كها ارادها الله ومطبة للآخرة»، فرصة لامتحان قوانا على اختضاعها لسلطان الله وارادته، ومجالاً لاستخراج ما استودعه الله في نفوسنا من خير وصقلها مما على بها من شرور.

انها الفرصة الوَحيدة للفوز برضاء الله ونعيّمه المقيم عن طريق العمل عَلَى تنفيذ ارادته فى إعلاء كلمة الحق والحمر واستتصال جدور الله حشاكان.

وليس في الـدُنيا فيها عدا ذلك ما يستَحق اهتهامًا وعناية. وانها فيها سوى ذلك ﴿متاع الغرور﴾، وهي وملعونة وملعون ما فيهاء، وهي وأهون على الله من جيفة نتنة».

هل من سبيل؟ :

ما السبيل الى منع حجم الدنيا من التضخم في شخصية المسلم الى أبعد مما أرادها الله؟ لا سبيل الى ذلك بغير العمل الدائب على المحافظة على فكرة اليوم الآخر حية حاضرة باستمرار فى نفس المسلم حتى تقدر على منع حجم الدنيا من التوسع ومن ثم من أن تطغى . وطغيان الدنيا يعنى توجه فاعلية الانسان ونشاطه الى تحقيق اهداف قريبة يجعلها همه . من شهادة ووظيفة وبيت وزوجة ، مما يصرفه عن الطموح والعمل لتحقيق الغايات البعيدة في الآخرة . نصرة الحق والعدل وازهاق الباطل والظفر برضا الله والسعادة الأبدية في الآخرة .

وأهم الوسائل في توجيه مشاعر المؤمن وعواطفه وفاعليته الى التعلق بالبوم الآخر والتطلع الى الحصول على نعيمه والنجاة من عذابه التفكر الدائم في الموت، والاحتفاظ بصورته حاضرة في المؤمن تصد هجيات الدنيا على قلب الانسان وتحرره من اهوائها.

وامر الرسول عليه السلام لنا في هذا الصدد واضح «اكتروا من ذكر هادم اللذات ومفرق الجياعات» . . رواه الترمذي . اذ ان طغيان مشاغل الدنيا واهتهاماتها لا يكون الا بالغفلة عن الموت ونسيانه واللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمناه.

وعا يبعد عنا النفلة عن الموت القيام بين الحين والآخر بزيارات فردية او جماعية لمقرنا الدائم «المقبرة» وذلك تنفيذا لأمر رسول الله عليه السلام «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور الدائم «المقبرة» وذلك تنفيذا لأمر رسول الله عليه السلام «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور الإنفرن حللنا علهم في مساكنهم ونواديهم وسرنا في ضوارع كانوا يخطون فيها جيئة وفعاباً. وكنا منهم أصحاب الجناء والسلطة والدروات الطائلة والقصور الانيقة والوجوه النضرة والقامات الفارقة عتى جاء ملك الموت وانتزعم انتزاعاً عما كانوا ينعمون فيه، لم يصطحبوا من كل ذلك شيئاً غير ما قدموا من عمل، ذهبوا وعاد أهلوهم يسكنون مساكنهم، وطوى النسيان ذكرهم فورسكتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وبين لكم كيف فطننا بهم. المنسيان خمه المغال عامهم عرما قدموا لم يعمل منا قدموا معهم غيرما قدموا معلى خمرما قدموا معهم غيرما قدموا معهم غي

أذكروا هادام اللذات :

يقول الرسول الكريم عليه السلام: «ان للقبر ضغطة لو سلم او نجا منها احد لنجا سعد» رواه احمد، وقال: و . . . وإن القبر اول منازل الآخرة فهو اما روضة من رياض الجنة او حضوة من حضر النار» رواه الترمذي . انه بداية الطريق نحو مصيرنا النهائي ومستقبلنا الحقيقي ينفخ في الصور ويحشر الناس جيعاً ليقف كل منا امام ربه مجرداً من القابه وأوسمته وجاهه وعزه . يقول الرسول عليه السلام: وما منكم من رجل الاسيكلمه ربه يوم القيامة وليس يبنه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى شيئاً الاشيئاً قلمه ثم ينظر أشأم منه فلا يرى شيئاً الاشيئاً قلمه ثم ينظر أشأم منه فلا يرى شيئاً الاشيئاً قلمه ثم ينظر أشأم منه الستطاع منكم ان يقى وجهه النار ولو يشق تمرة فليفعل، وواه الترمذي، وقال حديث حسن استطاع منكم ان يقى وجهه النار ولو يشق تمرة فليفعل، وواه الترمذي، وقال حديث حصن يفادر ذلك الموقف حتى يسأله ذو العزة والجلال عن خمس، يقول الرسول عليه السلام: وعن معلمه على اعداء مسلم.

انها الفقلة وإنه الشيطان الرجيم الذي أقر العزم واقسم المرات امام الله على إخواء بنى أدم واشغالهم بالفائية عن الباقية ﴿قال لأغرينم اجمعين﴾، ﴿قال لأزين لهم في الأرض». ذلك وحده ما يجعل نفوسنا تخلد الى الارض وتتعلق بمتاعها الزائف ﴿قال هؤلاء يجبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً تقيلاً ﴿ ذلك وحده ما يلقى الوهن في قلوبنا ويجعل كلياتنا لا روح فيها وملواتنا تمتيات لا خشوع فيها وقلوبنا وجلة من مواجهة الطاغوت وهتك استار الهية الزائقة التى يحيط بها نقسه والاصداع بكلمة الحقى عالية بهز النفس الغافلة وتزلزل دعائم الباطل المستحكمة.

فلنداوم على تذكير انفسنا بالموت واهواله والساعة ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ روى ابن ابى الدنيا ان رسول الله ﷺ اذا انس من اصحابه غفلة نادى فيهم بصوت رفيع ، «اتتكم المنية راتبة لازمة اما شقاوة او سعادة» اخرجه الحافظ العراقي في الأحياء .

وقال جابر «كان اذا خطب رسول الله ﷺ فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر بجيش» اخرجه الحافظ العراقي في الاحياء .

وعن الحسن أن المرسمول عليه السلام ذكر الموت وألمه فقال: «هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف» اخرجه الحافظ العراقي في الاحياء.

وقال جابر: «روى عن النبي ﷺ في خبر وفاته انه كان عنده قدح من ماء يدخل يده ثم

يمسح بها وجُّهه ويقول: «اللهم هوُّن على سكرات الموت» متفق عليه.

وعاً يذكرنا بالموت ويقلص من حجم آلدنيا في قلوبنا ما سنه الرسول عليه السلام للأمة من تشييع المؤتم الى قبور النابرة التي من تشييع المؤتم الى قبورها ومن عيادة المرضى، ومن الوقوف على آثار الشعوب الغابرة التي شغلتها زخارف الدنيا عن ذكر الله حتى عاجلها الله بعذابه ﴿أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنويهم وما كان لهم من الله من واق. (

حب الدنيا وكراهية الموت:

ولقد حصر الرسول عليه السلام في الحديث الذي رواه الترمذي، والذي أخبر فيه الرسول عليه السلام بحالة من الضعف والوهن ستصيب الامة فيحتقرها اعداؤها وتجتمع كلمتهم ضدها لنهب ثرواتها، على الرغم من كثرة عددها ووفرة ثرواتها، حصر الرسول سبب ضعف الأمة ووهنها في امرين: حب الدنيا وكراهية الموت. ويوشك ان تداعى عليكم الأمم كيا تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا أو من قلة نحن يا رسول الله؟ قال: كثير ولكن غناء كفناء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت، رواه مسلم.

والتُعلقُ بالدنيا وتضخم حجمها في الانسان مرده دائماً الى فرارنا من الموت وسكراته والقبر وضغطاته، والمحشر واهوائه، ذلك وحده سبب انكسارنا وذلنا وهواننا بين الامم، وانتشار

الباطل والفساد والألحاد والهزء علينا بقرآننا ونبينا ولا من مجيب.

ان الناس وقد جعلوا الدنيا اكبر همهم ومبلغ علمهم لا يقبلون دعوة لغير ما يصلح دنياهم. ولقد ننساق في هذا السبيل فنقدم لهم الاسلام على انه قادر على حل مشكلاتهم الاقتصادية والاجتياعية والسياسية، وننسى أن نحدثهم ان الاسلام لم يأت ليحل مشكلا عاجاً ، كفلسطين أو الفلين او غيرها من المشاكل القريبة العاجلة فحسب، وانها جاء ليهيئهم لحياة الخلود، ليعطى حياتهم معنى وهدفاً فيجعلها مرحلة اعداد مرحلة إعداد وزرع للحصاد في الآخرة، فينذرهم ويبشرهم، ينذرهم بالعذاب الابدى ان هم حادوا عن منهج الله ونظروا الى حياتهم على انها دار متعة، ويبشرهم بسعادة الآخرة ان هم جعلوا العمل للآخرة نصب أعينهم. وعندما تتجه القلوب الى لقائه وتفزع من عذابه فيأخذ الاسلام بأيدى الناس في هذه الدنيا فيحل مشكلاتهم القريبة، بل ان العمل للآخرة الهدف البعيد، يجعل الإهداف القريبة «الدنيا» تجد حلها التلقائي في الطريق.

«ومن جعل همه الآخرة كفاه الله هم الذَّنيا والآخرة» ويقول الرسول عليه السلام: «ان الدنيا خلقت للمؤمن ولكن المؤمن خلق للآخرة».

فليس في الدنيا ما يستحق ان يعيش من اجله المؤمن. انه اكبر منها يمتطيها ليصل بها الى هدفه البعيد فومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الأخوة من العبيد فومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الأخوة من نصيب في .

الاسلام لم يات لينافس الدعوات الاخرى فيها هو قريب عاجل، وانها جاء لعيطى لحياة النساس معنى اسمى مما هو في الارض، انه جاء ليهيىء البشرية لحياة الخلود في النعيم الابدى. فلنحذر من ان تستدرجنا الجاهلية الى التخلى عن هدفنا البعيد ومنهجنا القويم فنستبدل بحبل الله المتين بيوت العنكبوت.

الفصل الثاني

العروبة والاسلام

1414

لقد كان احتلال لبنان وجازر صبرا وشاتيلا والمواقف المخزية والمتواطئة للانظمة العربية وسلية الجاهر تعبيرا صارحا عن فشل حركة التحرر العربي في تحقيق ما لوحت به من اهداف -خلال قرن - في تحقيق العدل والحرية والمساواة والوحدة، تلك الاهداف التي - على نبلها وضخامة الجهود التي بفلت في سبيلها - لم يزدد منها وطننا العربي الا بعدا، حتى كادت الجاهير ان تعزق بسبب ذلك في خضم لا نهاية له من اليأس والفوضي وتتجه نحو مزيد من التقلص والانكياش تاركة المجال فسيحا للحكام العملاء والمتخاذلين ليهارسوا ما شاؤوا من ضروب القمم والعهالة ، لا يخشون رقيبا ولا يرعون حرمة .

لقد عجزت حركة التحرر العربي . بمختلف فصائلها وتنظيماتها وشعاراتا . عن تحسس نبضات الجماهين، منبتة عن همومها وقيمها وعواطفها، وأنِّي لها ذلك وهي مُسْقَطة في هياكلها واسسها ورؤاها وإيديولوجيتها اسقاطا، بل متسلطة على الجاهير تسلطا. فلتن كانت الاهداف المعلنة واضحة النبل ولا تكاد تختلف في كثير من الاحيان الا في الترتيب (حرية اشتراكية وحدة ، أو وحدة حرية اشتراكية) فان الوسائل التي اعتمدتها والاسس التي قامت عليها والشرائح الاجتماعية التي تعاملت معها قضت عليها بالانبتات والاغتراب عن الروح الحقيقي للجاهس فلا عجب أن تتجذر القطيعة وتتسع الهوة بين الجاهير وتلك الأنظمة. والتنظيات وان يدفع اليأس والعجز تلك التنظيات والانظمة الى النقمة على الجماهر ونفض البد عنيا وعبورة خططها حول الاستبلاء على الجهاز الحكومي من اجل استخدامه اداة لفرض غططاتها على الجاهر وحملها بسيف السلطان على مارفضته بحريتها واختيارها وذلك بدلا عن تقويم تجربتها ومراجعة مناهجها. فكانت منذ بداية الخمسينات سلسلة الانقلامات «الثورية» التي ولش أطاحت بأنياط من الحكم متخلفة، فانها لم تجتث العمالة والاستبداد، بل جل ما في الامر انها غبرت الأسياء والعناوين. بل ان الارهاب أخذ طابعا أكثر صرامة وأجهضت حتى شكليات الديمقراطية التي كانت متوفرة في مرحلة ما قبل الثورة وزاد اغتراب الجاهير . تحت نير تلك الانظمة والتنظيات . عمقا حتى غدا المواطن لا يكاد يفقه شيئا أو يصدق شيئا من الخطاب السياسي الذي يردد على مسامعه قهرا آناء الليل واطراف النهار، وخلت أو كادت حياته من الهموم غير القوت وانتظار الموت وخشية البطش. فهاذا ينتظر من مواطن فاقد لكل معنى من معانى انسانيته ان يهتم بغير الهموم الصغيرة ، شأنه شأن العبد كما قال عنتر لما دعاه والده الى رد العدوان عن القبيلة، فاجابه والعبد لا يحسن الكر والفر، ولكن الحلب والصم ، فادرك والده قلق ولده بالحرية وإهمية الحرية بالنسبة للمقاتل فبادر الى اجابته (كر وانت حر) فانقض كالصاعقة على الخصوم حتى ردهم على اعقابهم خاسين. لقد كانت خيبة الجاهير مريرة وشاملة على جميع المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتهاعية! فاين الوطن العربي اليوم من الاشتراكية والحرية والديمقراطية والوحدة؟.

الفصل بين الموقف العقائدي والسياسي

ان مسؤولية هذه الوضعية - البأس والعطالة التي عليها الجاهير- تتحملها اساسا الانظمة والتنظيمة وخاصة تلك التي حكمت وحتى التي لم تحكم، فهي التي افرغت النضال الجاهيري من محتوياته وأسسه العقائدية والروحية والاخلاقية التي كانت الوقود المفجر الجاهيري من محتوياته وأسسه العقائدية والروحية والاخلاقية التي كانت الوقود المفجر الملتابية وتحولت من ذرات رمل متكومة الى بنيان مرصوص، الى قوة لا تفهر. انها مسؤولية المنساسي الاجتماعي تحت تأثير الفكر المنابي المبري المباني المبري المباني المبري المباني المبري المبائدي المبائدي للمواطن والموقف السياسي الاجتماعي تحت تأثير الفكر والسياسية الى الحرية والعدالة مجرد شعارات جوفاء لا يسندها اي اساس عقائدي يؤصلها ويوجهها ويمرك طاقها المباني المبري وتستلذ الموت في ويوجهها ويراك طاقها وينفسح مفهوم طريقها لبناء الحياة والاجتماعية والمبائدة عبر اللامتناهي في الحياة الابدية وتضيق هوة التناقض بين المصلحة الفردية والاجتماعية، لان الفرد عندئذ يشعر انه بقدر ما يضحي بمصالحه العاجلة المسلحة المردية والاجتماعية، لان الفرد عندئذ يشعر انه بقدر ما يضحي بمصالحه العاجلة - لصالح الجاعة بيقدر ما يمتق مصالحه الاجلة - ارحم من في الارض يرحمك من في السهاد وسيستلذ كار عطاء آملا في حياة الخلود.

ولقد حرم ذلك الفصل عقائد الاسلام في فرصة التجربة والاختبار وتركها بموبهات روحية وصواعظ اخسلاقية لا علاقة لها بصمرورة الحياة المتجددة وتيارها المتدفق مما اقعبر الفكرة الاسلامية وجمدها في شعائر تعبدية وقوالب تراثية عاجزة عن استيعاب التطور وابداع صيغ جديدة للاسلام قادرة على استيعاب تلك التطورات والتحكم فيها وتوجيهها وفق القيم الاسلامية ضمن البرنامج الالاهي لحياة البشر.

إنشطار حركة التحرر

لقد ظلت حركة التحرر منشطرة بين:

1. تيارات قومية علمانية بدرجات متفاوتة في انبتائها عن العمق الجهاهيرى الذي يمثل الاسلام لحمته وسداه. فمن تنظير حصرى لا يرى في الدين غير عامل ثانوى في بنائه القومى، الى تنظير عفلقى ـ وان كان اقل علمانية واكثر تأكيدا على دور الدين في البناء الحضارى العربي ـ الا انه لم ير لمحمد ﷺ مكانة غير كونه إحدى وأبرز تجليات القومية العربية، هادما من الدين عنصر الوحي وهو مركز الحضارة الاسلامية وروح الاسلام وبعده العالمي، الى ناصرية عومت الاسلام ضمن مبدأ فضفاض هو احترام المبادىء الروحية والديانات الساوية فافرغ الاسلام في «فلسفة الثورة» من كل خصوصياته.

ب _ تيارات ودعوات اقليمية ضيقة حملت سيئات سابقاتها في محاولة ارساء مفهوم علماني للدولة والمجتمع يستوحي نهاذجه من الغرب الرأسهالي أو الاشتراكي، بل اسوأ ما فيهها. وأضافت اليها الغاء البعد العربي منخنقة ضمن حدود ضيقة. فلم يكن امامها غر الارتماء

في احضان الغرب من اجل الاستعانة به بل توكيله في حل مشكلاتها.

ج - تيارات دينية - لئن بذلت جهدا كثيرا في نفض ركام الانحطاط عن الاسلام وتحريره من بعض ظلمات القرون والوقوف به في وجه تيارات التغريب العاتية، مستنقذة طرفا من الجيل مُّشِتَةً اقدامه في ارض صلبة من تاريخه وثقافته وعزته، حاملة بشدة على تيار التقليد الغريم، مبلورة مجموعة من المباديء العامة حول النظام الاسلامي، الآ انها ظلت قاصرة عن استيعاب التجارب المعاصرة في الميدان السياسي الاجتباعي ونحت صورة معاصرة للاسلام، منجذبة الى الماضي كصورة وحيدة للتطبيق الاسلامي، عاجزة عن فهم الواقع الاسلامي وتحليله وبلورة البديل الواضح عنه، وذلك بفعل استمرار مجموعة من الافكار الهدامة التراثية واستمرار فعاليتها في الفكر الآسلامي المعاصر، ثما ابعده عن خوض غيار الصراع الاجتياعي والسياسي لاكتشاف الابعاد الثورية للاسلام وتحريره من الافكار الرجعية التي تلبست به عبر القرون وتسربت الى كتب التفسير والحديث والفقه، فغدت معوقا اسياسيا في اكتشاف قوة الاسلام وقدرته القيادية. ومن ثم كان حجم الفكر الاسلامي السياسي والاجتماعي -بسبب ذلك وبسبب سيطرة الاستبداد باسم الأسلام محدودا بالقياس الى الفكر العقائدى والشعائري، فلم ينم في المسلم الحس الأجتماعي السياسي الثائر على الظلم والاستبداد والفوارق الطبقية وبؤس الجماهير والنقمة على القنوى القمعية والاستعمارية نموحسه الاخلاقي والعقائدي ضد الالحاد والزني وشرب الخمر وانتهاك حرمة الصيام بالافطار في رمضان.

ردود الافعال بين الفكر القومي والفكر الاسلامي

ولان الفكر القومي كالفكر الاسلامي نميا في بيئة يسودها التخلف الحضاري وتتصارع فيها قوى يعوزها الوعَّى أو الاخلاص فقد طوردت الفكرة الاسلامية من الحقل القومي ــ بتأثير الفئات والطوائف غير الاسلامية التي كان لها تأثير فعال في انطلاقة الفكرة القومية العلمانية في مرحلتها الاولى - كما طوردت الفكرة القومية من الحقل الاسلامي - بدافع رد الفعل - ، وتسنى للمستعمر ان يدفع ذلك المبراع الى اوجه لتجذير التمزق داخل الوطن العربي وتكريس عقدة الصراع والعداء والحساسية بين الفكرة الاسلامية والقومية ، بين العروبة والاسلام.

ورغم أن مغربنا لم يعرف _ بحمد الله _ تلك الملابسات بسبب عدم وجود طوائف غير اسلامية ، مما لم يكن منتظرا معه تبعا لذلك أن يثور جدل ما _ في هذه الربوع _ حول صلة العروبة بالاسلام ، فكأنها في الحس العام مسميان لشيء واحد ، اسمه عروبة أو اسلام . فلقد كان ولا يزال عسيرا على اطفالنا وعلى عامة الناس أن يتصوروا مكان الفصل بينها . ولكن لان كلاً من الفكر القوصي والفكر الاسلامي في مغربنا لم ينشأ نشأة ذاتية بل نشأ متأثرا بالتيارات الفكرية الإسلامية والقومية الواردة علينا من المشرق، فقد تسربت الى بيشنا من بالتيارات الفكرية الاسلامية أو الجفوة بين العروبة والاسلام _ وأن بقى انشارها حتى الأن عدده الحساسية أو الجفوة بين العروبة والاسلام _ وأن بقى انشارها حتى الأن عدده الحساسية نشائد النموء مما يقتضى ضرورة الاسراع بتدارك الوضع قبل أن يستفحل حتى لا نحد أنهمنا عبر خصوم العروبة والاسلام .

وان ما يقتضيه هذا التدارك تقديم تحديد واضح لكل من هذين المفهومين وطبيعة العلاقة بينهما درءا لكل التباس وحرمانا لكل مفسد أو طيب النية قاصر الادراك من ان يضل أو

يضل.

مفهوم الاسلام:

أما الإسلام وباعتباره برنامجا إلهيا شاملا لحياة البشر تلتحم فيه الرؤية العقائلية الرجودية والمندم المجتاعي فلو طبيعة عالمية انسانية لا يهارى فيها. فرغم ان العرب كانوا ارض الاستقبال له وقلعة النضال الاولى وفرسان السيف والعلم لنشره والدفاع عنه، فقد كان توجهه منذ البداية عالميا انسانيا - دونها اى تمييز - وظلت الامة الاسلامية رغم اقوار شعوبها المختلفة بمكانة متميزة للعرب، يقوم بناؤها - رغم انحرافات الحكم - على اساس عقائدى هو مدار الرباط الاجتباعي ﴿ إِنَّهَا المُومُونُ الْحَوَةِ ﴾ ...

نعم احتلت اللغة العربية في ظل الملذ الحضارى الاسلامى اهمية بالغة باعتبارها لسان المرحى والسبيل للوقوف على اعجازه البانى الوائع وادارك مفاهمه وتعاليه، ومفتاح العلوم الوحى والسبيل للوقوف على اعجازه البانى الوائم وادارك مفاهمه وتعاليه، فكان لذلك الاثر الاسلامية. فاكتست العربية بذلك طابعا عليا انسانيا وتوحدت لمجاتها، فكان لذلك الاثر الفعال في ابراز الهوية العربية الموحدة على المستوى الثقافي والسياسي، كها كان له دور كبير في تعريب طوائف كبيرة من غير العرب، وامتزج في اطار الاسلام وعروية اللسان عدد كبير من الشعوب والثقافات والحضارات وتوحدت تصوراتها وقيمها وتعاونت على خدمة العربية والاسلام لانتاج أول حضارة عالمية انسانية في التاريخ.

مفهوم العروبة:

اتخذ مفهوم العروبة عبر التاريخ معانى وابعادا كثيرة اقتصر بعضها على اللغة كمحدد اساسى كيا ورد فى حديث الرسول «عليه السلام» (ايها الناس ليست العربية باحدكم من اب وام وانها هى اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربى) مؤكدا بذلك ضرورة تجاوز النظرة العربية فى تحديد العربية فى تحديد العربية فى تحديد العربية عناساريا واجتهاعيا يفتح ذراعيه لكل الراغيين فى التعرب.

ولازالة كل الحواجز الشعوبية والعرقية التى يمكن ان يولدها التعصب ضد العرب ويحول بين الشعوب وأن تتعرب، أكد النبى عليه السلام فيها رواه الامام احمد انه ولا يبغض العرب الا منافق، . وفي هذا السياق خاطب العلامة الباكستاني ابو الاعلى المودودي بلسان المسلمين خاطب العرب (ايها العرب كونوا مسلمين لنكون نحن عربا) .

ولوثاقة الصلة بين اللغة والفكر وصلة الفكر بالاسلام في حياة العرب منذ غدا الاسلام مصدر المقائد والتصورات والشعائر والنظم والقيم والآداب والفنون، امكن تحديد العروية تحديدا ثقافيا تعد اللغة العربية بمضامينها الفكرية وحسها الاخلاقي اهم مفهوم لها، رغم ما تثيره عروية لا تقوم الا على اساس لغة وثقافة عربيتين من صعوبات وحساسيات عرقية سواء على صعيد بعض الأقليات غير العربية في المشرق مثل الاكراد، أو على صعيد مغربنا _ بشكل خاص _ حيث يشكل البرير ما لا يقل عن ثلث السكان في الجزائر والمغرب - وهم شديدو التمسك بخصوصياتهم والتصدى لكل محاولة لصهرهم في اطار عربي .

ولقد اضيفت في تحديد العروية عناصر اخرى الى عنصر اللغة شل البعد الجغزافي (وحدة الارض) والبعد التاريخي (وحدة التاريخ العربي) ووحدة الامال المشتركة (وحدة المعير). ولحدة الامال المشتركة (وحدة المعير). ولكن كل هذه العناصر التي نظر اليها في المراحل المبكرة لنشأة المفهوم القومي على انها تكفي نفسها بنفسها وتغنى عن غيرها - بها في ذلك الدين - في اسعاف العرب بايديولوجية تقدم اساسا للنظام السياسي والاجتماعي والثقافي والاخلاقي، كشف وضع تلك المبادئ موضع التنفيذ عن طوباوية هذا المظور القومي وقصور عتوياته، فانطلق منظروا القومية خارج الاطار المتقامم للبحث عن ايديولوجية تكون مضمونا للعروية أذ العربية كلغة وكذلك التاريخ العربي والارض العربية والشوق الى الوحدة، هذه العناصر كلها لا تنطوى متفرقة أد يجتمع على ايديولوجية تحدد شخصية الانسان العربي من حيث التصورات والقيم وتقدم أد عبد العربي أسسا لنطامه الاجتماعي والسياسي. ولقد دفع هذا الفراغ والمعيدة القومين العرب على الديولوجية بالنسخ مرة عن الغرب الراسهالي واخرى عن الغرب الاشتراكي وثالثة بالمزج بينها، والتلفيق والاتكاء احيانا على بعض الحشب النخوة من القراف.

لكن لم تلبث عملية البحث عن ايديولوجية للقومية ان عصفت بشعار الوحدة وأورثت

العرب مزيدا من التمزق بحسب اختلاف المصادر والجهات التي استعاروا منها مضامين حياتهم، وبرزت مفاهيم جديدة للاخوة بينهم والروابط السياسية، فليس العرب - الآن - هم الاخوة وانها التقدميون منهم اخوة والرجميون اخوة. وداخل كل من هؤلاء وأولئك برزت تنافضات وصراعات استحال معها اللقاء على كلمة سواء. وانتهت تلك الصراعات الى قتور الحلياس الجياهيري لشعارات العروية والوحدة، وعجزت الانظمة التي قامت على اساس الايديولوجيا العروبية عن مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تحيط بالوطن مثل التخد في والاستبداد والفوقة والاستمار والصهيونية. وما كان لها نجاح باهر في غير تكريس مزيد من التمزق والاموليات العربية ألى فشل ذريع على جميع المستويات والى خيبة امل مريرة.

لقد قدمت العروبة الى الجاهير (في طورها الثاني الايديولوجي؛ لا على انها مجرد ثقافة عهادها العربية لغة الجهاهير بل على انها دين يزاحم الدين ويصر على الحلول محله كها هو الحال بالنسبة للايديولوجيا البعثية خاصة «حيث يمثل البعث رسالة الامة الخالدة» وكذا الناصرية في طورها الثاني. فكان طبيعيا ان ينتهي امر الجَهاهير مع هذه الايديولوجيا بعد التعرف عليها من خلال الواقع المرير الذي تولد عنها الى الانكهاش عنها ونفض اليد منها او اللامبالاة بها، واتجهت تصيخ السمع الى الدعوات الدينية وتنضم اليها في مقاومة الايديولوجيا العروبية على اعتبارها مسؤولة عن الكوارث التي حلت بها وتنظر اليها نظرتها الى الاجنبي الدخيل. ذلك ان الدعوات الدينية قد رفضت ـ بدافع رد الفعل والملابسات التي صاحبت نشأة القومية على يد الاقليات غير الاسلامية ذات الصلات المشبوهة مع الغرب ـ مفاهيم القومية جملة دون تمييز بين مستوياتهما المختلفة، مستموى الموجود الوَّاقعي والمستوى المثالي الايديولوجي. فالعروبة في المستوى الواقعي الموضوعي هي معطى واقعي لا يمكن التنكر له أو الانسلاخ عنه الا بتنكر الانسان لذاته والانفكاك عنها، فكما أن الهندي لا ينفك عن هنديته والفرنسي لا ينفك عن فرنسيته كيف ينفك العربي عن عروبته وهي رصيد اساسي لتوحيد المشاعر والافكار والوحدة السياسية والتحرر الاقتصادي من الهيمنة الاستعمارية والتحرر من الغزو الثقافي شريطة ان يعانق الاسلام روحها. لا لمجرد تحقيق الوحدة والنمو الديمقراطي وتحرير الارض بل أكثر من ذلك، تحقيق مشروع حضاري انساني لانقاذ العالم من براثن الامبريالية العالمية بمختلف مفاهيمها وامتداداتهما المدمرة، مشروع تكون العروبة مركزه وجسده والاسلام روحه.

ان شعرر الانتياء الى قوم والى وطن شعور فطرى. وما يكون لدين الفطرة ان يقاوم هذا الشعور ولكنه يؤصله وينظمه شأنه مع كل المشاعر الفطرية. سأل واثلة بن الاسقع ويا رسول الله أمن العصبية ان يجب الرجل قومه؟ قال: لا. ولكن ان ينصر الرجل قومه على الظلم، ا اما العروبة العقائدية فهى مفهوم ايديولوجي معاد للاسلام، بل انها ظهر لهحل محله ويلجئه الى كهوف الزوايا والساجد وشعائر التعبد، وهى عروية يجد الاسلام نفسه ازاءها في موقف الدغاع عن نفسه فيقاومها مقاومته لكل خطر يتهادد وجوده. وتنادج ضمن هذا الفهوم القومي التي معظم التصورات القومية التي شهدها المسرح الفكرى والسياسي العربي كالبحث والناصرية وكتابات ساطع الحصري وميشال عفلتي وقسطنطين زريق ومنيف الرزاز وطع حسين ولطفي السيد وعصمت سيف الدولة. وعموما كل الاعبال الفكرية والسياسية التي نظرت لاستيماد الاسلام كأساس رئيسي في تنظيم الحياة العربية في جميع بجالاتها أو اعتبرته عود عامل ثانوى في البيئة القومية، وتبست بشكل أو اخر الرؤية العلمانية للكون أو للانسان والمجتمع أو لها جميعا، في صورة من صورها، او اكتفت من الدين باستخدامه استخداما براغياتيا نفعيا في تعبتة الجهاهير وتحريكها أو تبرير بعض مقاهيمها من باب مخاطبة الناس بها يفهمون كها فعل ويفعل كثير من رجال السياسة والفكر في الوطن العربي والاسلامي، سواء في البلاد الموسومة بالتقدمية أو اختها الموصومة بالرجعية، فكلها تقف من الدين موقفا عهانيا هو الكفر أو النضاق، طالما ان الدين لا يمثل ايديولوجيتها، ولا يعتمد اليوم الاسلام الإيلوجية نظام غير النظام الايراني - رغم كل ما يمكن ان يؤاخذ به على الصعيد النظينية.

موقف الاسلاميين من تونس:

رغم ادراك الاسلاميين في تونس لطبيعة العلاقة بين العروبة والاسلام وتمييزهم بين مفهوم وجودي واقعى للقومية لا يمكن الا أن يقبل كجزء رئيسي في كياننا الواقعي. ومفهوم ايديولوجي يريد ان يجعل من العروبة عقيدة ونظاما للحياة لا يمكن الا رفضه، فان ذلك لم يمنعهم من ابداء تاييدهم النقدي لكل محاولة للوحدة بين قطرين او اكثر في الوطن العربي والاسلامي على اعتبار ان الوحدة تمثل اتجاها صحيحا في خط التاريخ والاعتقاد وان أعوزت تلك المحاولات أسباب التحقق او الاستمرار. ولعله يحسن أن نذكّر ان أول مرة تعرضت فيها مجلة «المعرفة» للمصادرة ـ وقد كانت لسان حركة الأسلاميين في تونس الوحيد سنة ١٩٧٤ _ كانت بمناسبة تأييدها لاعلان الوحدة بين تونس وليبيا، ذلك المشروع الذي تصدت له كل تيارات التغريب الرأسهالي والماركسي، وذلك ايهانا منا ان توحيد العرب ضرورة عقائديةً ووجودية لا مناص منها اذا اردنا ان نكون منسجمين مع مبادثنا ومقتضيات عصرنا. ولكن لاننا نعتبر الوحدة مشروعا حضاريا وليس مجرد شعار دَعَاثي او علاج ظرفي لمشكلات راهنة فاننا لا نرى سبيلا لانجازها _ بحسب ذلك _ الا بالعمل على ارساتها على اسس راسخة من ثقافة الاسلام وتصوراته وقيمه حول الوجود والحياة والانسان ينبثق عنها مشروع اجتماعي لتوزيع الثروة بعدالة حسب الجهد والحاجة ومشروع سياسي للديمقراطية يعيد للجاهب حقها في المارسة اليومية للحكم، ومشروع ثقافي حضاري - عامة - يعيد الانسان الى مركز الوجود بعد ان هشمته حضارة الغرب وجعلته مجرد اداة في يد رأس المال او الحزب او الدولة، مشروع حضاري يمكن ان يلتقي حوله المسلم بالعقيدة من العرب أو المسلم منهم بالنقافة والحضارة فحسب أو العربي بالاسلام من الاقليات الاسلامية غير العربية في الوطن العربي. كما يلتقى حولها كل أنسان بقطع النظر عن لغته ودينه. وعندها يغدو توحيد العرب - الذي يمكن أن يسار اليه بتدرج - ليس مرحلة ضرورية لتوحيد الامة الاسلامية وبعث كيانها الحضاري والسياسي من جديد - في عالم تتناطح فيه الرؤوس الكبيرة ويكون الصغار هم الضحية - ليس ذلك فحسب بل خطوة لتوحيد البشرية كلها استجابة لنداء الله وقد كان أول نداء تدعى فيه البشرية كلها بدون أي تميز الى نبذ أسلوب الحرب والعدوان في العربية البشرية كلها بدون أي تميز الى نبذ أسلوب الحرب والعدوان في العلاقات البشرية واعتهاد التعارف والتعاون والاحسان والخير والسلام في العلاقات بين مختلف التجمعات والقوميات. أليس الجميع تجمعهم الاخوة المنبئية من وحدة الاصل؟ فيها أناس إنا خلفائكم من ذكر وأنش وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم في الحجرات إيوري.

الوحدة في التنوع:

وفي هذا الاطار الحضارى يمكن لكل المجموعات الموطنية على اختلاف رؤاها الايبولوجية وبراجها ان تجد مجالات للقاء والتعامل والتعاون وحتى التحالف على الصعيد السياسي والاجتهاعي لتحقيق كبان اجتهاعي تسوده الديمقراطية والعدالة الاجتهاعية ويقاوم السياسي والاجتهاعي لتحقيز كبان اجتهاعي السعار والتبعية. كل ذلك مع استمرار الصراع الايديولوجي الفردى والجهاعي بمناى عن كل ضروب الوصاية والعنف المادى والمعنوى والتبعيد للقوى الاستعارية. ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾.

فهل من عجب ان تتجه الانظار ـ وخاصة خلال السنوات الاخيرة ـ الى الاسلام تبحث لديه عن رژية حضارية شاملة تكفل تنمية كل طاقات الانسان وملكاته ، وتضع اطارا انسانيا : للاجتماع البشرى يحل فى العلاقات البشرية التعاون محل الاستغلال والسيطرة؟

نحرر أنفسنا اولا:

انسا لن نقدر ان نحرر العالم ما لم نحرر بلادنا من هيمنة القوى الاستعيارية الغربية والشرقية، ونحقق استقلالنا الحقيقى كثموة للثورة التحررية الشاملة التي اخذت تندلع فى كل مكان من العالم الاسلامى معلنة حق الجهاهير فى العيش الكريم وفى تقرير مصيرها، وتحطيم الطواغيت التى تذل الانسان وتعلن عن حضارة الانسان وحضارة الاسلام، ثورة المستقبل.

العالم الاسلامي والاستعمار الحديث

مجلة «الامان» اللبنانية العدد (٦٢) السنة (٢) تاريخ ١٩٨٠/٤/١١

ما فتىء الدور السياسى للاسلام فى الصراعات الدولية يتأكد يوما بعد يوم وخاصة بعد التصار الثورة الاسلامية الإيرانية واندلاع الثورة الافغانية ، حتى ان مجلة كبيرة كمجلة (لويوان) الفرنسية اعتبرت اهم رجل اثر فى توجيه الاحداث فى السنة المنصرمة هو النبى العربي محمد ﷺ بل ان الدكتور ميشال هارت فى بحثه عبر تاريخ البشرية كله عن الرجال الذين كان لهم الفضل فى صناعة الاحداث وتحويل مجرى التاريخ احصى مائة عظيم لم يتردد فى اعتبار الذين العربي على رأسهم جميعا .

وليس تأثير الاسلام في أتجاه التاريخ بألامر الجديد، فلقد كان الاسلام منذ ان تشرفت البشرية باشراقة شمسه ثورة شاملة على الظلم والطغيان ودعوة ملحة الى المساواة والتحرر على جيم المستويات، حتى انه ليتمذر كها يقول المؤرخ الامريكي يريفلوت ان نجد جانبا من جوانب الحضارة الحديثة لا يمت للاسلام بصلة والحصها المنهج العلمي نفسه.

ورغم الذكبات المتوالية على الاسلام بداية من الانقلاب الاموى الذى أتجه بالدولة وجهة كسروية وابعد الاسلام شيئا فشيئا عن التأثير فى الحياة السياسة ليقصر تأثيره على النشاط الثقافي والتربوى والروحى، وما نتج عن ذلك من انحراف لمفهوم الدولة، وتوالى الانظمة المدكتاتورية التى ابعدت الجياهير عن محارسة دورها السياسى، وتوجيهها الى حياة اللهو والميوعة مع ابى نواس وبشار، او الى حياة الزهد والشطح الصوفى بحثا عن نشوة روحية مع ابى المتناهية وابن الفارض والحلاج وابن عربى.. مما اصاب الحياة الاسلامية بالركود وهيا المناخ الملائل للغزاة والمغول والصليبين الفدامى، ثم الصليبين الجدد مع بونابرت واخوانه من المستعمرين. . أولتك الذين ادركوا حق الادراك ما ينطوى عليه الاسلام من امكانات ثورية شاملة ، فخططوا بدقة وعناية المثقة بعد ان وضحوا ايديهم على مقاليد الامور فى الدالم الاسلامي لا يتصور المورة الا مضافة الى فرنسا العالم المعانيا أو روسيا أو الصين اخيرا . وربطوا فى ذهنه ربطا محكها بين الاسلام موكل ما هو رجعى انحطاطى.

ورغم ما اصاب الاسلام من جراح الغزاة القدامى والمحدثين، ما وهن منه عزم ولا فترت همته عن مقاومة الغزاة اللين فرضوا هيمنتهم على العالم الاسلامي، يمتصون ثرواته ويشدون روحه، فقامت الحركة الاصلاحية تنفض الغبار عن الاسلام وتزيل الرماد الذي أهيل على لغرانه المتاجبة، وكان من نتيجة ذلك أن دبت الحياة في كيان المملاق فتنادى المسلمون لغرائه المناجبة من المعادر ضدار المتحمر كما يقول العجوز المتجاد ضد الكوار المنتصار كما وكن من من المتحمد كما يقول العجوز الاستعارى الجنزال ديفول في مذكراته تعليقا على الجهد الذي بذله لانقاذ فرنسا من تورطها الاستعارى عداد وواقعه: ولقد الوركنا أن عملية الاستعار غدت غير موبحة، فانسحب الجورة الاستعارية تباعا تجر أذيال الخيبة ولكن كها يسمحب الجراد تاركا وراءه فراخه.

العالم الاسلامي ومرحلة الاستقلال

انسحبت الجيوش الفسازية واعلن عن قيام سلسلة من (الدول المستقلة)! في العالم الاسلامي، ولكن ما هي الاسس التي ستقوم عليها هذه الدول؟ من اين ستستمد القيم والمثل التي سترسى على أسسها براجها في التربية والثقافة والاقتصاد؟ لم يكن امام النخبة المثقفة ـ وهي نخبة تربت في حجو الاستمار ـ من الوقت ولا من المؤهلات النفسية والثقافية ما علي عكنها من الموهلات النفسية والثقافية المطبعي الى السهولة والاعجاب بالغرب انفعت النخبة المثقفة بكل حماس تحطم بقايا الحياء الاسلامية لتقيم على انقاضها نموذج ليس اسلاميا بالتأكيد، ولكنه ليس بالغربي ايضا. الاسلامية لتقيم على انقاضها نموذج السي اللغة، اللغة، التنظيم الاداري . انه أنموذج يحاول ان له من الغربي العزاق المؤلفة بالنفس، بل من موقع العقد النفسية، فجاء أنموذج الميخ الملبوئة بلغي بلعن أخيل الجديد مشاعر العزة ويملأ شبيها بالمسوخ، وما كان فمذا الأنموذج المسخ أن يورث الجيل الجديد مشاعر العزة ويملأ المؤلفة بلغي المعاء وتجاوز الذات والتضحية، وفي سبيل ماذا سيضحي هذا الجيل بعد ان محطمت مثله وقيمه، فها بقي له من هدف في الحياة غير الرفاه واللذة واللعب؟ .

فلا عجب والحال هذه أن تمنى بالفشل خططات التنمية فى العالم الاسلامى، بل ان يكون الفشل مال كل معركة يخوضها هذا العالم، لانه يقاتل مسلوب الروح عديم البواعث مفهور الارادة، تطحنه الانظمة المستبدة ويذله الفقر والحرمان.

أى استقلال يمكن ان نتحدث عنه في العالم الاسلامي ؟

على المستوى الاقتصادى:

لا يزال العالم الاسلامي مُرتِقَقاً بقوة الى المراكز المالية الكبرى تسلب ثرواته بابخس الاثبان، وتثقل كاهله إزمات الغرب، فالغرب، فالغرب هو الذي يقوع مصلته، وهو الذي يتوسط فى كل عملية تجارية حتى بين بلدين إسلامين، و ورغم الثروات الطائلة التي يملكها العالم الاسلامي لا يزال تابعا ذليلا للبنوك الدولية الكبرى وللشركات الغربية ولا يزال الحديث عن الدينار العربي، أو الاسلامي أو السوق العربية أو الاسلامية حديث حالم، ولا يزال كل بلد اسلامي مربوطا تقريبا الى البلد الذي بلدا مي المنبئ اليه .

على المستوى السياسي:

بعد قرابة نصف قرن من الاستقلال في العالم الاسلامي لا يزال هذا العالم عرقا الى شطايا، كليا تقدم الى الوحدة خطوة تراجع عنها خطوات. تتقاسمه المعسكرات الكبرى، فمن منحاز الى شرق ومن منحاز الى غرب، لا يجرو السلم أن ينتصر لأخيه المسلم ولو بكلمة حتى يستأذن أسياده فان أذن له فيها وإلا امتنع. ولقد أحست بالحرج كثير من الدول الاسلامية في تأييد افغانستان في معركتها مع المستعمر الروسي، بل ان بعضها وقف في صف المنزاة الروس. وفي معركة الاسلام في ايران مع الامريالية الامريكية لم تتردد بعض الدول الاسلامية في التصويت الى جانب القرار الامريالية بفرض حصار اقتصادى عالمي على بلد

ان هذا الاستقلال السياسي لا يمكن ان نعثر له على أثر في غير الشعارات والرايات، أو في القطيعة صارمة بين ابناء الامة الواحدة. ففي هذا النطاق هناك استقلال تام مقابل الارتباط النام بالغرب.

على المستوى الثقافي والتربوي:

لا يزال النموذج الثقافي والمتربسوى الذي صاغه الغرب للانسان هو السائد في العالم الاسلامي . فالفنون والأداب والأرياء وإشكال العهارة، وتأثيث البيوت وإعداد حفلات الأفراح والاستقبال، والمسرح والسينها وبرامج التعليم والاعلام بصفة عامة، لانزال تنطلق فى عملها من اعتبار ان الغرب هو النموذج للمدنية، وان الحروج عن اطاره تخلف ورجعية. ولا يزال الجدل قائيا فى كثير من البلدان حتى حول التعريب ومدى قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم بل لم يتردد الوزير الاول التونسى ـ إيان افتتاح اجتياع لمنظمة التربية والعلوم. لجامعة الدول العربية ـ فى الالحاح على ضرورة تعلم العلوم باللغات الاجنبية.

على مستوى القانون والتشريع:

رغم ان اغلب البلاد الاسلامية تحلى دساتيرها بالاسلام فان هذا الاعلان لا يلقى اليه بال عند الشروع في سن القوانين واللوائح التى تنظم سير العمل في مؤسسات الدولة. بل ترى بيوت المدعارة والخيارات ودور القيار والمعاملات الربوية وعروض الرقص والتعرى تفتح بترخيص من السلطات الرسمية ويتولى القانون واعوان السلطة حمايتها.

من الاستعمار المباشر الى الاستعمار غير المباشر

فأى معنى بقى للاستقلال الذى يمكن ان نتحدث عنه فى العالم الاسلامى ونقيم معالم الزينة للاحتفال به؟ ان جل ما انتهت اليه حروب التحرير فى العالم الاسلامى ان تحولت هذه البلدان من مرحلة الاستمار المباشر، وهو اشد وأنكى، لانه يضعف فينا روح المقاومة ويقذف بنا الى العيش على هامش الحياة نتخبط فى عالم الاوهام.

يقظة الاسلام واستمرار حركة التحرير:

غير ان الاسلام الذى استطاع ان يقهر جيوش الاستعهار فتنقلب صاغوة، لم يلتى بعد. سلاحه، انه لا يزال زاخرا بطاقات ثورية هائلة على كل صعيد.

وان ما شهدته ايران من ثورة تحررية شاملة ليس آلا انطلاقة لمرحلة جديدة من كفاح الاسلام التحررى ضد قوى البغى والطفيان . ولن تنتهى ثورته ما دام فى الارض جبارون يذلون الانسان ويسرقون خبزه ويعتلمون على كرامته .

ولئن استطاع الغرب ان ينمى ثيار الحضارة الاسلامية ويفجر من المادة طاقات هائلة ، فقد عجز عن أن يضعها فى خدمة الانسان وتنمية كيانه المعنوى لفقدانه للرؤية الايديولوجية المسادية والمعنسوية الشاملة التى تحيط الكيان الانسانى من جميع جوانبه المادية والعنوية ولا تضمى بجزء لحساب الآخر.

أففانستان .. نهاية مرحلة استعمارية

مجلة «الأمان» اللبنانية ع ٥٤ ، س ٢ / ١٩٨٠/٢/١٥

الهجوم على أفغانستان بداية النهاية لمرحلة استعمارية أخرى

فى أساس كل حضارة تكمن مجموعة من الافكار الموجهة لسلوك الفرد والجهاعة والتى تطبع تلك الحضارة بطابع خاص. وإن من اهم الافكار الموجهة لحضارة الغرب فكرة السيطرة على الطبيعة بواسطة العلم. والسيطرة على الانسان بواسطة التقنية ، والسيطرة على الشعرب المستضعفة بواسطة القوة العسكرية والاقتصادية . وليس الاستمار القديم والحديث الا ثمرة من ثهار فكرة السيطرة في حضارة الانسان الغربي ، فالاستمار اذن هو سلوك حتمى لحضارة تعبد القوة والرفاه واللذة وتكفر بكل القيم الانسانية .

موجات الاستعمار الغربي

ولقد تتابعت في تاريخ الغرب الحديث حتى الان ثلاث موجات استعمارية. .

الموجة الأولى :

سبجلت نهايتها بالحرب العالمية الثانية او بعدها بقليل ، حيث تفككت القوى الاستميارية القديمة وشاخت بعد أن تمردت عليها الشعوب . وأخص بالذكر هنا الاستميار الفرنسي والانكليزي والايطالي والاسباني والهولندى ، وبذلك فقدت هذه البلدان الاستميارية نفوذها المعنوى الذي كانت تستمده من ترديدها لشعارات الحرية والاخوة والمساواة وتوارت عن مراكز الفيالية لترك المكان فسيحا لقوة استميارية جديدة ولرحلة استميارية جديدة .

الموجة الثانية:

مرحلة الاستعبار الامريكي، فلقد حلت الولايات المتحدة بشكل أو بآخر محل الاستعبار القديم حاملة كغطاء معنوى لاستعمارها شعار حقوق الانسان، وبلغت هذه الموجة الاستعبارية ذروتها في حرب فيتنام. وكان انتصار الفيتناميين الرائع على الطغيان الامريكم. انتصارا للحق على الباطل وللحرية على السلاح. واخذت الولايات المتحدة الامريكية وهي تجر أذيال الخيبة طريقها آلي الانكهاش والزوال بزوال إشعاعها المعنوي وارتباطها في اذهانّ الناس بالظلم والعدوان والاستغلال. واستطاعت الشيوعية وهي شكل اخر من أشكال الفكر الغربي مشلة في الدولة الروسية - أن تحقق انتصارات كبيرة على حساب الأميركان، فحلت في أكثر من موقع في العالم محلها، تقدم جيوشها واعاناتها الموجهة موجة قوية من الدعاية المغرية التي تبرز الاتحاد السوفيتي في نظر الشعوب المستضعفة والشباب الثائر على أوضاعه الفاسدة في كل مكان، تبرزه نصيرا للحرية والعدل، وحليفا الثورات التحرر، عدوا ألد للقوى الاستعمارية ومصالحها. ولكن لم تستطع الشيوعية، وهي ذاتها فكرة غربية، أن تحرر السروس من نزعاتهم التوسعية الموروثة عن القيصرية، فانطلقت جيوشهم وجيوش عمالاتهم تكتسح بالقوة والجروت بلدانا كثيرة في افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية، وتطبح بالحكام الوطنيين وتنصب عملاء لها في دست الحكم وتتولى حمايتهم من شعوبهم الثائرة. حدث هذا في أكثر من موقع في العالم، في أنغولا واثيوبيا واليمن الجنوبي. كما حدث قبل ذلك في بولونيا والمجر وفنلندا وتشيكوسلوفاكيا. وبلغت هذه الموجة الاستعيارية الروسية ذروتهـا في الهجـوم على أفغانستان المسلمة والاطاحة بالحكم القائم فيها، واكتساح ترابها بجيش جرار يقارب ماثة ألف جندي مجهزين بأحدث وسائل التدمير لمقاومة الأبطال السلمين المجاهدين اللاثذين بالجبال دفاعا عن وطنهم ودينهم وانسانيتهم، فهل ستتمكن هذه الموجة الاستعارية الجديدة من الثبات امام صخور المقاومة الافغانية؟ هل سيقدر باطل الشيوعيين ان يقهر حق المجاهدين المسلمين في أفغانستان؟ أم ان مصير الاستعبار واحد مهما تعددت الشعارات التي يحملها لتبرير سيطرته؟

فيتنام وأفغانستان

إنه رغم الفوارق الشساسعة بين الوضع الفيتنامى والوضع الافغانى، الأمر الذي جعل بعض المعلقين السياسيين كاندريه فونتان يستبعدون ان يحدث لروسيا فى افغانستان ما حدث لأمريكا فى الفيتنام، فان النتيجة واحدة بالنسبة للصورة التى أصبحت تظهر بها كل من الدولتين فى الحالم. لقد كشف الغزو الروسى لافغانستان عن الوجه الغربى العنصرى للاقعاد السوفيتي المختفى وراء الشعارات الايديولوجية البراقة التى انخدعت بها شعوب العالم الثالث طويلا. وبات اليوم من الصعب على الدعاية السوفيتية كها هو بالنسبة للدعاية الامريكية الليبرالية أن تدفع عن النظامين تهمة الاستعيار تحت شعار الليبرالية أو تحت شعارات الماركسية، وغدا مصطلح الامبريالية الاشتراكية الذي أطلقه الصينيون لوصف النظام الروسي مصطلحاً مقبولاً جدا.

وكما زازل الصمود الفيتنامى بنية الرأسهالية الامريكية وكشف عن طبيعتها الاستعبارية فان الصمود الاسلامى في افغانستان سيزازل المجتمع السوفيتى رغم اللور المضلل الذي يقوم به الاعلام السوفيتى واخفائه للحقائق للحقائق الساحة أن ينجح في إخفاء الحقائق الساطعة؟ ان آلافا من الجنود والضباط الروس قتلوا على الساحة الافضائية وسيتبعهم آخرون فكيف يقدر الاعلام السوفيتى ان يخفى ذلك عن أهاليهم ووطاطيهم؟ كما أن نفقات الحروب التي تشنها روسيا في عدة جهات ستؤثر حتماً على التحاديث المنافقات الحروب التي تشنها روسيا في عدة جهات ستؤثر حتماً على الأفغانية ذلك أن أقلية اسلامة متنامية بسرعة تكاد تشكل للث سكان الاتحاد السوفيتى، ووقد ران تبلغ النصف او تتجاوزه في منتهى هذا القرن. ستتأثر بهاته الحرب. خاصة وان هؤلاء المسلمين من نفس جنس المسلمين الافغان، فالي متى سينجح الاتحاد السوفيتى في كبت المشاعر الاصلامية المتنارية طفحت مشاعر النقمة لدى المسلمين وفي عدما الحواجم بتزف على الحدود، بل أنه منذ بداية هذه الحرب الاستعارية طفحت مشاعر النقمة لدى المسلمين الخوابم من المسلمين الافغان وان عدداً من الجنون الموفيات المسلمين رافضوا اطلاق النارعى، فلقد نقلت الانباء ان عدداً من الموفيات المسلمين وفضوا اطلاق النار على الحواجم من المسلمين الأفغان وان عدداً من الحوابي المناسية السوفياتى السوفياتى .

أن روسيا في تسليطها للمسلمين على المسلمين تعيد نفس الجريمة التي كان يرتكبها الجيش الفرنسى في تسليط المسلمين على المسلمين تعيد نفس الجريمة التي كان يرتكبها المرن، فلقد استيقظ الاسلام ونهض ليصفى حسابه مع المستعمرين الجدد والقدامى، بغض النبظر عن الشعارات المزيفة التي يحملونها، شعارات الحرية والاختوة والمساواة أو شعارات الحقوق الانسان، أو شعارات الاشتراكية ويجابهة الامبريالية، معتبراً أن الغرب لتخليص البشرية من السموم التي ينطوى عليها. وإذا كان الطاغوت الامريكي كارتر قد لتخليص البشرية من السموم التي ينطوى عليها. وإذا كان الطاغوت الامريكي كارتر قد لتند بالملحدين الروس في غروهم لبلد اسلامي، والتح لورد كارينختون عمل العجوز الاستعبارى الانكليزى على أنه لا أمل في أيقاف الزحف الشيوعي الا بالاسلام، فان المسلمين أعرف النساس بجرائم المخرب بكل إشكاله القديمة والحديثة في حق الاسلام والانسانية عامة. وإذا كان الامام الحديث في حربه للامبريالية قد أطلق هذه الصيحة (لبعلم الرئيس كارتر أنه غذا أبغض حاكم في نظر الشعوب الاسلامية) فنحن اليوم نضيف البعلم الرئيس كارتر أنه غذا أبغض حاكم في نظر الشعوب الاسلامية فنحن اليوم نضيف البعلم الرئيس كارتر أنه غذا بعد غزوه لأفذ انستان مقرنا أسمه بإسم الشيطان الامريكي ، يصب عليهها المسلمون لعناتهم آناء الليل وأطراف النهارة.

موقف الدول الاسلامية:

لقد كان موقف الدول الاسلامية من الاكتساح الروسى لافغانستان محيراً لكل من يحكم على الأمور حسب ظاهرها، ذلك انه في الوقت الذي أبدى فيه الغرب سخطاً كبيراً وإن لم يتجاوز الكلام في الغساب ـ على هذا الاكتساح الاستعارى لبلد مستقل، وقف العالم الاسلامي موقف المقارض المتفارة المتفرج بل المؤيد احياناً، ولم يستطع رئيس المؤتمر الاسلامي الذي تحوك ببطه ان يجمع من بين اصوات أربعين دولة اسلامية اكثر من عشرة اصوات مؤيدة لعقد دورة استائية لوزاء خارجية الدول الاسلامية لبحث هذه القضية، مع ان قانون المنظمة لا يسمع بعقد مثل هذا الاجتماع الا بطلب ثلثي الاعضاء، فلا مجال للحديث بعد ذلك عن قطم المعلاقات الدبلوماسية أو الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتي أو لقيام مظاهرات احتجاج تضامنا مع المحادث المتجار الروسي، ولا مجال بعد ذلك مع اخواننا الأفخان واحتاجاً على ما يلاقونه من شراسة الاستجار الروسي، ولا مجال بعد ذلك لشكير في تنظيم حملات لجمع التبرعات والأدوية والاغطية لاخواننا الأفخان، فكل ذلك بعد عن تصور الدول التي تحكم المسلمين. في اسر ذلك يا ترى؟ ما هي دلالة هذا الصحت المخزى الذي تقفه الحكومات التي تحكم المسلمين؟

إن هذه الدول في غالبها، ان لم نقل كلها، تصورها للعلاقة ين الدين والسياسة تصور غربي، وفي هذا التصور لا مجال لتدخل الدين في تحديد المواقف السياسية، وإذا كان للغرب مصالحه في التنديد بالغزو الروسي فيا هي مصلحتنا نحن في ذلك؟ وإذا صح ذلك فكيف تحافظ هذه الدول على صفة والاسلامية، في دساتيرها؟

ودلالته ثانياً:

ان هذه الدول لم تقم في الغالب ولم تحافظ على وجودها الا بتأييد ومباركة من الغرب في شكلية السوالية ومباركة من الغرب في شكلية السوالية والاشتراكي، وكله مقت للاسلام وعداء له، فكيف تورط هذه الدول نفسها في اعلان مواقف اسلامية في سياستها الخارجية، اليس ذلك من قبيل العار والفضيحة والبرهنة للغرب على اننا رغم عصريتنا وتعلورنا لا يزال شيء من الاسلام يقيع في خبايا نفوسنا؟.

ودلالته ثالثاً:

ان هذه الدول لا تمثل في سياستها مشاعر شعوبها ومطامحها، ففي الوقت الذي تكاد اكبادنا تتقطر ألما وتلوب انفسنا كمداً على ما يلاقيه اخواننا المسلمون في افغانستان من محن اكبادنا تتقطر ألما وتلوية وتتبها الشيوعي وقدك بيوتهم بالملدافع الشيوعية وتتنهك حرماتهم من طرف الاستعيار الشيوعي . . تنشغل الحكومات التي تحكم المسلمين بالاعياد الوطنية وتتلهي بالمتافه من الأمور. . فهل يمكن الحديث عن الوطنية أو الاسلام إزاء مثل هذه الحكومات السياسة بالدين في العالم السياسة بالدين في العالم السياسة بالدين في العالم الاسلامي، ومشاعر الحكام بالام المحكومين، وتردم هذه الهوة الشاسعة بين الراعي والرعية ،

فانه لا امل لهذه الأمة في البهضة والتقدم والعز والسؤدد. وسيبقى الغرب في شكله القديم أو الحديث، في شكله الرأسهالي أو الشيوعي، يجنق البشرية ويستغلها ويمتص دماءها بواسطة تقنياته المتقدمة وإذنابه المنتشرين في كل مكان، ولكن الاسلام الذي جاهد لتصفية الاستعيار القديم لن يضم السلاح حتى يجور البشرية من الاستعيار الحديث، وان ثورة الاسلام في القانس الهذاب نافغانسان، حضارة الاسلام على انقاض الاستعيار الفرنسي او الانكيزي أو الامريكي او الروسي، وليس على الشموب الاسلامية والشعوب المستضعفة الا ان تثبت، فالله مع المستضعفين ضد قوى المظلم والاستغلال كيف لا وهو الفائل فونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الهارين في الهراري،

القضية الفلسطينية في مفترق الطرق

«يستطيع بعض المسؤولون العرب ـ ولانسك ـ ان يذهبوا الى القدس المحتلة، ولكن ذلك لن يغير شيئًا لانه سيكون هناك دائرا مسلم ينهض لسحق الحونة. اننى اكرر اننا لن نقبل هذا الجسم الغريب عن منطقتنا. اسرائيل هى سرطان حقيقى طُعَّم به العالم العربي. انا متفائل جدا، فللسألة في رأيي مسألة عشرين سنة على الأكثرة.

(۱) أحمد بن بله

الاطار التاريخي للمشكل الفلسطيني:

فى الـوقت الذى كانت فيه دورة من دورات الحضارة الاسلامية تلفظ أنفاسها بغروب شمس العثمانيين كانت حضارة الرجل الابيض قد اكتمل نموها اثر سلسلة من الثورات الوطنية والعلمية ضد الهياكل والمضامين الفكرية والسياسية والاقتصادية الوسيطة . وكانت خلال ذلك قد امتلات عنفوانا ورغبة وقصميا جاعين فى السيطرة على كل شىء . وما احتاجت الى كبير جهد من اجل وضع بدها على حضارة أنهكها الاستبداد وفقدت صلتها بالحياة وسيطرتها عليها فعلت فى نوع عميق، وتمكن الغرب فى وقت سريع من الاطاحة ببقايا هياكلها النخرة واستغلال خيراتها الوفيرة وتدمير طاقاتها .

وفي خمرة الصراع بين القوميات في أوربا كانت بذور قومية جديدة تجد المناخ ملائها لنعوها هي القومية الصهيونية التي كانت تنمو وسط الصراع والاضطهاد، مستوعبة أساليب النضال ومناهج الفكر وثيار الحضارة الغربية عامة، وقد كان اليهود يمثلون في أوربا النخبة المثقفة التي ساهمت في الشورة ضد الهياكل السياسية والدينية والاقتصادية التقليدية. ولم ينقض القرن التاسع عشر الا وقد تبلورت القومية الصهيونية في مجموعة من التنظيات والزعامات منبئة في معظم المعمورة وخاصة في أوربا وحدث بينها خطة في مؤتمر وبالى عام ١٨٩٧ حددت لليهود هدفا هو تكوين دولة تجمع شتاتهم في فلسطين خلال خسين سنة يسخر اليهود خلالها لليهود هدفا هو تكوين دولة تجمع شتاتهم في فلسطين خلال خسين سنة يسخر اليهود خلالها كل نفوذهم العلمي والاقتصادي والاعلامي والسياسي لتحقيق ذلك الهدف مستغلين كل بتكوين دولة قومية لليهود في فلسطين، وذلك سنة ١٩٩١. وباشتراك مع جيش الشريع حسين حاكم الحجاز بومئذ ـ تمكنت انجلترا من إجلاء العثمانين عن فلسطين بعد ان فشل الحيات الميطانية البريطانية في إغراء السلطان العثماني عبد الحميد بيمهم فلسطين. وفي ظل الحياية البريطانية فتحت فلسطين امام الهجرة اليهودية. ولقد عبر العرب عن وفضهم لوعد بلفور وللهجرة الديهرة الدي ود المهرد الديهرد الديهرد (ا) وجود الديد (د) وحود المهرد (د)

اليهودية وذلك من خلال سلسلة من الانتفاضات والثورات في ابريل ١٩٣٠ و ومايو ١٩٣٦ وأضاف الم والو ١٩٣٦ وكان اهم وأغسطس ١٩٣٦ و ١٩٣٥ وكان اهم وأغسطس ١٩٣٦ و ١٩٣٥ وكان اهم زعامات المرحلة المنتفاضات تجهض أحلام اليهود لولا تدخل الانجليز وخذلان الحكام العرب. وفي نوفمبر ١٩٤٧ اصدرت الامم المتحدة الفرار وقد ١٩٤٨ اصدرت الامم المتحدة الفرار وقد ١٩٤٨ ومدية.

دخلّت الجيرش العربية الحرب وانسحبت بعد ان وافقت على الهدنة اثر سلسلة من الفضائح والحيانات اقترفتها الانظمة المعربية ذهبت بكل التضحيات التي قامت بها عدة فرق وتنظيات فدائية شعبية مثل تنظيم الاخوان المسلمون. وأدت مرارة الهزيمة والنقمة الشعبية على خيانات الانظمة العربية الى سلسلة من الانتفاضات الشعبية والانقلابات العسكرية بدأت باعتيال الملك عبد الله في القدس وأطيح بأنظمة مصر وسوريا والعراق وقامت انظمة أسس جديدة مستبدلة الولاء للمعسكر الغربي الذي أوجد امرائيل بالولاء للمعسكر الشرقي والتحرجهات الراسالية بتوجهات اشتراكية. وأديم الفلسطينيون مادة خصبة الشرقي والتحرجهات الراسالية بتوجهات اشتراكية. ويقميتهم ويستغلونهم في تحقيق المدافيم، في المسلم المدافع، في المستفيلان من طرف الانظمة العربية يتاجر المجميع بقضيتهم ويستغلونهم في تحقيق المدافهم، فالفلسطيني معني او قومي عربي او ناصري او اشتراكي يقاتل اخاه الفلسطيني عبر الصراع بين الاحزاب والانظمة.

ولم يستَّطع المرحوم أحمد الشقيرى الذى كون منظمة التحرير الفلسطينية ان بجرر الفلسطنين من استغلال الاحزاب والانظمة لهم ولم يتجاوز بالفلسطينيين مرحلة العمل السياسي الترعوي التقليدي الى العمل العسكري والسياسي المستقل.

وفي سنة ١٩٥٦ قامت اسرائيل متحالفة مع بريطانيا وفرنسا الاشتراكية بالهجوم على قنال السيريس بعد ان أيمه عبد الناصر إثر ضغط المنظهات الاسلامية الفدائية ونشاطها العسكرى السيريس بعد ان أيمه عبد الناصر إثر ضغط المنظها المسكري في القنال ضد الانجليز الذين كان مقررا اخراجهم سنة ١٩٦٨ من القنال، غير ان مطامع المستعمرين الجدد الروس والاميركان - لخلافة المستعمرين القدامي - الفرنسيين والانجليز - قادت الاولين الى أتخاذ موقف حاسم ضد المعتدين وضع حدا للعدوان . ولكن اسرائيل لم حديث فقد وافق عبد الناصر في وثيقة سرية على السياح لاسرائيل بحق المرور في مضيق تيران والبحر وهو امر حيوى جدا بالنسبة لاسرائيل - فقد وسعت نفوذها السياسي والاقتصادي في آسيا وفي شرق افريقيا - كما وافق على ان تنولى قوة أيمية حماية هدا الحيق.

ولقد استغلت هذه الاتفاقية ايم استغلال من طوف خصوم عبد الناصر في العالم العربي وخاصة البعثين. فلها قرر سد الثغرة التي فتحها امام اسرائيل لاسكات خصومه وطرد القوات الاعمية اعتبرت اسرائيل ذلك اعلانا للحرب عليها فبادرت بهجومها الساحق (فكانت حرب الايام الستة ١٩٦٧) الذي بدأ بتحطيم الطيران المصرى وهو القوة الأساسية لمصر.

وقيل ذلك دخل عنصر جديد هام في الأحداث ميكون له أثر فعال في تحديد مصير المنطقة. ففي سنة ١٩٦٥ اعلنت حركة التحرير الفلسطينية (فتح) انطلاقة الثورة الفلسطينية وقد مكنها النظام البعثي في سوريا من القيام بعمليات فدائية ضد اسرائيل انطلاقا من التراب السوري، وكان ذلك مندرجا ضمن استراتيجية البعث في المزايدة على النظام المصرى وتحديه وجره الى الصدام مع اسرائيل مما هو حريص كل الحرص على تجنبه. وكان يصحب ذلك التحدي دعاية مركزة ضد النظام الناصري واتهامه بالتخاذل، فكانت عمليات منظمة التحرير عاملا آخر في تقريب ساعة الصدام مع اسرائيل سنة ١٩٦٧ الذي عمليات منظمة التحرير عاملا آخر في تقريب ساعة المعدام مع اسرائيل سنة ١٩٦٧ الذي انتحليم الجيش المصرى واحتلال سيناء والضفة الغربية والقدس والجولان.

تمكنت منظمة التحرير من تصعيد عملياتها بعد نكبة ١٩٦٧ انطلاقا من الاردن خاصة في الموقت الله كانت مصر تشن على القنال حرب استنزاف ضد القوات الاسرائيلية ، فكانت تلك الفترة اصعب الفترات التي عوفتها اسرائيل في تاريخها. وما كان يمكن لتلك التجربة ان تستمر دون ان يهتز الكيان الصهيوني ذو الإبعاد المحدودة الذي لا مجتمل حربا طويلة المدى. هنا يأتي التدخل الامريكي الحاسم لايقاف القتال العربي ضد اسرائيل وعجوبله الى قتال العربي ضد اسرائيل وغويله الى قتال العربي ضد بعضهم بعضا.

جاءت امريكا لتضع العرب على طريق المتاهة والخيانة والحلول الاستسلامية التي بدأت بمشروع روجرز الذي أوقف القتال ضد اسرائيل لتتفرغ الانظمة لتصفية المقاومة الفلسطينية بدءا بمجزرة الاردن المعروفة بأيلول الاسود ١٩٧٠ مرورا بتل الزعتر ١٩٧٦ على يد الجيش السوري والمليشيات المسيحية بعد ان انتقل الثقل الفلسطيني الى لبنان مستفيدا من التوازن الطائفي فيه ومن الحريات الديمقراطية المتوفرة، فأرسوا دعائم منظمة نموذجية ويرهنوا على قدرة فاتقة في التنظيم الاداري والسياسي والامني والقضائي والثقافي والاقتصادي، فضلا عن الجانب العسكري مستفيدين من المستويات العلمية الممتازة التي يتمتع بها الفلسطينيون - فقد كانوا يمثلون أرفع نسبة للمتعلمين في البلاد العربية حتى قبل آغتصاب اسرائيل لوطنهم، واشتد اقبالهم عَلَى التعليم بعد ذلك كأداة لاثبات وجودهم فعَدوا أنموذَجا للنَّخبُّة المثقفة في البلاد العربية، حيث يتولون ادارة اهم المؤسسات العلمية والفنية في عدة بلاد عربية وحتى غربية وبكفاءة عالية، لدرجة تعلم ألاستغناء عنهم في عدة أنظمة وغدوا قوة تخشاها الانظمة العربية اكثر مما تخشى اسرائيل. فقد غدت غيهاتهم دولة داحل الدولة، لها نظامها الداخلي المستقل عما هدد التوازن الطائفي الذي عليه لبنان فتصدت لحم المليشيات المسيحية التي كانت تتلقى من الغرب ومن اسرائيل الدعم الهاثل وحتى من الانظمة العربية الموالية للغرب. ولما ادركت تلك القوى عجز الكتائب عن الحد من نفوذ الفلسطينيين الذين أوشكوا مع حلفائهم من المسلمين والاحزاب التقدمية _ وكلها ذات أصول اسلامية _ ان يقضوا علَّى البنية الطَّائفية التي ارستها فرنسا سنة ١٩٤٣ والقاضية بتوزيع السلطة توزيعا طائفيا بجعل المارونيين هم الطرف المتفوق - فمنهم ينبغى ان يكون رئيس الجمهورية ووزير الدفاع وقائد الجيش ووزير الخارجية الى جانب امتيازات اخرى كثيرة - عندها أعطى الضوء الاخضر لجيش حافظ الاسد ليقوم بالنيابة عن كل القوى والانظمة العربية والدولية واسرائيل بمهمة تمجيم الفلسطينين، فكانت بجازر ١٩٧٦ في لبنان مثل تل الزعتر الشهيرة حيث واجه الفلسطينيون وحلفاؤهم الوطنيون اللبنائيون الكتائب المسيحية والجيش السورى في نفس الوقت فاستعاد الكتائب نفوذهم بعد ان انحصروا في جزء صغير من لبنان، ووضع الجيش السورى يده على لبنان - عدا المناطق المسيحية التي غدت تحت السيطرة المطلقة للكتائب ، واطفا حافظ الاسد نار الثورة الماتهم على حدوده والتي يهدد حريقها بالانتشار في كامل المنطقة وهي هشيم ، خاصة بعد ان غذا السلاح متاحا للجهاهر وهي غاضبة على أنظمتها المغطمة على أنظمتها المعرب على الغطمة على أنظمتها على يغيرها بالمتأفذاذ الورة المسلحة سبيلا لتصفية العملاء .

ولكن الفلسطينيين مالبثوا ان ضمدوا جراحهم ولموا شعثهم في المواقع التي احتفظوا بها سواء في بروت او الجنوب الليناني وعرفوا كيف يُحتفظون بعلاقات «طيبة» مع كل الانظمة العربية بها في ذلك النظام السوري والاردني مصرين على استقلاليتهم من كل الانظمة والاستفادة من التناقضات العربية لصالح قضيتهم على اساس تعايش سلمي حذر، وكانت الانظمة تحمى نفسها من عمليات الفدآئيين عن طريق تشديد الرقابة على تحركاتهم داخل حدودها واعلان ولاثها لمنظمة التحرير ودعمها بالمال في نفس الوقت. فبعد أن حصل الفلسطينيون على اعتراف من مؤتمرات القمة العربية سنة ١٩٦٥ ومابعدها على اعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد لهم، تلقت المنظمة كثيرا من الدعم المالي خاصة بعد ظهور ثروة البترول. وبقدرما كانت الأنظمة العربية تتردى في مزيد من الهزائم والمارسات الديكتاته رية ضد الجاهير بقدر ماكانت المنظمة تثبت قدرة فاثقة على ضرب العدو الصهيوني عا أكسبها نوعا من الشعبية لدى الجهاهير باعتبارها الامل في استرجاع الكرامة بعد ان نفضت يدها من الأنظمة وهو أمر يبشر بعودة الوعى للجياهر مما يهدد بعودة الوعى لجياهير وثقتها في قدرتها على التصدي للامبريالية رغم تفوقها العسكري ان هي اتخذت الثورة المسلحة سبيلا. وذلك ماكنان يقلق الحكمام ويجعلهم في الموقت الذي يقدّمون فيه المعونات المالية للثورة الفلسطيئية ويعلنون تبنيهم لها، تراهم يتآمرون عليها ويتحينون الفرص للايقاع بها مستغلين حساسية الجهاهير في المناطق التي تعايشت فيها مع الفلسطينيين. فقد افرز تشردهم وفقرهم وعـدم شعـورهم بالامن والاستقرار كثيرا من المسالك اللااخلاقية والأنتهازية والعنف مما جعلهم مكروه بن في المناطق التي لجأوا اليها. ولم يمنع ذلك من عطف الجماهير عليهم واعجابها بهم كلهاحلت بهم نكبة او نجحوا في تسديد ضربة للعدو، مما جعل الانظمة بصفة عامة تتخلى راغمة عن سياسة مواجهة الفلسطينيين وتصفيتهم في العلن دون أن تزيد من شعبيتهم خاصة وهذه الانظمة تعانى من مشاكل وثورات داخلية حادة كما هو حال النظام السوري. فلم يبق امام الاسرائيليين حماة الانظمة العربية والمصالح الامبريالية الا ان يتولوا بأنفسهم تصفية الكيان الفلسطيني او محاولة ذلك، فكان الهجوم على لبنان وبطولات بيروت ومجازرها في صيف ١٩٨٢.

الشعور الوطني الفلسطيني ومنظمة التحرير:

نشأ الشعور الوطنى الفلسطيني - شأن الشعور الوطنى اليهودى عموماً - عبر المآسى والمحن والآلام التى عاشها الفلسطينيون مشردين فى كل مكان. ولقد كان للعمليات الفسائية الناجحة التى حققها عرفات والفتية الملتفون حوله ضد الكيان الصهيرنى الذي استسلم العرب له دور فعال فى بعث وتأجيح الشعور الوطنى لدى أولئك الذين كاد شعورهم الوطنى ان يتلاشى واملهم فى استرداد ارضهم ان يضمحل. فقد عملت الأنظمة العربية - كها تقدم - على استخلالهم ابشع استغلال طوال الحمسينات والستينيات.

لقد أيقظت طلقات الرصاص المنبعثة من بنادق اولئك الشباب الفدائي المشاعر الوطنية الغافية، وما لبثت تلك المشاعر ان تبلورت حول هدف محدد هو تحرير الوطن المغتصب واقامة الدولة الفلسطينية . ولقد مرت فكرة الدولة الفلسطينية بمراحل بدأت بالدعوة إلى اقامة دولة لائكية (علمانية) على كل فلسطين يتعايش فيها العرب واليهود ثم تحددت في اقامة دولة في المنطقة التي احتلت بعد ١٩٦٧ ثم انحصرت اكثر في إقامة دولة على كل شير يجور من فلسطين. ولقد كانت منظمة التحرير وهي تجمع لمجموعة كبيرة من المنظات الفدائية والتجمعات والهيئات النقابية الفلسطينية، كانت هي العدسة التي تجمعت فيها الأشعة المبعثرة فحولتها الى قوة دفع ونضال على جميع المستويات وحيثها وجد الفلسطينيون في الارضى المحتلة قبل ١٩٦٧ او بعدها في الوطن العربي او خارجه. فقد غدت المنظمة الجسم الواحد الذي تجسدت فيه كل الأرواح الفلسطينية على اختلاف مواقعها وانتهاءاتها العقائدية ومستوياتها الثقافية والاقتصادية كل يناضل في موقعه من اجل تحقيق هدف المنظمة. وليس الكفاح السلح الذي غدا ممثلًا بجيش من القدائيين منظم ومسلح وممول ومدرب تدريباً عالياً الا أداة من أدوات النضال الفلسطيني. ورغم اهمية العمل المسلح الذي ينطلق من قناعة ان «حركات التحرر التي حققت اهدافها دون اللجوء الى النضال المسلح لا تكاد تذكر، كما اكد جورج حبش احد أبرز قادة المنظمة ٢٠)، والذراع العسكري كما يؤكد قائد فلسطيني آخو بالغ الاهمية لحماية التركيب السيامي وكورقة رابحة في أية مفاوضات، مضيفا بأنه الم يدر في خلد اكثر المتفائلين الفلسميسين ان القوة العسكرية للمنظمة كفيلة وحدها بتحقيق مطامح الفلسطينيين في انشاء دولة خاصة جم، ٣٠ . ومع ذلك فقد اهتمت المنظمة بالميدان السياسي فحققت الدبلوماسية الفلسطينية خلأل السبعينات الشيء الكثير وكانت انجع حركة تحرير في جميع الاوقات. صحيح ان الدبلوماسية الفلسطينية لم تستطع ان تسترجع شيئاً من ارض فلسطين ولكنها أقنعت العالم بعدالة القضية الفلسطينية رى، فقد استطاعت أن توظف بنجاح

⁽٢) في حديث للتلفيون الايطالي نقلته جريدة والصباح، بتاريخ ١ /١٩٨٢ (٢

⁽٣) من حليث نشرته والمجلة، نقلا عن الصباح ١٩٨٢/٧/١٥.

⁽٤) نفس المصدر.

عن طويق النشاط السياسي والثقافي والاعلام, المآسي التي تعرض لها الفلسطينيون والانتصارات التي حققوها ضد الامبريالية وحلفائها في المنطقة في انتزاع شعور العطف والاعجاب والايهان بأن الفلسطينيين هم ايضاً لهم حق العيش على ارضهم المسلوبة. ولم تفلح الدعاية الصهيونية رغم قوتها وكثافتها واتساعها وفعاليتها في الحد من النفوذ السياسي لمنظمة التحرير الذي اصبح مدعوماً بتمثيل دبلوماسي للمنظمة في أغلب العواصم والمنظمات العالمية والاحزاب الجماهيرية في العالم، فيا يكاد ينعقد مؤتمر لحزب من الاحزاب الكبري في العالم او مهرجان سياسي او ثقافي الا وللمنظمة تمثيل فيه، فضلًا عن علاقاتها المتينة بالحركات الثورية في العالم. فقد غدت مخيات المنظمة ومعسكراتها مدارس لتخريج وتدريب الثوار في كل مكان. كما اهتمت المنظمة بالعمل الاجتماعي للجماهير الفلسطينية ضمن فئات اجتماعية ومنظمات كالاتحاد النسائي الفلسطيني واتحاد العمال والاطباء والمهندسين والطلبة والكتباب وانشأت مؤسسات صحية وتعليمية ومنظمة الهلال الأحر الفلسطيني، وهي منظات تستقطب الفلسطينيين وتبلور الشعور الوطني لديهم وتجندهم لصالح القضية حيثها كانـوا داحل الوطن المحتل او خارجه. كما اولت القضية الاعلامية اهتماماً بالغاً فاسست مجموعة من الدوريات وإذاعة واتخذت لها حصصاً في عِدة إذاعات كها أسست وكالة للأنباء (وفا). ولم تهمل النشاط الثقافي والفكري فأسست مركزاً للدارسات الفلسطينية يعد من أرقى المراكز في العالم العربي. فقد اهتم في جلة ما اهتم به بمتابعة الفكر اليهودي وتحليله للتعرف على العدو، كما أنشأت فرقاً للتمثيل والمسرح والغناء ومؤسسة للسينها.

وقــد قام النشاط الثقافي الفلسطيني بدور كبير للتعريف بالقضية الفلسطينية في العالم وكسب الرأى العام وتأجيج الروح الثورية لدى الجهاهير واستثارة الشعور الوطني وترسيخه. ولقد شهد هذا الشعور الوطني الفلسطيني تأججاً حاراً داخل الاراضي المحتلة حيث فشل الصهاينة فشلاً ذريعاً في استيعاب الفلسطينيين وصهرهم ضمن الكيان الصهيوني.

فلقد رفض الفلسطينيون كل المشاريع الصهيونية لصهرهم مثل مشروع كامب ديفيد وروابط القرى واتجهوا مقابل ذلك في اصرار وقوة الى تأكيد استقلالهم وارتباطهم بمنظمة التحرير الفلسطينية معتبرينها عثلهم الوحيد.

وأمام نمو الشعور الوطني داخل الاراضي المحتلة واشتداد ضغط الجهاهير الموالية لمنظمة التحرير لم تعد تجرؤ شخصية فلسطينية على التصدى لنظمة التحرير حتى انك لا تكاد تجد رئيساً لبلدية في الضفة الغربية ليس موالياً لمنظمة التحرير وكذلك بالنسبة للنقابات والمنظمات الشعبية عامة. وعلى سبيل المثال نذكر كلمة عن المهرجان الوطني الثاني للأدب الفلسطيني الذي انعقد اواخر شهر أوت ١٩٨٢ في الأرض المحتلة حضره عدد كبير من الشخصيات الاجتماعية والفعاليات الوطنية ورؤساء البلديات والنقابات العمالية والمهنية وقادة الرأى وقذ استمر المهرجان مدة اربعة ايام وكان شعاره (الأدب في المعركة) وقد اشتمل بالاضافة الى كلبات الوفود قراءات شعرية لشعراء الارض المحتلة وأغاني وطنية فلكآورية وعروض مسرحية وعلى معرض للكتاب الوطني ووزعت ملصقات دعائية للثورة. وصدر في نهاية المهرجان نداء الى الكتاب والأدباء فى العالم للتضامن مع الشعب الفلسطيني وقورته الوطنية بالوقوف فى وجه الهجمة الشرسة ضد الرجود الوطني والقومى للشعب الفلسطيني (٥). وليست الانتضاضات الجاهرية الرائعة التى شهدتها الأراضي المحتلة طوال سنة ١٩٨١ وشاركت فيها أوسع القطاعات الجاهرية وفي مقدمتها الشباب والنساء ضاربين المثلة نموذجية في التضحية والفداء وتحدى الاعداء ماتفين لنظمة التحرير والدولة الفلسطينية . ليس ذلك إلا مظهراً من مظاهر تعمق الروح الوطنية وتأججها لدى الانسان الفلسطيني . فلا عجب بعد ذلك ان يهنز العالم كله عدا العرب ـ للمجازر التي اقرقتها عناصر التحالف فلا عجب بالمودى الاثيم ملك ملخيات العلمات المعرب ليروت، فشن ملاين العمال في الرب الضرابات الاحتجاج وقاطعوا شركة الطيران المهادي يوكون في مظاهرات صاخبة ضمت عشرات ومالت الآلاف في أثينا وبارس ولندن مندة بوحشية الصهاينة بينها لم تحرف في بلد عربي مظاهرات عدا التي قامت في تونس ولكن يبدو انها لم تكن في مستوى الحدث .

قضية فلسطين والعمل العربي المشترك :

رغم ان الجامعة العربية قد انبعث قبل تكوين اسرائيل (١٩٤٥) الا ان أهم القضايا التي طرحت عليها هو المشكل الفلسطيني وذلك من خلال سلسلة من مؤقرات القمة كان الباعث الظاهر اليها هو مواجهة التحدى الصهيوني . فكان الملوك والرؤساء يتنادون الى الماعث الظاهر اليها هو مواجهة التحدى الطهائها . فيجتمعون بدعوى مجابة التحدى المهيوني ويفترقون وقد أصدووا بيانات تعلن تأييدهم لقضية فلسطين وتنديدهم بالصهيونية والدعوة للتضامن العربي على اعتبار ان ذلك هو الحلد الادني الذي يمكن أن يلتفوا حوله وحتى هذا القدر من الشعارات الفارغة صجزوا في مؤتمر فاس في مرحلته الأولى سنة ١٩٨١ أن يجتمعوا حوله فانفض مجلسهم دون أن يصدوا ولوبيانا .

لقد كان السبب المباشر للقمة الأولى هو عزم اسرائيل على تحويل مياه نهر الاردن وروافده لاستغلالها في صحراء (النقب) فدعا عبدالناصر _وقد كانت الحرب الباردة على أشهدها بين الأنظمة العربية _الملوك والرؤساء الى نسيان خلافاتهم والاجتماع لمواجهة التحدى فكان المؤثمر الأول سنة ١٩٦٤.

وفى المؤتمر الثانى قرروا الاستمرار فى المشروع المضاد لتحويل مياه النهر الذى أقروه فى المؤتمر الاول وأكدوا على ضرورة استكيال القوى العربية .

وفى المؤتمر الثالث بالدار البيضاء نسنة ١٩٦٥ وقع الاتفاق على احترام سيادة كل دولة (٥)دالعباع، ١٩٨٢/٩/١. عربية وعدم التدخل في شؤونها وان العدوان على اي منها عدوان على ساثرها.

في القضية الفلسطينية قرروا الـترحيب بقيام منظمة التحرير واعتبارها ممثلة للشعب
 الفلسطيني ووقعوا ميثاق التضامن العربي

وجاءت القمة الرابعة بالخرطوم في سبتمبر ١٩٦٧ بعد حوالي اربعة اشهر من العدوان الاسرائيل فقررت استعادة الأراضي العربية ولوبالحرب مع اسرائيل وقد اشتهرت هذه القمة بلاءاتها البلاثة: لا للاعتراف باسرائيل لا للتفاوض ولا للصلح ممها.

القمة الخامسة بالرباط نوفمبر ١٩٦٩ ماتازت هذه القمة بعدم صدور قرارات عنهاط الط.
القمة السادسة بالجزائر - نوفمبر ١٩٧٣ - امتازت هذه القمة التى عقدت بعد حرب
رمضان بالبيانات المتعددة التى وجهها المؤتمر الى عدة هيئات دولية وقرر المؤتمر ان اهداف
المرجلة للنضال العربي هى التحرير الكامل لجميع الاراضى العربية المحتلة في عدوان يونيو
- جوان - ١٩٦٧ وعدم التنازل عن اى جزء من هذه الاراضى : تحرير القدس وعدم القبول
بأى وضع من شأنه المساس بسيادة العرب الكاملة على المدينة المقدسة ، تضامن الدول
العربية مع مصر وسوريا والشعب الفلسطيني وتقديم الدعم الحربي لهم ، الاستمرار في
استخدام النفط سلاحاً للمعركة وربط رفع حظر تصدير النفط لاية دولة بالتزامها بتاييد

المؤتمر السابع: الرباط - اكتوبر ١٩٧٤ - قرر عدم قبول اى محاولة لتحقيق تسويات سيساية جزئية وقمد رفع الاردن فى هذا المؤتمر تحفظه على قرار قمة الجزائر باعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

وفي المؤتمر الثامن بالقاهرة ـ اكتوبر ١٩٧٦ ـ وقع التأكيد على الالتزام القومى بالحفاظ على المقاوسة الفاسطينية وتصعيد قدرتها على الصمود وطالب المؤتمر دول العالم الثالث بادانة العدوان الاسرائيل.

وقرر المؤتمر التاسع الذى عقد فى اعقاب كامب ديفيد فى بغداد ـ نوفمبر ١٩٧٨ ـ رفض اتفاقية كامب ديفيد ودعم دول المواجهة وصمود الشعب الفلسطينى ومنظمة التحرير واعتبار القضية الفلسطينية قضية عربية مصيرية هي جوهر الصراع مع العدو الصهيوني .

وفي قمة تونس ـ نوفمبر ١٩٧٩ ـ وقع التأكيد على مقررات المؤتمر السابق.

وفى قمة عمان '٩٨٥ أقرر المؤقمون الاستمرار فى مقاومة اتفاقية كامب ديفيد ووفض اية تسوية لا تتضمن الانسحاب الكامل غير المشروط من جميع الاراضى الفلسطينية والعربية المحتلة وتمكسين الشعب الفلسسطيني من اقىامة دولية مستقلة واستخدام الامكانيات الاستراتيجية العربية لمواجهة الدول التي تدعم الكيان الصهيوني .

وفي مؤتمر القمة الثانية عشر بفاس ١٩٨١ كان مشروع فهد لتسوية القضية الفلسطينية

٢١) مجلة وشؤون عربية؛ ص ١٩١ ، تصدرها جامعة الدول العربية.

هو الموضوع الرئيسي للاجتماع "غير ان الصراع بين دول الرفض والدول الموصوفة بالاعتدال جعل مستحيلاً الوصول الى نقاط التقاء فانفض المجلس دون ان يتوصل الى اى قدر من الاتفاق. ومعلوم ان جبهة الرفض والصمود قد تكونت اثر تحول مصر عن الحظ الناصرى الاشتراكي الى الغربي الرأسالي الامريكي اثر تسلم السادات الحكم وتحالفه مع السودان والسعودية بما جعل الحظ الاشتراكي يشعر بالخطر فكون جبهة الرفض والصمود وكانت ليبيا وسوريا من أهم أعضائها بالاضافة الى منظمة التحرير واليمن الجنوبي والجزائر. ولقد كانت قمة فاس درساً لنا - كما يقول امين الحافظ - لأن فشل فاس في رأيي ليس مشروع الامير فهد بقدر ما كان انحياز كل دولة عربية الى هذا المعسكر او ذاك من المسكرات الكبرى في العالم ""

ورغم تعدد القصم فانها لم تخرج حتى الآن عدا الدعم اللفظى وبعض الدعم الملق ورغم تعدد القصم فانها لم تخرج حتى الآن عدا الدعم الملفظى وبعض الدعم الملق بقرار حاسم في أية قضية تهم المصير العربي وخاصة القضية الفلسطينية، فلم تتجاوز الموقف السلبى المتعمل في وفض الاعتراف باسرائيل، ولكى بدون تبنى استعمال الموقف الارض المنتصبة، ولا استطاعت هذه القسم أغذاذ أجواءات رادعة تهدد مصالح امريكا حامية اسرائيل والتي اكتفى المؤتمرون بإدائتها. ويبدو أن العرب، أي حكامهم، انتهوا في مؤتمر فاس في مرحلته الثانية الى التراجع حتى عن هذا الحد الادنى المتعلق في وفض الاعتراف باسرائيل وإدانة حاتها، عا كشف بكل وضوح عن الدور الحقيقي لهذه القسم عن التعير عن المتصاص نقمة الجهاهير وامتعاضها وصنفها على خيانات حكامها وتقاصسهم عن العير عن ادادتها وتخليهم عن مستوليتهم واعتبار هذه القسم مناسبات لتصفية الخلافات الداخلية بين الحكام حتى لا يذهب التناقض بينهم بمصالحهم جمعاً فكانت قضية فلسطين لا تعدو أن

يقول ميشيل ابوجودة خلال الندوة التى عقدتها مجلة الجامعة العربية (شؤون عربية) حول مؤتمرات القصة العربية: (أن مؤتمرات القمة كانت باستمرار من اجل القضايا والمشاكل العربية - العربية ولتحاشى الموضوع الاساسى، لقد حضرت كافة مؤتمرات القمة، كان هدفها باستمرار من يتغلب مناعلى الآخر ومن هو الاكثر حقاً من الآخر، ويضيف: المؤسف اننا نحن العربى ليلاً ونهاراً^(١/١).

 ⁽٧) نفس المصدر فيها يتعلق بالمعلومات حول القمم العربية.

⁽٨) نفس المصدر ص ٢٢٦.

⁽٩) نفس الصدر ص ٢١٩.

مؤتمر فاس:

ولاهمية هذا المؤتمر نخصه بتحليل مفصل، ونبدأ بمقدمة تلقى اصواء على الاطار الناريخي لهذا المؤتمر.

١ _ مقدمة:

انعقدت هذه القمة اثر الاحداث الدامية التي شهدها لبنان وخاصة في جنوبه وعاصمته بيروت. فقد تحمل الفلسطينيون وحلفاؤهم من الوطنيين اللبنانيين عبء مواجهة جيش يعد من اكثر جيوش العالم تدريباً وخبرة وتسلحاً بأحدث ما جاءت به ترسانة الاسلحة في امريكا، وذلك الجيش الذي دمر الجيوش العربية مرات عديدة في اوقات قياسية في سرعتها. لقد تمكن الفلسطينيون وحلفاؤهم بأسلحتهم الخفيفة من الثبات في وجه هذا الجيش طوال ثلاثة اشهر تقريباً ببسالة نادرة. ثبتوا لهجوماته الصاعقة جواً وبراً وبحراً لم يتردد خلالها، لكسر صمودهم من استعمال حتى الاسلحة الفتاكة المحرمة دولياً فضلًا عن اسلوبه المعروف في تدمير كل شيء يقف في طريقه وسحق المدنيين بالجملة، مما يوجد جواً من الرعب تنهار معه معنويات المقاتلين. يقول عرفات في حديث لشبكة التلفزيون الايطالي متحدثاً عن حصار بيروت (لقد عشنًا في جحيم لمدة ٧٩ يومًا ولا سيها بالنسبة للاطفال والنساء ولم تتدخل اية قوة لوقف ذلك فيها عدا لحمنا ودمنا. أنه في يوم واحد (يوم ١٢ أوت) على سبيل المثال القي على بيروت من قصف القنبابل وقذائف المدفعية الثقيلة ضعف قوة المتفجرات التي اصيبت بها هيروشيها وناغازاكي . وامام هذا العدوان الوحشي لم يصدر اي احتجاج حتى امام الامم المتحدة حيث اغمضت البلدان الأوربية اعينها امام الواقم. اني أسف أن اقول انه عار). وختم الزعيم الفلسطيني تصريحه بقوله: (لكنكم ستلاحظون فيها بعد بأننا لسنا الشعب الوحيد الذي سيدفع الثمن، وسنتغير في المستقبل)(١٠٠٠.

وطوال ما يفارب الثلاثة أشهر ظلت المدماء البريثة تشخي في موارع بيزوت وهجيات السلاجين واستمر العربي والضيائر السلجين واسمائر السحود الفلسطيني والوطني اللبناني رائعاً، والضمير العربي والضيائر الحوة تتعلب وتمزق دون أن يحول ذلك شيئاً من سواكن الانظمة، في زادت على غير الاشادة بالصمود الفلسطيني واظهار التأييد اللفظي والتنديد بسلبية الانظمة العربية وكأن الانظمة العربية وكأن الانظمة العربية وكأن الانظمة العربية كنانت الاستغاثات تشق عنان السهاء تستنهض الانظمة، ولئك الذيت تحتل الميزانيات الحربية القسم الأكبر من ميزانياتهم. فلمن تكدس الاسلحة وتجهز الجيوش؟

لقد كانت الانظمة ألمربية في حرج شديد من ان يظهر عجزها وتخاذها عارياً امام الجراهير وتظهر تبمية مواقفها لمصالح الدول الكبري (إذ ليس من الممكن ـ كها اكد فهد لأحد اصدقائه

(۱۰) نقلا عن جريدة والصباح، ١٩٨٢/٨/١٥.

- فيادة شعوب خفقت قلوبها مع الفلسطينين المحاصرين والمحافظة في نفس الوقت على صداقة امريكا). ويضيف الملك (انني اصبحت اخشى على حياتى، اذا لم تتحرك الولايات المتحدة فسأضطر القيام بشيء ضد الخمسيانة شركة العاملة في السعودية او أسحب الاموال المعودية من البنوك الامريكية). ولقد كان ريغن خلال ذلك غيره بين المحافظة على عروش عملائه في العالم العربي المعافظة على عروش أسلافهم على إثر خياناتهم في عام ١٩٤٨ وما فترج الأرض من نحت اقدامهم كها هدد بذلك قائد الثورة الفلسطينية المحاصر وزملاؤه وما يزيد عن نصف مليون مسلم قد قطعت عنهم كل وسائل العيش تصبحهم وقسيهم الفنابل المحرقة وأزيز المدافع وقصف الطائرات واخوانهم العرب لا مجركون ساكنا. كان المرائيل و محالة المرائيل. وكان اتباعه العرب المهددة وبين مصالح امريكا والتزاماتها مع حليفتها المرائيل. وكان اتباعه العرب كلها استشعروا الخطر على مصيرهم هما مجدث في بيروت جاروا بالشكوى له يناشدونه التنخل للضغط على اسرائيل وحملها على الترفق في تحقيق اهدافها. بالمشكوى المهددة والمناهم على المرقق في تعقيق اهدافها. بهذه القضية وعليكم ان تتفوا بنا اننا نقيم أصدامانا بحسب الطريقة التي يتعاملون بها مع هذه القضية مي نظروا المن نظروا المن نطرون بطريقة مسؤولة الحد المناه المناه المناهم ان تعلي المناهم ان تعلي والمناهم ان تعلول نا لما وعليكم ان تعلوا مشهم)دن.

وطوال الثهانين يوماً من ألحصار والتدمير الاسرائيلي لبيروت لم يتلق الفلسطينيون عوناً من احد. وحتى جيوش حافظ الاسد التي تعمل في لبنان باسم قوة الردع العربية ـ التي لم تنجح الا في ردع الفلسطينيين بكل قسوة سنة ١٩٧٦ ـ لاذت هذه المرة بالصمت الذليل والحياد الجيان وأستكانت لأول نداء لوقف القتال دعت اليه اسرائيل دون ان تلتزم به، لتتفرغ بعد ذلك للفلسطينيين مستعينة بخونة المسيحيين بل تجاوزت قوة الردع دور الحياد الى مراقبة تحركات الفلسطينيين في البقاع ومنعهم من القيام بأي عمل فدائي ضد القوات الاسرائيلية بل بلغ الامر التآمر معها للايقاع بالفلسطينين ٢١٥. ولم تستطع الانظمة العربية بل لم ترغب حتى في الاجتماع طوال الايام الشهانين الدامية للحصار فكانت تكتفي بالقيام بمشاهد مسرحية تشغل بها الرأى العام فيطالب هذا النظام بالاجتماع ويؤيده البعض فيعترض الآحر ثم يقوم آخر في مكان ثان ليدعو نفس الدعوة، ولكن لآ يكتمل النصاب. وهكذا ظلت الماطلة طوال تلك المدة ليترك الوقت الكافي وزيادة لشارون ينجز اهدافه دون اي ارتباك ولحلفائه الامريكان يفكرون على مهل في اخراج مسرحية جديدة ونسج خيوط مؤامرة اخرى على الأمة بواسطة مبعوثهم في المنظمة (فيليب حبيب) الذي ظلت الأضواء تلاحقه والأمال معلقة بتحركاته، وكانت جهوده منصبة على هدف محدد هو اقناع الفلسطينيين بضرورة مفادرة بيروت والتفاوض مع البلدان العربية لاقناعها بقبول اللاجئين. وكلما اصطدم بمقاومة فلسطينية تدخل شارون ليحرك الحوار في الاتجاه الذي يريده، وكلما لاقي من نظام

⁽۱۱) وجون افريك، ۲۱/۷/۲۸.

⁽١٢) أنظر شهادات المتطوعين التونسيين التي نقلتها جريدة والمستقبل،

عربى صعوبة او ممانعة في قبول الفلسطينيين المقاتلين كلاجئين منزوعي السلاح تدخلت امريكا بضغوطها والسعودية بيترودولاراتها فدفعت ملايين الدولارات

الى عدد من الانظمة منهم النظام السوزى - لتفتح أبواجا للفلسطينيين، كما تعهدت بدفع البان تذاكر نقل الفلسطينيين، كما تعهدت بدفع البان تذاكر نقل الفلسطينيين، كما تعهدت بدفع البحرية لحمايتها بمشاركة فرنسا وابطاليا. وهكذا تم لاسرائيل والانفلمة العربية والامبريالية العالمية اقتلاع الفلسطينيين من بيروت التى كانت خلال ما يزيد عن عشر سنوات بمثابة الفلمة الحصينة والدولة المستقلة وأرسوا فيها مؤسسات لا تتمتع بمثلها اى دولة عربية، تلك الفي لا تزال شووبها تدار بواسطة اشخاص لا بواسطة مؤسسات، ونجع المبعوث الامريكي فى في خداء الفلسطينيين مستقلاً ظروفهم القاسية فقدم لهم من الضيانات ما طعانوا معه على مصير الجاهر العزلاء فى المخيبات التى تركوها بلا حام، فهى حسب التعهد الامريكي فى مصير الجاهر العزلاء فى المخيبات الى ان يتسلم الجيش اللبناني تلك المهمة. ولكن تبين بعد ذلك ان الضيانات الامريكية تعتمد على ضيانات اسرائيلية ومتى كان لهؤلاء عهد الومنائق.

ولقد أحيط رحيل الفدائيين بدعاية عربية مكتفة للاشادة ببطولاتهم وتوظيف تلك البطولات في تزكية الانظمة العربية التي استقبلتهم وابراز ضخامة الجهؤد التي تبذلها تلك الانظمة في خدمة القضية الفلسطينية خصصة لهم استقبالات رصعية وشعبية ومعاملة قيادتهم معمالمة رؤساء الدول من حيث بروتوكولات الاستقبال والاقامة في قصور، كل ذلك من اجل ان تقنع الانظمة العربية نفسها بل جماهيرها بانها قامت بأقصى واجبها نحو القفية الدا بل المنافقة الدائمة العربية المنافقة المعاملة التعاملة التعاملة العاملة العربية المنافقة العربية العربية المنافقة العربية العربية المنافقة العربية العربية المنافقة العربية المنافقة المنافقة العربية المنافقة العربية المنافقة العربية العربي

قمة فاس (الأحداث):

خلاله الثيانين يوماً الدامية لحصار ببروت لم تتفق الانظمة العربية على اجتماع للقمة ولكن ما ان تم رحيل اخر فدائي وتحقق الهدف الأول من الغزو الاسرائيل ـ وهو تدمير منظمة التحرير او تشتيتها في الأفاق ـ حتى تنادى الملوك والرؤساء الى اللقاء فيا تخلف منهم غير القذافي اجتمعوا من جديد في فاس. وكان الموضوع الرئيسي حسب الظاهر هو المقضية المدافي المبنانية والفلسطينية . واضطلق المؤتمر رسمياً من مشروعين هما مشروع بورقيبة المداعى للانطلاق من الشرعية الدولية اى قوار التقسيم لسنة ١٩٤٧ القاضى يتكوين دولين في فلسطين يبودية وعربة الملاجئين ووضع حد لحالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل (١٤) ومشروع فهد الذي ينص على : .

(۱۳) نشرت ذلك جريدة (LE TENMPS) في احد اعدادها خلال حصار بيروت.

(١٤) وجون افريك، ٢٢/٩/٢٢.

1_ انسحاب اسرائيل من الاراضى التي احتلتها بعد ١٩٤٧م بها في ذلك القسم العربي من القدس.

ب - ازالة كل المستعمرات التي انشئت في الأرض المحتلة بعد ١٩٦٧م. ج - ضيان حرية العيادة لكل الاديان في الأماكن المقدسة.

. - الاعتراف بحق الفلسطينيين في العودة الى وطنهم والتعويض لكل من لا يرغب في العودة. هـ - وضع الضفة الغربية وغزة تحت وصاية الامم المتحدة خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة اشهر.

و- تكوين دولة فلسطينية عاصمتها القدس.

ز .. حتى كل دول المنظمة في العيش بسلام (١٠).

أما مخطط ريغن فرغم انه لم يكن مدرجاً بشكل رسمى فى جدول اعيال المؤتمر الا انه فيها يبدو كان هو المحور الأساسى للمؤتمر حتى لكأن المؤتمر انها انعقد لأضفاء نوع من الشرعية العربية على المخطط الأمريكي يقول السيد بن مجمد: (سارع العرب للتباحث حول مشروع ريض مع أن صاحب المشروع طرد الفلسطينيين من بيروت ولا يقبل الحديث عن المنظمة الفلسطينية والدولة الفلسطينية، أن العرب يتعلقون باى خيط رام ولقد سبق المؤتمر القصائح المريكة للاطلاعها على مخطط ريغن بها في ذلك النظام السورى ومنظمة التحرير عن طريق مجموعة من الوسائط منهم فيليب حبيب والوزير الأول التونسي وقا التوزير الأول التونسي ، وقام مساعد كاتب الدولة لشؤون المرق الأوسط نيكولا فليوت بزيارة سرية الى الأردني.

ولقسد جاءت زيارتـه وهــو الصديق الشخصى لحسين فى الوقت الذى كان الفدائيون يغادرون بيروت،،،ومن ثم لم يكن اعلان امريكا لمخططها عشية اجتهاع قمة فاس مفاجئاً للمؤتمرين. وينطلق مخطط ريغن من (اتفاقات المخيم) التى تنص على حق الفلسطينيين فى الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة عدا القدس التى ارجىء وضعها للتفاوض. ويتطور هذا الحكم الذاتى خلال خمس سنوات الى اتحاد كنفدرالى مم الأردن.

ولقد اعتبر كثير من المشاركين في مؤتمر فإس مشروع ريفن خطوة ايجابية بل ذهب البعض مثل الحسن الثانى الى حد التنوية به قائلاً: (إنه لأول مرة يضع رئيس امريكاني ثقله في الميزان ليطالب بعودة الضفة الغربية وغزة والقدس فهل ينبغى تشجيعه ام لا؟ أليس من الميزان ليطالب بعردة على ذلك قائلين له هذا حسن ولكنه غيركاف). وإضاف (امير المؤمنين)!: (لنجرب مدة ستة أشهر قبول هذا المشروع، اننى أخشى انه اذا فاتننا هذه الفرصة فلن تعود

⁽۱۵) نفس المصدر

⁽۱٦) وجون اقريك، ١٥ /١٩٨٢/٩.

⁽۱۷) تقس الصدر..

ابدا. . ان كل الحاضرين هنا هم متفقون على اعطاء اهمية خاصة لاقتراحات الرئيس ريغن) . فاعترض الاسد بأن ذلك لم يحصل وإن له تحفظات على المشروع كله ، فتعالت الضجة داخل القاعة وما عاد يسمع غير أصوات الاحتجاج والسخرية : (لنبحث عن حل ، لنبحث عن حل أنبحث عن حل أن قد للنبحث عن حل في هذا. اما محمد مزالي فقد اعتبر ان مقترحات ريغن تحول في المرقف الامريكي «بهما يؤكد ان موضوع المؤتمر لم يكمن في الحقيقة مشروع فهد وبورقيبة ، وإنها مشروع ريغن على وجه التدقيق .

وانتهى مؤقر فاس يوم ٩ سبتمبر براقرار مشروع فهد مع إضافة بسيطة تتعلق بالتأكيد على الشرعية المدوير باعتبارها الشرعية المدوير باعتبارها الشرعية الدولية (جوهر المشروع البورقيبير) وعلى التأكيد على دور منظمة التحوير باعتبارها ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني وضهان حق كل دول المنطقة في العيش في سلام بها في ذلك المدولة الصهيونية.

٣ - نتائج مؤتمر فاس : عرض وتقويم وتحليل :

احيطت مقررات فاس بدعاية عربية وعالمية مكنفة. فاعتبرت انتصاراً رائماً للارادة العربية وخروجاً بالسياسة العربية من المرحلة العاطفية والمثالية الى مرحلة العقل والواقعية والرشد، كها اعتبرته الحكومات الغربية والشرقية موقفاً ايجابياً وعلامة تطور ايجابي في الموقف العربي عدا ليبيا وايران واسرائيل التي هاجمت مقررات المؤتمر بسبب انطلاقها من مواقف جلدية من القضية لا تقبل المساوية.

وقبل أن نورد عرضاً لمختلف المواقف بشىء من التفصيل نلقى بعض الأضواء على المفروء على المفروء على المفروء المدري المفروء المدريق المفروف التدريخية لنشأة الفكرة التي قام عليها المؤتمر وفي الحل السلمى لملنزاع العربي الاسرائيلي والاعتراف المتبدل بين العرب واسرائيل متتبعين تطور هذه الفكرة حتى هذا الطور الذي خدت فيه موقفاً وسمياً للحكومات العربة.

معلوم ان مؤتمر فاس انطلق رسمياً من مشروعي فهد وبورقيبة. ومعلوم كذلك ان المشروعين كانا قد رفضا من طرف عامة الانظمة العربية. اما الاول الموسوم بمشروع بورقيبة فهو في الحقيقة ليس بمشروع جديد وانها هو دعوة للرجوع الى القرار الأممي لسنة ١٩٤٧ الفاضي بتقسيم فلسطين بين اصحابها الشرعيين والمالك الجديد اغتصابا ودعوة المالك المحديد اغتصابا وحوة المالك الجديد اغتصابا وحوة المالك المحديد عسلام؟ ولقد أجم حكام الشرعي الى الاعتراف للمغتصب بشرعية اغتصابه والتعايش معه في سلام؟ ولقد أجم حكام

العرب وقتها على رفض ذلك القرار المكرس للاغتصاب وذلك تحت ضغط الجماهير التي

⁽۱۹) وشؤون عربية، ص ۱۹۵. (۱۸) نفس المصدر.

ثارت ثورة عارمة ضده وانطلقت من كل اطراف العالم العربي الاسلامي الى فلسطين تطلب الشهبادة وتبطه بر الارض المقدسة من الرجس اليهودي. ولم تجد الأنظمة بدا من ارسال جيوشها لمقاتلة العصابات الصهيونية. ولقد كاد الجنين اليهودي الصليبي ان يجهض تحت ضم بات المقاتلين وضغط الجاهير لولا تآمر الحكام العرب وخياناتهم، فاستخدمت الجيوش البرسمية لضرب ومحماصرة المتطوعين وقمع التحركات الجهاهيرية واستعملت على الجيوش قيادات خائنة وسلمت لها أسلحة زائفة عما أسقط ارض المعاد لقمة سائغة في ايدى العصابات اليهودية. ولم تجد الجهاهير متنفساً لغضبها الا بالثورة على اولئك الخونة فقتل ملك الأردن عبد الله جد الملك حسين، وأطيح بالنظام السورى والعرائي والمصرى ونشأت أحزاب وأنظمة ترفض مشروع التقسيم وترفع لواء تحرير فلسطين. وفي نفس السنة التي إنطلقت فيها أول رصاصة فلسطينية ضد الكيان الصهيوني من طرف ثلة من الفتيان مع ياسر عرفات انطلقت دعوة بورقيبة سنة ١٩٦٥ في خطاب له بأريحًا المحتلة اليوم يدعو فيه العرب الى الاعتراف باسرائيل عن طريق قبول القرار الأممى الذي كانوا قد رَفْضوه سنة ١٩٤٧ والقاضى بتكوين دولتين في فلسطين عربية واسرائيلية، فتعالت اصوات الاحتجاج من كل مكان في الوطن العربي وأجمع العرب حكومات وجماهير على رفض قرار التقسيم مرة أخرى. ولم يتردد بورقيبة امام الضجة التي قامت في وجهه من الكشف والتصريح بأن ما دعا اليه هو على اتفاق بينه وبين الزعهاء العرب ومنهم عبد الناصر فكيف يتنكرون له بعد ذلك؟ وتحت ضغط الجاهير التي اشتد غضبها على هذه الدعوة اضطر أكثر من نظام في المشرق أن يتمرأ من هذه المدعوة ويقطع علاقاته بالنظام التونسي. واحتلت وأحرقت سفارات لتونس من طرف الجهاهير واستقر الرأى العام والرسمي على اعتبار تلك الدعوة خيانة واستسلاماً للعدو، فيا الذي حدث بعد ذلك عبر هذه السبع عشرة سنة؟ .

لقد فشلت الاحزاب والأنظمة الرافضة ان تقدم اى شىء للجهاهير عدا الارهاب والفقر والهذائم المتكررة فسقطت كل الشعارات وسادت المراوة وخيبة الأمل، ومقابل ذلك اشتدت قبضة الاستعبار الجديد واستقطاب الأنظمة الى الشرق والغرب ونجحت اسرائيل الى حد بعيد فى توظيف الامكانات الغربية واستيعاب التجربة الغربية فى بناء مجتمع حديث تحكمه مؤسسات عصرية يتمتع فيها الاسرائيلي بقدر من الحرية والكرامة لا نظير له الا في الغرب وبقكر هزايد لا ويقدر تزايد الارهاب والافلاس فى العالم العربي بقدر ما زاد اعتاده على الغرب وتحكم هذا الاخير فيه وانتشال نزعة واسعة من الياس وخيبة الأمل، الى جانب مفعول الحرب النفسية فى تخدير الانسان العربي وقلب المفاهيم لديه بها يشبه عمليات غسل المنح بالاضافة الى فشل الفكر الثوري والأحزاب (الثورية) فى تفجير طاقات الجهاهير اذ تركت الجهاهير جانباً وتحالفت مع الانتقلابين العسكويين.

والاسلاميون انفسهم نتيجة ظروف داخلية وخارجية عنهم فشلوا في تعبثة الجماهير تعبثة ثورية عقائدية واجتماعية من اجل بناء مجتمع اسلامي ديمقراطين وعادل. فلقد ظل الفكو الاسلامي رغم تطلعات التجديدية مشبعاً بعناصر انحطاطية تجنعه من تفجير الطاقات الثورية في الاسلام وتحول بينه وبين استيعاب الواقع وتحليله والسيطرة عليه.

وعامل آخر هو الحرب: لقد واجه المجتمع اليهودى الستوعب لاحدث التقنيات الغربية والتجارب الديمقراطية مجتمعات عربية منحلة ، غارقة في الانحطاط ، على رأسها حكام سنج او عملاء، فكانوا فريسة سهلة لأعدائهم . وخطر الهزائم العسكرية المتكررة يتجاوز الحسائر، الملدية من سلاح وارض وجنود الى ما هو اخطر اى اصابة المهزوم بالشلل الارادى وانحلال الشخصية الى حد انعدام ثقته في قدرته على القيام بأى عمل واعجابه الشديد وخصعه .

كل أولئك عوامل تلقى اضواء على المسار التاريخي العربى الحديث الذي قاد الى مؤتمر فاس والى اجتماع الانظمة على إقرار ما كانت قد رفضته منذ أقل من عشرين سنة. حتى غدت فكرة إزالة اسرائيل اليوم ليس لدى الحكام فحسب بل حتى لدى فئات واسعة من المثقفين العرب ـ خاصة ـ ضربًا من الاحلام والطوباوية.

لقـد أعيد الاعتبار في فاس لا لدعوة بورقيبة بل لبورقيبة ذاته، فأضفت عليه الدعاية العربية هالة من الحكمة المبكرة والعبقرية الفلذة.

اما المشروع الثانى الذى انطلقت منه قمة فاس فهو مشروع فهد الذى كان قد قدمه منذ القرل من سنة (نوفمبر ۱۹۸۱) فى مؤقر فاس ولكنه لم يستطع ال يحظى باجاع او بغالبية المؤقرين. وكان الطوف الذى رفض المشرع بشدة هو وجبهة الرفض، او والصمود والتصدى، المؤقرين. وكان الطوف الذى رفض المشرع بشدة هو وجبهة الرفض، وكانت توابد لا تزال قائمة وذات شىء من الفعالية والجهاهيرية لما تمثله من دور الرفض امراء البترول ومن لف لفهم ممن هم دائرون فى الفلك الامريكى. في الذى حدث ولما تنقض سنة على الاجتماع الالى محدث ولما تنقض سنة على الاجتماع الأول بفاس حيث بلغ الخلاف أشده بين الرافضين والمعتدلين وانفضوا على على غير قرار حتى يعود نفس الاسخاص تقريباً ليجتمعوا على ما كانوا قد رفضوه منذ تسعة الشهر؟ لقد دعاهم يومها الحسن الثانى وهم يحزمون حقائهم الى دوقفة تأمل، نفسية يستعيد فيها الفكر العربى صفاءه واشعاعة قبل ان تصدر منه قرارات غير واقعية ازفهل هى دعوة فيها المنتفى المنانى فى المرحلة الأولى من فاس الى التعقل ام هى دعوة بورقيبة فى افتتاح المرحلة الثانية الى تجنب العاطفة والمواقف المتطرفة) (٢٠٠هى التي أدت الى هذا التحول خلال تسعة أشهر؟ و؟

انه ليس هذا ولا ذلك وإنها هي بيروت بل قل آلة الحرب الاسرائيلية هي التي حسمت المعركة ـ ولو الى حين ـ لهد المعركة ـ ولو الى حين ـ لصالح ما يسمى بجبهة الرفض أو الموالين للاتحاد السوفيتي . لقد قلبت آلة الحرب الاسرائيلية ميزان القوى في المتالمة كلها المائدة المسكر الامريكي في العالم العربي ولم يكن هذا التحول فجائياً فلقد بدأ منذ أن تولت وحدات موشى دايان في ١٩٦٧ تمطيم الحيش المصرى في سيناء الذي كان يوصف بأنه أقوى قوة ضاربة في الشرق الأوسط،

⁽۲۰) جريدة وبلاديء ١٣/٩/١٣.

موجهة بذلك ضربة قاسية الى التيار الاشتراكي والنفوذ الروسي الذي ظل منذ ذلك التاريخ ولأسباب اخرى يتزحزح على الصعيد العربي وعلى كل المستويات لفائدة النفوذ الامريكي وعملائه، ذلك النفوذ الآخذ في الانساع. ولقد عبر النفوذ الامريكي عن نفسه بعدة أشكال ومظاهر منها بروز المخططات الامريكية في المنطقة لأول مرة سنة ١٩٦٨ (مشروع روجرز) ووضيم العرب يومها على (السكة) التي قادت الى غيم داوود والى مؤثر فاس، حتى ان السادات كان كثيراً ما يردد ان تسعين بالمائة من اوراق قضية الموقوق الأوسط هي بيد الامريكان. وكاد الاعتقاد يسود العالم العربي بصحة ما صرحت به الارساط المصرية تعليقاً على مبرع ريغن وان مفتاح كل تقدم يكمن في عزم الولايات المتحدة على اسرائيل لحمل حكومة بهن للتخلى عن التصلب الذي اظهرته تجاه مخطط من الرئيس ويغن» ون»

وقد تعزز النفوذ الامريكي بثورة النفط التي حدثت في السبعينات وتزايد الجشع الرأسيالي لافقار الانظمة الدائرة في فلكه والتي تزايد ارتباطها المصيري به سواء المالكة للنفط منها، تلك التي تدفقت في قصورها أطنان من البترودولارات زادت من ضعفها وارتباطها بأمريكا من اجل حماية هذاه الثروة من الانتفاضات المداخلية والتهديدات الخارجية. «ذلك أن القوة ليست بنت الغني ولكنها بنت الاستقلال، ان الغني ليس الا شراً اذا زاد من خطورة التبعية وهذه هي حالة دول البترول دون استثناء، وهذا ما يفسر مواقف المسوولين العرب في الشرق الارسط. انه الغني الذي لم يكن له من تتيجة عليهم الا الرعب. لقد غدوا محكومين بالرعب من أن يفقدوا دفعة وإحدة ما هبط عليهم من ثروات دفعة وإحدة من السياء او صعد من الارض. ولأنهم خاتفون فليسوا أقوياء، فهم خاتفون النها الدائرة الملينة التي أغلقت حفهمين.

والذي نَمى خاوفهم على هذه الثروة وبالتالى ضعفهم وبالتالى تبالكهم على الاستسلام المريكا اندلاع النورة الايرانية وخاصة بعد نجاحها في إفشال المخطط الامريكي للاجهاز عليها الذي نفذه صدام حسين بتمويل خليجي ثم نقل ايران الحرب داخل العراق بما أصاب بلاد الخليج والدائرة في فلك الامريكان عامة بحالة من ألهل من الخميني ومن كل تحرك السلامي وفعها بقوة الى احضان الامريكان الى الارتماء تحت اقدامهم وغدوا مستسلمين لطلبات امريكا وكلهم خشية من غضب ريغن - لا سمح الله .

أن الغربين الإفارة غير العرب يطنون أن المسؤولين العرب أنما يخافون اسرائيل، وليس ذلك صحيحاً أبداً، أن المسؤولين العرب ليسوا خاتفين من اسرائيل لاتهم يعلمون انهم لا يمثلون مشكلة لشارون وبيجن. أن اسرائيل تبحث عن الفلسطينين وتطاردهم ولا شأن لها بالحكام العرب. وأن اسرائيل التي تمثل في المنطقة ذراع امريكا وأداتها ما كان لها أن تهدد مسؤولاً عربياً هو زبون لأمريكا أو تحت حمايتها. أن المسئولين العرب ليس لهم ادني خوف

⁽٢١) جريلة والصباح، ١٧/٩/١٧.

⁽٢٢) افتتاحية بن يحمد في وجون افريك، ١٩٨٢/٧/٢١.

الا من شخصين ـ انهم يخافون من الخميني كها كان اسلافهم يخشون عبدالناصر في الستينات ولنفس السبب يخافون الحميني لانه مثل عبدالناصر يهدد انظمتهم من الداخل، وهم إيضاً يخافون ريغن من ان يسحب عنهم حمايته او يجد بديلا عنهم ولن يحرك الشعب ساكنا لحيانتهم الله السمية

هذا شَأَنُ أَنظمة النفط. اما المحرومة منه فقد قادتها سياستها الانهائية المنبتة عن ثقافة الجهاهير ومصالحها وارادتها الى الافلاس الاقتصادى وتكريس التبعية للغرب واتساع الفوارق الطبقية مما جعل تلك الانظمة على حافة البركان. فيا لها بد من البحث عمن مجميها من الثورات الداخلية او التدخل الحارجي من طرف انظمة تنتمي الى معسكرات اخرى.

لقد حسم شارون المركة _ في هذه المرحة - لصالح الامريكان ومواليهم في المنطقة مطيحاً الم غير رجعة - فيها بعد - بجبهة الرفض، فها بقى منها من رافض الا رجل واحد هو خائف يترقب لا يدرى متى يأتى دوره ليطاح به من طرف الامريكان وعملائهم، ذلكم هو القذافي . لقد فضيح شارون هشاشة الرافضين كلهم وإن حقيقة رفضهم لا تتجاوز العنف اللفظي ومهاترات الشعارات في الهجوم على الامبريالية . لقد اكتشفت الجماهير ان الرافضين كالقابلين عندما يتعلق الأمر بمواجهة اسرائيل . فهاذا فعل السوريون؟ ألم يكونوا اسرع الى الاستجابة لدعوة شارون الى وقف اطلاق النار من طرف واحد؟ .

اما الفلسطينيون فقد ادركوا هذا التحول في موازين القوى في المنطقة لصالح امريكا واتباعها فاجتهدوا في تمين علاقاتهم مع جبهة والقازه (يعنى النفط) رغم عضويتهم في جبهة والرفض، ويقول هاني الحسن احد الزعامات الفلسطينية البارزة والمستشار السياسي لياسر عرفات منوها بمواقف المملكة الثابتة من القضية الفلسطينية: «لا يسم المنظمة الا ان تعلن عن تقديرها الحاص لدور الملك فهد بن عبدالعزيز وبلجهوده الشخصية التي يوليها لدعم القضية الفلسطينية، واوضح أن هناك تنسيقاً سياسياً بين المملكة ومنظمة التحرير لدعم حق الشعب الفلسطينية ، وافضح أن تقرير مصبره كإ وصف العلاقات السعودية الفلسطينية بأنها علاقات السعودية الفلسطينية بأنها علاقات السعودية الفلسطينية بأنها علاقات السعودية الفلسطينية بأنها علاقات السعودية الفلسطينية بأنها

اما ياسر عرفات فقد وصف نتائج قمة فأس بأنها ايجابية وهامة وفي مستوى التحدى وإنها تمثل قفزة الى الامام في العمل العربي بوجه عام وأضاف _ وكأنه يبرر موقفه هذا _ : «انا واقعى وادافع عن قضية «».

وعن مقترحات ريغن ذكر بسام الشكعة انه موافق على ما جاء في تعليق السيد فاروق القدومي _ رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير _ على مقترحات ريغن واللي لاحظ ان هذه المقترحات تتضمن عناصر جديدة تستحق الـدرس. وذكر بسام الشكعة ان كلام القدومي يعكس وجهة نظر الشعب الفلسطيني شهه،

⁽٢٣) نفس المسدر.

⁽١٤) جريدة والعمل ١١ / ١٩٨٢ .

⁽٢٥) نفس الجريدة ٢/٩/٢٩.

⁽٣٦) جريدة والصباح، ٤/٩٨٢/٩.

وهكذا تحولت امريكا من كونها طرفا في النزاع الى كونها حكياً بل صديقاً للعرب يقدم لهم حسب تعبير رئيس مؤتمر فاس - فرصة نادرة لاسترجاع ارضهم ينبغي الا يضيعها. بينها كان اعتبار امريكا طرفا معادياً في الصراع يقتضي أن يصدر عن المؤتمر تنديد بها صارم وتهديد بضرب مصالحها وقطع العلاقات معها لحملها على كف اشتراكها في حربنا. ولكن الواقع ان مقترحات ريغن كانت كها ذكرت جريدة لوموند (LE MONDE) أهم المواضيع التي ناقشتها قمة فاس وإن مبادرته كانت تتصدر الى جانب مشروع فهد اعيال مؤتمر فاس كها اوضحت الصحيفة السعودية «المسائمة» «٣٠وهكذا لم يتمخض مؤتمر فاس عن شيء سوى إنه أقر ميزان قوى جديداً في العالم العربي .

أما ياسر عرفات فقد بدا واضحاً انضهامه الى معسكر المعتدلين. وإذا كان هؤلاء المعتدلون قد راهنوا على الحل السياسى مرتبطاً بأمريكا قد راهنوا على الحل السياسى مرتبطاً بأمريكا وقدتها على فرض وفاق على اسرائيل، فقد ظهر واضحاً مدى النحول في ميزان القوى الذي أسفرت عنه قصة فاس وانجاه منظمة التحرير الى مزيد من الاعتدال ومراهنتها على الحل السياسى أى على إقناع الامريكان وحلفائهم الغربيين بعدالة قضيتهم وبضر ورة تدخلهم للضغط على إسرائيل وإقناعها بجدوى مقايضة السلم بالارض. والسؤال الذي يطرح نفسه هذا: إلى أى مدى يمكن الرهان على إمكانية الفصل بين المصالح الأمريكية والاسرائيلية والى أى مدى يقدر امريكلفى صورة اقتناعها أن تفرض على اسرائيل ما لا تريده هذه الاحتجاز؟ و

وبعبارة إخرى الى أتى مدى يمكن للعمل السياسى وحدة أن يحقق أهداف حركة ثورية كحركة التحرير الفلسطينى والعربى عامة فى استرجاع الوطن السليب أو حتى جزء منه بعد ان سلمت الانتظمة العربية بشكل رسمى بها فيها منظمة التحرير بحق كل دول المنطقة بالعيش فى سلام الامر الذي يعد اعترافاً واضحاً بإسرائيل، وهو اعتراف من طرف واحد لأن اسرائيل ترفض رفضاً قطعياً مفهوم الدولة الفلسطينية؟.

الأمريكان والقضية الفلسطينية:

ان الذين يعرفون تشابك الملاقات الامريكية الاسرائيلية وما تمثله اسرائيل في المنطقة من حارس امين للمصالح الغربية عامة حارس امين للمصالح الغربية عامة فضلاً عن الحقودية المصالح الغربية عامة فضلاً عن الحقفية الحضارية المشتركة (الحضارة اليهودية المسيحية) التي تجعل من اسرائيل استداداً كاملاً للغرب في قلب العالم العربي الاسلامي مهمته إجهاض كل عاولة لبعث حضاري في المنطقة بالاضافة الى ما يمثله الاخطوط اليهودي في امريكا خاصة والغرب عامة من ثقل اقتصادي وثقافي وسياسي واعلامي ذي تأثير فعال في القرار الامريكي والغربي مما لا يمكن لأي حكومة امريكية الا أن تقرأ له حسابً واي حساب ان من يدرك ذلك لا يمكن لامكن لأي حكومة امريكية الا أن تقرأ له حسابً واي حساب ان من يدرك ذلك لا يمكن

(٧٧) نقلا عن جريدة ولوموند، وجريدة والمسائية، عن طريق جريدة والطويق الجديد، ١٩٨٢/٩/١١.

له ان يصدق ـ في الأجـل القـريب والمتـوسط على الأقـل ـ احتــال تصــادم جذرى بين الاستراتيجيتين الامريكية والاسرائيلية في المنطقة العربية والاسلامية عامة .

كتب محر رمجلة «المستقبل» الصادرة في باريس معلقاً على آفاق السلام في الشرق الأوسط فقال: ُلقد أَسقط شارون القنبلة الأولى هذه المرة على واشنطون وليس على بيروت، اسقطها على واشنطون التي أصر على وصفها بأنها شريكة اسرائيل وليست حاميتها وأساس بقائها وهي المستفيدة الأولى من غزو لبنان وليست المحرجة امام اصدقائها العرب من جراء هذا الغزو والمهددة لصالحها اذالم تسارع لاحتواء المضاعفات السلبية عليها بايجاد حل سريع وعادل للمسألة الفلسطينية. ويقول شامر: «ان الولايات المتحدة واسرائيل تتقاسيان الهدف حتى وإن اختلفتا في طريقة تحقيقه، وقد صرح وزير الدفاع الامريكي كأنه يعتذر لامريكا عن المجزرة الشنيعة التي قام بها الحلف الاسرائيلي الصليبي في المخيات الفلسطينية ببيروت رغم الضانات الكتابية التي قدمها الامريكان لمنظمة التحرير بحياية المدنيين من كل عدوان بعد رحيل الفدائيين، صرح بأن بلاده لا تستطيع السيطرة على اسرائيل وإن اسرائيل هي التي تمثل مصالحها في المنطقة(٢٠٠ فضلًا عن ذلك فان بلداً كأمريكا تمتلناً شعوراً بالقوة والتفوق على جميع المستويات حتى على فرض إلغاء كل الاعتبارات السابقة كيف يمكن ان يحترم أنظمة بمزقة خاوية فاقدة للارادة السياسة والحضارية مثل الأنظمة العربية التي هي أنظمة عائلية وعشائرية متخلفة مقابل نظام اسرائيلي يمثل القيم الغربية ويجسدها بتفوق على جيع المستويات مما يؤهله للقيام بدور الشريك الجدير بالثقة . ولو قارنا مثلًا بين الكفاية العالية والأرادة السياسية والادارية الحازمة التي تدير بها اسرائيل آلة الحرب الامريكية والاستهتار واللامبالاة بل الخيانة والميوعة التي يديرهما السوريون مثلًا آلة الحرب السوفياتية لأدركنا سبباً من الاسباب التي تجعل اسرائيل موضع اعجاب في غرب تأسست فلسفته على السيطرة والقوة والنظام. وعلى سبيل المثال فان اسرائيل هي البلد الوحيد الذي يتلقى طلبات عسكرية من وزارة الدفاع الأمريكية بن وهذا التشابك في العلاقات الامريكية الاسرائيلية يجعل الظن بأن في امكانّ امريكا وخاصة في عهد ريغن ان تفرض اي شيء على اسرائيل وتضطرها الى تنازلات هو ظن خادع. فالثابت ان المعونة الامريكية العسكرية لاسرائيل تتضاعف عقب كل حرب تشنها اسرآئيل. قبل حرب ٦٧ كانت هذه المعونة ٢٠٠ مليون دولار تضاعفت مرتبين بعد الحرب، وقد بلغت بعد حرب ٦٧ ملياري دولار لدرجة ان المساعدة العسكرية لاسرائيل والدين الخارجي بلغا (٢٤ مليارا من الدولارات وهو يعادل الدخل القومي لاسرائيل). وإنفتاح اسرائيل على الضفة الغربية واليوم على لبنان لتصريف

⁽٢٨) جريدة ولوموند، نقلا عن والصباح، ٢٦/٨/٢٨ .

⁽٢٩) نقلًا عن نشرة الاخبار بالتلفزيون الترنسي الساعة الثلمنة من مساء يوم ٢١/٩/٢١.

⁽۳۰) مجلة دجون افريك، ١٩٨٢/٩/١٥.

بضعائها هي الأعمدة الرئيسية للاقتصاد الاسرائيلي الذي تعد مشاكله جزءا من مشاكل الاقتصاد الامريكي مما جعل خبيراً اقتصادياً اسرائيلياً يقول: «ان اسرائيل ليست لها مشاكل اقتصادية وإنها الولايات المتحدة هي التي لها مشاكل، ١٠٠١ وذلك على اعتبار امريكا شريكاً. لاسرائيل في حربها وفي المصالح المترتبة على تلك الحرب والحارس الامين للمصالح الغربية عامةً في المنطقة. من هذا المنطَّلَق نفهم تدخل امريكا في لبنان وتخطيطها مع اسرائيل. وقد اعترف شارون بذلك. ققال: «ان غزُو لبنانَ كان موضوع نقاش في شهر سبتمبر الماضي «١٩٨١» مع وزير الخارجية الأمريكي وناقشه مع واينبرغر في نوفمبر من نفس السنة وناقشه مع حبيب، ولكن الامريكان يذكرون ان الاسرائيليين خدعوهم اذكانت المنطقة التي وافق الأمريكان على احتلالها من لبنان تتناول الشريط الحدودي ولا تتجاوز ٤٠ كيلومتراً بل كانت عدة بلدان عربية على علم بذلك وسكتت على امل القضاء على الفدائين في قواعدهم القوية في الجنوب اللبناني. ولكن بيغن خدع الامريكان فتجاوز ذلك الى احتلال ثلثي لبنان بيا في ذلك عاصمته. فغزو لبنان او جزء منه _ على الأقل _ خطة مشتركة بين الامريكان وشركائهم الاسرائيليين وعملائهم العرب وذلك من أجل تدمير منظمة التحرير وتحويل مسارها من منظمة تمثل طليعة التحرر في العالم العربي الى جعلها جزءا من الواقع السياسي العربي الخانع للأمريكان. وحتى لا يصاب الفلسطينيون بمرارة الخيبة، فيندفعون الى الانتقام من الأنظمة العربية وتهديد المصالح الغربية كان لا بد ان تتبع عملية تدمير وجودهم العسكري في بيروت على يد اليهود بعد ان دمر ذلك الوجود مرات على يد العرب قبل ذلك ، كما اصبح يمثل تهديداً حقيقياً لاسرائيل وبالتالي للأنظمة العربية عمثلة المصالح الرأسهالية في منطقتناً. كان لا بد ان يتلو ذلك تسويَّة سياسية تنزع من المفاتل سلاحه كمَّ تنتزع من الاسد مخالبه وقواطعه ليتحول الى حيوان أليف ويقر في خلده بأن ذلك انتصار وحكمة وسياسة عظيمة. من هنا ينطلق مشروع ريغن لتسوية القضية الفلسطينية. ولتغطية بصيات التآمر وروائح الخيانة في المشروع كانَّ مؤتمر فاس من اجل تعريب المشروع الامريكي وطبعه طبعة عربية ."

ورغم المسافة بين مشروع ريغن الذي ينفي فكرة الدولة الفلسطينية ومقررات فاس التي تؤكد عليها، فأن الانظمة العربية ومنظمة التحرير قد اعتبرت المشروع الامريكي خطوة إيجابية وتحولاً في السياسة الأمريكان مقراطة العربية و لد راهن جميهم على الحل السياسي أي على اعتراف الامريكان بمنظمة التحرير والضغط على امرائيل. ومعلوم أن الامريكان يشترطون اعتراف الامريكان وابر البرائيل والميافية على امرائيل. ولم يعد هذا الشرط بعد فاس عقبة تذكر وإنها العقبة هي اعتراف الامريكان وابرائيل حاساً في نفى اكم وينكل الامريكان واسرائيل بالميافي في نفى بلدو مراهنون على تطور رأى عام داخل المرائيل موال للحراب مستعد لاعادة جزء من الارض مقابل السلام مع توفير ضهائيات لان لا تتحول تلك الارض الى قلعة للهجوم على امرائيل. والامريكان مستعدون أن يقدموا ذلك الضهان للامرائيليين عثلين في حزب العمل وفي مجموعة من المساهدوس ٢٦.

الجمعيات أو التنظيات داخل اسرائيل مراهنة على المخل السلمى. وقد تكفل ريغن قبل الاعلان عن مشروعه بإقناع القطاع الأوسع من المنظيات اليهودية في امريكا. وأستغلت من أجل ذلك زيارة بيريز نفسه لأمريكا، كما تكفل بإقناع اهم الاطراف العربية. فقد أعلن الملك حسين رهو المعنى الاول بالحل الأمريكاني اثر لقائه بمساعد وزير الخارجية الأمريكي أنه ويؤيد الجياد كونفدرالية بين الاردن وفلسطين وقال اننا كيانان منفصلان مرتبطان مع بعضنا». وذكرت وكالة الانباء الفرنسية وان الملك حسين اعرب عن اعتقاده بأن الاعتراف باسرائيل اذا استتب السلام سيصبح امراً لا مفر منه وان اقامة علاقات ديبلوماسية مع امرائيل اذا استتب السلام سيصبح امراً لا مفر منه إيفسار».

ولقد مهدت الاتصالات المباشرة وغير المباشرة ثم زيارة وفد من الكونجرس مقر ياسر عرفات وموافقة هذا الآخير على كل ما صدر عن الامم المتحدة من قرازات في شأن القضية الفلسطينية التي تتضمن اعترافاً واضحاً باسرائيل واعترافاً ضمنياً أو صريحاً بالفلسطينين كلاجئين او بحقهم في اقامة دولة ذات سيادة مثل القرار ۱۸۱ و ۲۶۲ و ۳۲۳۳، فهل يعنى ذلك أن المناخ قد تهياً لوضع حد لصراع مضى عليه اكثر من خسين سنة بين العرب واليهود؟ ذلك فيا يبدل التيجيدة الطبيعية لكل المجازر والتضحيات والمؤتمرات والمخططات العربية والغ بية ا

مصير القضية الفلسطينية:

يقول الاخ احمد بن بلة «. . . ولو ان الفلسطينيين انتهوا تحت الضغط للاقرار بأى حل فان المرب لن يقبلوا طويلًا الدولة اليهودية» . ويمكن تعليل ذلك بها يلي :

١ - بتشريح الطبعية الصهيونية التي تنطلق استراتيجيها من السيطرة الاقتصادية والثقافية والسياسية على المنطقة كلها بحيث حتى ولو اعترف العرب اليوم بدولة يهودية ضمن حدود معينة قان الطبيعة الصهيونية لن تعتبر ذلك سوى مرحلة وفرصة لمزيد من التأهب للانقضاض واحكام السيطرة على مناطق اعرى. ان الحريطة الرسمية «لاسرائيل»، تلك التى تتربى عليها الاجيال اليهودية والتى تتصدر المؤسسات الرسمية كالكنيست، هى تلك التى حددتها مصادرهم المدينية وانطلقت منها الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر (أرضك يا اسرائيل من النيل الى الفرات). بل ان أحلام الصهاينة وهوسهم القومى والديني يتجاوز ذلك الى الطموح إلى اخضاع العالم كله تحت سيطرتهم المباشرة أو غير المباشرة. وليست بروتوكولات

حكياء صهيون سوى وثيقة من الوثائق الكاشفة عن تلك المعلومات،

٢ ـ ان الصراع بين العـرب والاسرائيليين ليس ظاهرة حديثة فهو من اقدم الظواهر التي صاحبت تاريخ هذه الأمة منذ نشأتها وانطلاقتها الحضارية مع ظهور الأسلام. من يُومها بدأً التآمر الصليبي اليهودي على هذه الامة في عاولات متكررة لطمس اشعاعها الحضاري الانساني ان ينطلق مكتسحاً ما يرزح تحته العالم من مظالم وظلمات. وهو صراع لثن كانت مظاهره متعددة فان جوهره قيمي بين نموذجين للانسان وللعلاقات الانسانية، النموذج الغربي (المسيحي اليهبودي) الذي يقوم على السيطرة العنصرية والاستغلال والمكايافيلية (الـلاأخلاق) والنموذج الاسلامي الذي يقوم على التوحيد: توحيد الله في العبادة واعتبار البشر كلهم عائلة واحدة لا تتفاضل الا بالفكر والعمل، حيث يخضع السلوك البشرى كله الفردي والاجتماعي لقيم انسانية ثابتة ولعدالة الله المطلقة. وليس التواطؤ الامريكم الغربم. عامة مع الاسر اثيليين والكتائبيين بالأمس القريب بالهجوم الشرس على نحيهات الفلسطينيين العزل وتصفية آلاف الابرياء، رغم التعهدات الامريكية الاسرائيلية الاسلوكا واحداً يعبر بوضوح عن الطبيعة اللاانسانية اللاأخلاقية لحضارة الغرب. ولقد تكرر هذا السلوك منهم معنا ومع الشعوب المستضعفة آلاف المرات. فلئن كان في الغرب وفي اسرائيل ديمقراطية ولانسيانها حقوق وقضاء مستقل وحريات، فان كل ذلك لا يخرج من الأطار القومي ولا يتجاوزه ليشمل الانسان، كل انسان، بغض النظر عن جنسه ولونه ومعتقداته. وليس هناك اي امل _ طالماً كان الغرب كذلك مان تضع الحرب بيينا وبينه أوزارها. وواضح ان الغرب المعنى يتجاوز المفهموم السياسي المتـداول لينصب على التصورات والقيم والمسالك التي قدمنا، فحيثها وجدت فشم الغرب،٠٠٠.

" - أن التعويل على الرأى العام العالمي في استرجاع فلسطين او جزء منها - رغم اهمية كسب الرأى العام في معركتنا الحضارية مع الغرب - هو ضرب من الخداع تمارسه الانظمة العميلة للغرب تخدر به الشعوب، وسراب خلب تهدر الطاقات في اللهاث وراءه. أليس هذا الغرب المذى نريد كسبه لقضيتنا ضد اسرائيل هو نفسه الذي أوجد اسرائيل طواسة مصالحه والحيلولية دون شعوبنا وانطلاق ثورتها الحضارية؟ اليس هذا الغرب نفسه هو الذي توج مذابح بيغين بتسليمه جائزة نوبل للسلام؟ هل يمكن أن يذهب بنا الخيال في تصور تخلى الغرب عن اسرائيل حداً يتجاوز قطع الغرب علاقاته الديلوماسية مع اسرائيل، أو على

⁽٣٣) وسروتوكولات حكياه صهيران ه واسم الوثيقة الخطيرة التن صدوت من المؤشر الصهيوني الذي جمع كبار جلهُه المنظمات الصهيونية المحتلف المنهدية بال بسويسرا بعنة ١٨٥٦. ولقد حددت هذه الوثيقة غططاً ضهيونيا للسيطرة على العالم من طرف الصهاية في المساون خلاف المسيون خلاف حسين خلاك حسين مند. واجتهد الصهاية في إنكار هذه الوثيقة الحطيرة ومصادرتها من الاسواق كلها نشرت او الاحتداء على ناشريها. وقد ترجم عمد الوثيقة الحطيرة الى العربية ونشرها الاستاذ محد خليقة التونيس وقدم لها الاستاذ عباس محمود العقاد وقد أعاد شرعاً بي تنظرها الاستاذ عبد خليقة التونيس وقدم لها الاستاذ عباس محمود العقاد وقد أعاد شرعاً بي توليد المناد عدد المناد المعاد المناد وقد أعاد المحدد المناد المعاد المناد المناد وقد أعاد المحدد المناد المناد

⁽٣٤) يمكن الرجوع الى كتيب دماهو الغرب؟ع نشر مجلة المعرفة وللمقالات الثلاث التى نشرت بها تحت عنوان دنحن والغرب در جديده.

فرض حصول ذلك، فهل هو كاف لنستعيد القدس؟ أليس النظام العنصرى في جنوب أفريقيا نظاماً قوياً رغم ان معظم دول العالم لا تقيم معه علاقات ديبلوماسية وأن لا مكان له في الأمم المتحدة؟ هل ضره ذلك شبئاً؟ ان حصر المعركة في استرجاع فلسطين على العمل السياسي وحصر العمل السياسي وحصر العمل السياسي في اقتاع الغرب والأمريكان خاصة هو تعبير آخر عن قدرة عجيبة نفوقت فيها الانظمة العربية، هي لعبة قلب الحقائق واحراج هزائمنا غرج الطلات.

أن معظم الفلسطينين وإن قبلوا وهم تحت انقاض بيروت تصلاهم نار حامية من الرجات الاسرائيلية الامريكية وخيانات الانظمة العربية وسلبية الشعوب قبلوا احد الحريف وسلبية الشعوب قبلوا احد الأعربين: الموت او الاستسلام لمخططات الامريكان وهم العدو الرئيسي لامتنا والاستسلام المؤطفة العربية فاختاروا - ولو الى حين - الثاني فكثفوا نشاطهم السياسي لتوظيف الخريمة العسكرية في الحصول على انتصار سياسي وبذا يبدو وكأنهم قد راهنوا على الحل السياسي فهل ان ذلك من قبل الحلول الظرفية (تكتيك) ام هو تعبير عن تحول استراتيجي في خط فهل أن ميشاق منظمة التحرير قد حدد للثورة الفلسطينية مهمة واضحة هي تحرير فلسطينين وهو هدف كثيراً ما استغلته الدعاية الصهيونية ضد الثورة الفلسطينية عا جعل قادتها عرجين تجاه اصدفائهم الغربيين الذين يضغطون عليهم في اتجاه تغييره فهل الفسطينيون بصدد عمل ظرفي ام هم بصدد التحول من الحلاف الذي حدده ميثاق

منظمتهم؟ . ان الاعتبارات التي قدمناها حول طبيعة الصهيونية وطبيعة العرب المتحالف معها كفيلة بحد ذاتها ان ترد الفسطينين الى الجادة ان هم خدعوا - في هذه المرحلة - او اضطرتهم الظوف الى الاستسلام لاعدائهم .

أن منظمة التحرير تجد نفسها اليوم على مفترق طريقين. طريق الاختيار السياسي وهو ما تدفعها البه بقوة آلة الحرب الجهنمية الامريكية التي تباركها الأنظمة العربية الخاتئة، وطويق الاختيار العسكري وهو ما تجتهد كل الظروف المحيطة بالمنظمة لزحزحتها عنه. فلقد كان الفلسطينيون مجتملون على مضض كلاجئين في البلاد العربية. أما وقد حملوا السلاح لاثبات وجودهم واسترجاع وطنهم في نفسهم وقدراتهم على قهر عدوهم واسترجاع وطنهم رغم الف العالم فقد باتوا لا يطاقون وتداولت الأنظمة على كسر شوكتهم واسترجاع وطنهم رغم وتعاون على ذلك الرجعيون والتقدميون وحلفاء الروس والامريكان. وهل من كبير فرق بين ما فعله شقيقها ما فعله شقيقها

شارون في بيروت سنة ١٩٨٧. لقد وقفت الأنظمة العربية موقفاً واحداً تبذل قصارى الجهد من اجل انتزاع السلاح من أيدى الفلسطينيين يحمون بذلك اسرائيل ووجودهم المنبت عن شعومهم والمعلق بإرادة ريفن. والمتبع لتاريخ المنظمة يجد ان مشكلة التعامل مع الانظمة العربية كانت مطروحة على قادتها وقواعدها منذ تاريخها المبكر. هل يبدأون عملهم التحريرى لوطنهم بمواجهة الانظمة العربية المحيطة باسرائيل على الأقبل لانها تعوق إنطلاق عملياتهم متذرعة بالحوف من إنتقام المحيطة بالمرائيل على الأقبل أسرائيل. ومعلوم ان استراتيجية حرب العصابات تقتضي توفر ارض آمنة للانطلاق. وتلك كانت استراتيجية بعض فصائل الثورة الفلسطينية التي اعتبرت ان الطريق الى فلسطين يمر حتماً بتصفية الانظمة الرجعية في المنطقة العربية. ام ان الحل يتمثل في الاستفادة الى أقصى حد من التناقضات العربية لفائدة القضية بمارسة أسلوب المداراة مع كل الانظمة والتوجه مباشرة إلى القضية الأم؟ تلك كانت استراتيجية حركة فتح أهم الفصائل المكونة لمنظمة التحريروس. ولقد تمكنت هذه الاستراتيجية من ان تفرض نفسها على المنظمة كلها بكل فصائلها. ولقد حققت المنظمة في ظل هذه الاستراتيجية الأخرة كثراً من المكاسب فاستفادت من الاموال العربية وتمكنت من لم شتات الفلسطينيين المشردين في البلاد العربية وتحريك المشاعر الوطنية فيهم وتوظيف علاقاتها بتلك الانظمة في توسيع نفوذها في العالم، غاضة الطرف عن المارسات القهرية لتلك الأنظمة. وشبت المنظمة _ في استراتيجية المداراة ـ على الطوق وأخرجت القضية الفلسطينية الى حد بعيد من سلطة ونفوذ الانظمة وغدت المنظمة قوة سياسية وعسكرية تمثل ـ رغم سياسة المداراة ـ هاجساً مقضاً للمضاجع بالنسبة للأنظمة العربية اذ هي تخشى ان تجرها للصدام مع اسرائيل من ناحية وتخشى من ناحية اخرى على شعوبها المقهورة ان تتسرب اليها انفاس الثورة. غير ان مأساة بيروت يبدو انها ستضع حداً لسياسة المداراة تلك، والعمل المسلح في ظل تلك السياسة. فقد ظلت عمليات المنظمة خلال السنوات الاخيرة تتقلص خاصة بعد ما وقعت مع اسرائيل وثيقة تعهدت فيها المنظمة بعدم القيام بعملياتها ضد اسرائيل انطلاقاً من الجنوب اللبناني ـ تقلصت عملياتها العسكرية لحساب العمل او الحل السياسي. وكان مؤتمر فاس تسجيلا لنهاية استراتيجية المداراة تلك، فلم يبق امام المنظمة اليوم الا الاتجاه في طريق احد الخيارين.

١ ـ الحيّار السياسي الامريكي الذي انطلق مع مشروع روجرز في أواخر العهد الناصري
 وانتهى في احدى مراحله الى غيم داوود ليصل الى فاس كمرحلة اساسية ن اجل تعميم
 اتفاقيات المخيم على البلاد العربية كلها حيث لا مجال الا لفصن زيتون ذابل. اما البندقية

ققد صادرها شارون وإخوانه من الحكام العرب.

١ - الخيار العسكرى ولا سبيل له بعد بروت الا بالعودة الى استراتيجية الجبهة الشعبية التى وقع التخلى عنها لفائدة استراتيجية التعايش مع الانظمة العربية وهى استراتيجية تقوم كها تقدم على اعتبار الطريق الى فلسطين يمر بالأنظمة العربية. فهل بقود الأحداث المنظمة الى العودة الى هذه الاستراتيجية التى تنطلق من ان القضية الفلسطينية جزء لا يتجزأ من القضية العربية ومن ثم فلا سبيل لحلها الا ضمن استراتيجية لتحرير البلاد والشعب العربي جلة؟ فهل يتجه الرهان الفلسطيني بدل الأنظمة العربية فل العربي والجاهير العربية والمسلمة عامة فتلتحم مع الحركات الشعبية والمنظيات الجماهيرية في الوطن العربي والحوطن

(٣٥) يقول يامر خوفات في تصريح له للتلفزيون اللبناني عام ١٩٧٥ ووالثورة الفلسطينة تعليم ان ميدان المركة الحقيقي تا يوجد في المسلون فاجا لن تستطيع الافلاد من عمركة هاشية تحوها عن هدفها الاصلي. نقلا عن عبلة والافاعة والتلفزة التونسية لقدد 200

الاسلامي؟ ذلك أن قضية فلسطين ليست مجرد قضية سياسية بقدر ما هي قضية حضارية. قضية ضياع امة وفقدانها للارادة والرؤية والسلوك الحضاري. فتكون الثورة الفلسطينة ثورة تحرر حضآري شامل تعيد الوعي وتفجر طاقات النضال والعطاء لدى الجماهير وتعيد وسط المعركة ولهيبها سبك الجهاهير لألمواجهة الحكام العملاء ولالمواجهة اسرائيل وحسب وانها لواجهة الغرب عامة وامريكا بشكل خاص، مواجهة الامريالية بكل ابعادها لبناء حضارة الانسان المتحرر. احسب أن المنظمة ستقودها الاحداث ويناؤها الديمقراطي المؤسساتي المتمن عن السيات السياسية في العالم العربي الى التخلي عاجلًا او أجلًا عن استراتيجية التعايش السلمي مع الأنظمة العربية، فرغم ما بدا من ايجابيات تلك الاستراتيجية في تلك الفترات فقد قادت المنظمة في النهاية الى طريق مسدود، الى حافة الهاوية، الى الارتماء في احضان اعدائها الاستراتيجيين والتنازل عن البندقية والاستسلام ـ ولو الى حين ـ الى مخططات الاعداء وعملائهم في المنطقة. والامر الذي أجد نفسي على يُقين منه هو ان المنظمة اذا لم تقدم بشجاعة على تأييم مسارها والتخلي عن استراتيجية التعايش مع الانظمة فان الثورة الفلسطينية لن تفشل وتنتهي، وإنها المنظمة هي التي ستتمزق من داخلها لتحل محلها منظمة او منظمات اخرى تصحح المسار وتأخذ بالثار وتمسح العار. ولقد بدأت الخلافات في الصف الفلسطيني تظهر في بعض التصريحات الفلسطينية تلميحات مبشرة لهذا التحول. يقول جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية في حديث مع الشبكة الاميركية للتلفزيون مؤكدا واستمرار العمل المسلح كأداة ضرورية لتحقيق اهداف المنظمة معللًا ذلك بأن حركات التحرر التي حققت اهدآفها دون اللجوء الى النضال العسكري لا تكاد تذكره، ٠٠٠٠. أما ياسر عرفات فقد علق على احداث بيروت كما يلي: «إن البركان قد بدأ فورانه بعد، ان قوميتنا لها الحق اليوم ان تسأل، وتطلب الحساب غداً، وتثأر بعد غد، واضاف ان رحيل الفلسطينيين عن بيروت وتوزيعهم في مختلف البلاد العربية يَعنى ببساطة ان المقاومة قد عادت الى قواعدها السابقة،٢٠٧١. وفي تصريحه للتلفزيون الايطالي وفي لقائه منذ ايام قليلة مع وحـدة الفـداثيين التي غادرت بيروت آلى اليمن الجنوبي خطب حاثأ اياهم على مواصلة تدريباتهم ثم اكد قائلاً: «ان البركان الذي تفجر في بيروت لن يخمد ولكنه سيمتد على نطاق المنطقة العربية كلها وسينتهى الى القدس ٢٨١٥٠٠.

أصا أبو أياد وهو الشخص الثاني في منظمة التحرير فقد صرح لـ والملجة في نفس الانتهاه : وإذا تواصل الضغط المسلط على الفلسطينيين وتواصل تجاهل حقوقهم فاني اخشى ان ظهور ايدى الانتقام التي تجعل العنف جوابًا عن الاعتداء والنهب الذي تعرض له الشعب الفلسطيني ٢٥٠٠.

⁽٣٦) نقلا عن جريدة والصباح، ١٩٨٢/٩/١.

⁽۳۷) نفس الصدر.

⁽٣٨) نفس المبدر. (٣٩) نفس المبدر.

أما خالد الحسن فقد تحدث عن العمل العسكرى بعد بيروت فقال: 18ما من حيث النصال المسكرى الفدائي السرى فان النصال المسكرى الفدائي السرى فان السرى فان المسكرية المكتفة لا يمكنها حماية فعلها العسكرى الا ضمن نضال عربي وموقف عربي تضامني. واعتقد ان الوضع العربي المتردي يجب ان يدفع الى تصميد المناخ النصال للقضية الفلسطينية وهذا سيكون احدى ثيار المعركة الحالفة؟ 1818

ولقد سألت والمجلة احد المسؤولين السياسيين في منظمة التحرير عها اكده احد الخبراء البرطانيين في الشرق الاوسط من ان المقاومة لا يمكن لها بعد التخلي عن ببروت ان تشن حرب عصابات انطلاقاً من جبال لبنان الرعرة لصغر حجم المنطقة ولعدم وجود مناطق آمنة ينسحبون اليها أثناء تحركاتهم. ولكن ذلك يغدو مكنا أذا تبدلت السياسة السورية ، فوافق المسؤول الفلسطيني على هذا التحليل. ولقد اضاف الحبير البريطاني ان طرد الاسرائيلين للفلسطينين من منازهم منة ١٩٤٨ و ١٩٧٦م وقصف غياتهم الجديرة بالشفقة في مناسبات لا يحصى عددها، ان ذلك لم يجعل القومية الفلسطينية تختفي ولن يختفي الفلسطينيون مها بلغت اعداد قتلاهم. ان هذه المذابح تشجع فقط على زيادة التجنيد في صغوف منظمة التحديرة.

صحيح ان شاورن حقق ما اراد من اخراج الفلسطينين من قلعتهم ببروت وتشتيتهم مرة اخرى كما هو الشأن معهم كلما اجتمعوا تسلط عليهم من يفرقهم منذ ١٩٤٧ . يقول شارون للصحيفة الإيطالية (أوريانا): وأردت ان يخرج الفلسطينيون من ببروت وقد حصلت على ما أردت . . ربا يعتقد عرفات بانه حصل من ذلك على كسب سياسي الا ان المستغبل سيثبت أودت . . . ربا يعتقد عرفات بانه حصل من ذلك على كسب سياسي الا ان المستغبل سيثبت تمكن في وجودهم مجتمعين في مركز دولي، فكانت لهم دولة داخل الدولة ومن داخل لبنان يحرك اللعمل في كل انحاء العالم ، اما الآن فهم مشتون في ثماني دول مختلفة من اللمن الي الجزائرين، ولكن الذي لم يستطع شارون ان يدركه:

أن قوة الجيوش النظامية تكمن في تجمعها وقركزها وليس الامر كذلك بالنسبة للوحدات
 المتبعة لأسلوب حرب العصابات، وكان تجمع الفلسطينين خطأ استراتيجياً وقعت فيه منظمة
 التحرير حين أنجهت لأن يكون لها جيش نظامى متمركز في لبنان متسلح بسلاح ثقيل، مما
 لا يصلح الا لدولة تتصرف في ارضها.

ل الفلسطينيين جزء من امة وان الارض التى يناضلون من اجلها تقع في سويداء قلب
 كل فرد منها ، هي امة تكاد تكون لا متناهية في عمقها وابعادها على نحو ان هزيمة أو اكثر
 لا تذهب بها ، بل ان الهزائم التى حاقت بها عبر مئات السنين لم تؤثر في حيويتها ولم تفت من
 وجودها بل تحملتها واستخلصت منها دواءها وخططها المستقبلية فتحملت جراحها ونهضت

⁽٤٠) تفس الصدر.

⁽٤١) والمجلة و نقلا عن والصباح ١٩٨٢/٧/١٥

⁽٤٢) جريدة العمل ١٢/٩/١٢.

فقلبت كل حسابات خصومها وسوت كل الاوضاع التى قلبوها وانتقمت لكرامتها وطهرت أرضها من الغزاة. فكان للهزائم مفعول الصعق الكهربائى يوقظها، يعيد الوعى اليها، وانه سيكون كما يقول الاخ احمد بن بلة: «هناك دائم مسلم ينهض لسحق الحونة؟»، وان الالتحام المصرى بين الحركة الاسلامية وقضية فلسطين والتحام الثورة الفلسطينية بالحركة هو الكفيل بتنوير المنطقة كلها وتحويرها من الهيمنة الامبريالية في كل صورها وبناء النموذج الحضارى لانسانية متحررة :

(23) نقلت عبلة جودرا افرياك في عدمية 1972 10 يام عرفات عند زيارته لمقيم ولوى الزواة خلال اقامته يتوس كان ياتش مع الفاتلين الرضم الفلسطين الرامن وكان بيبطر على المائناتين شعرة الخريسة با يديم المناشات في طريق الحدة الى حد استجال العنف والتقائل عا اضطر صدول الامن هابا الطبيح، فل حيس البعض في غرف خاصة.

⁽ع) لقد اجتهد الاعلام العالمي الذي تديره الامبريالية الامريكية التحالفة مع الصهيتية بها في ذلك الاعلام العربي في على المجهورية عربار القلسطينيين في تل الزعر الشير البخيل الذي نصب رئيسا للمجهورية عمراسة الملاب الدي نصب رئيسا للمجهورية عمراسة الملاب الدين نصب رئيسا للمجهورية عمراسة الملاب المعالمين على المعالمين على المعالمين على العالمين على العالمين على العالمين على العالمين على العالمين على المعالمين على المعالمين

دروس من الثورة الطبطينية

مهــا اختلفت الآراء حول الثورة الفلسطينية فان الاتفاق حاصل على اعتبارها ظاهرة سياسية تمخض عنها الصراع الاسرائيل العربي استقطبت اهتيام الرأى العام العربي والدولى خلال السبعينات.

وحرى بحركة ثورية مثل حركتنا ان تتوقف طويلاً عند هذه الظاهرة وعند كل ظاهرة تغيير ثورى على الساحة العللية قديماً وحديثاً لتابعة مسارها وتحديد مواطن القوة والضعف والنجاح والفشل في مسيرتها من أجل ترشيد المسار و اثراء التجربة والحد من حجم الاخطاء وتنمية الفعالية.

والعرض المتقدم ــ على اختصار ــ لنشأة الثورة الفلسطينية ممثلة فى منظمة التحرير يشد انظارنا الى مجموعة من خصائص هذه الثورة يمكن لكل اخ ان يتوقف عندها وعند غيرها مستخلصاً منها دروساً مفيدة لحركته .

١/ الطابع الجماهيرى للثورة الفلسطينية من حيث نجاحها في استقطاب أوسع فتات وقسطاعات الفلسطينيين وبلورة الشعور الوطنى الفلسطيني لديهم والتفافهم حول المنظمة كرمز لذلك الشعور ومفجر له، والأمل في تحرير الوطن السليب وبناء الدولة الفلسطينية كهدف لحركة الجماهير-وما تكون الثورة جماهيرية حتى تشد اليها اهتمام الانسان العادى أي السواد الاعظم من الامة وتعبر عن آمالهم والامهم وطموحاتهم.

Y/ الطابع المؤسساتى: وليست جاهرية الثورة الفلسطينية مقتصرة على جود المشاعر فلمشاعر، مشاعر الاعجاب والحياس والنقمة وغيرها، مها كانت حدتها لا تتحول الى عمل ثورى الا بتاطير الجهاهير وتنظيها ضمن المؤسسات الجهاهيرية للمجتمع كالقابات والجمعيات الثقافية والإحتماعية والاقتصادية والعسكرية. . الخ. ولقد حققت الثورة الفلسهينة نجاحا باهرا في تأطير الجهاهير الفلسطينية ضمن أنحادات العهال والعلاقة والمهندسين والأطباء والنساء والكتاب والصحافين. . تعمل على ساحة المجتمع وتعمق روح الثورة فيه وان ثورة لا تعتبر مؤسسات المجتمع خلايا للتربية الثورية لن تكون سوى مجموعة من البورة الواق الدعاية أو عصابة مسلحة معزولة.

Miladiya الشمولى: رغم ان المنظمة عرفت اول ما عرفت على صعيد الرأى العام بعملها العسكرى ضد اسرائيل فان ذلك لم يصرفها عن العمل السياسي بمعناه الشامل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والاعلامي، بل ان الذراع العسكرى _ على أهميته ـ ليس هو في اعتبارها الا أداة لخدمة العمل السياسي وهمايته ايهاناً منها انه قلها تمكنت حركة ثورية من تحقيق اهدافها السياسية دون عمل عسكرى. ولكن العمل العسكرى دون عمل سياسي يعبىء الجهاهي، ويستقطب الرأى العام المحلى والعالمي حولها لا يجعل من الحركة في النهاية سوى منظمة ارهابية.

لا طابعها الجبهوى: فقد تمكنت من استقطاب كل فصائل الثورة على اختلاف فصائلها وليدو لجوجياتها، تجمع الكل حول برنامج مشترك للعمل السياسي ضمن مؤسسات مركزية توحد الحفظ العامة مع احتفاظ كل منظمة بشخصيتها وزعامتها وخصوصياتها، والعمل توجد الحفظ العامة مع احتفاظ كل منظمة بشخصيتها وزعامتها وخصوصياتها، والعمل قوى تتجه الى مزيد من إحكام قبضتها حول الشعوب عا يعسر معه ان لم يكن مستحيلا على كل حركة يهضردها - مها كانت قوتها - ان تقدر على مواجهة تلك القوى، فضلاً عا فى الاعراض عن العمل الجبهوى من ضياع لكثير من طاقات المواجهة الشعبية فى نزاعات داخلية عما يضعف الجميع وتتحمل بلك القوى، الثورية مسؤولية عظمى فى استمرار الهيمنة الاستهارية بسبب إعراضها عن العمل الجبهوى.

وعمل المنظمة هذا يندرج ضمن الجبهات التي قادت حركات التحرر على الصعيد العربي والعالمي مثل جبهة التحرير الجزائرية والجبهة الوطنية لتحرير السلفادور وغيرها وهي تجربة حرية بالدراسة من طوف الحركات السياسية في بلادنا وخاصة الحركات الرآديكالية المصممة على التغيير الجذرى وذلك من اجل مواجهة العدو الرئيسي لحركة نحرز الجذاهير في هذه المرحلة ـ اعنى القوى الاصبريالية وعلى رأسها الولاات المتحدة الامريكية وروسيا وعملائها المحلين.

٥/ طابعها الديمقراطي: والديمقراطية مقوم أساسي لاستمرار ونجاح كل تجمع بشرى حتى في ابسط صوره كالأسرة. فاذا كان الأمر يتعلق بادارة مؤسسة كبرى كالحزب او الجبهة او الدولة زاد تأكذاً والحاحاً بل ان الديمقراطية او الشوري لا تستمد قيمتها من مجرد الفوائد المتحضة عن عمارستها كالنجاح والقوة والتضامن والامن، وانها تستمد قيمتها قبل ذلك من حيث هي مقوم اساسي لشخصية الانسان ولا معني لانسانيته بدونها بغض النظر عن التناتيج الدي يمكن أن تؤدى اليها. ويبدو ان منظمة التعرير قد وقفت الى حد بعيد في عمارسة الديم يمكن أن تؤدى اليها. ويبدو ان منظمة التعرير قد وقفت الى حد بعيد في عمارسة مزيد من التقارب والتلاحم والتصدى لدواعي التمزق والانشقاق. وتبدو المنظمة نحو الصدد نموذجاً متميزاً في الوطن العربي ان على صعيد الحكومات او المنظمات والاحزاب.. يقول النشاشيي: و أن القلسطينية رغم جراحها وظروفها قيادة ديمقراطية يستمع يقول الكبر للصغير ويتناقش فيها الرفقاء بكل صراحة». وعن الانوار التونسية ١٤/٢/٣٤.

آ/ قدرتها على استياب الواقع العربى والدولى ونجاحها في توظيف التناقضات لصالح قضيتها. ومن ذلك تعدد الوانها وواجهاتها، فهناك الى جانب الوجه الرسمى المعتدل الملائم للتحاصل مع ختلف الأنظمة والاستفادة منها في الوان وأوجه اخرى تختلف في وجهتها الأيديولوجية واستراتيجيتها العسكرية التي تتيح للمنظمة الاتصال بالجميع والقبام بعدة عمليات ومغامرات لا تجد المنظمة أي حرج في التنكر لها والتبرؤ منها لدرجة أن الصحافة بدأت تخبر عن انقسام مرتب داخل المنظمة يجعلها تضم تيارين أحدهما معتدل بزعامة ابى عهار والاخر متشدد بغذيه أبو أياد، وأن الشورة قد أقرت هذا الانقسام وعن الصباح.

، ۲۸۷/۱۰/۹. وفي ذلك حكمة بالغة ومرونة كبيرة في التعامل مع الواقع المعقد وهمي خاصية قد برع فيها اليهود.

اعتيادها في إدارة مؤسساتها على كفاءات علمية متخصصة ومتشبعة بالروح الثورية.
 المجاهها بالعمق العربي والدولى رغم طابعها الوطني فتمكنت من إنشاء شبكة واسعة من علاقات الصداقة او التحالف مع احزاب ومنظهات ودول عديدة للتعريف بقضيتها

والاستفادة من تجربتها وطاقاتها.

٩/ تبوء المرأة مكانة متميزة في تصور المنظمة ومناهج عملها مما يطمئن على مستقبل الثورة ، وخماه الله الكانة التي تحتلها المرأة في حركة ما تحدد الى مدى بعيد مستقبل تلك الحركة وجماه يريتها، اذ كلها تقلص دورها كلها تقلص دوره الجهاهير واستقر الاستبداد. يقول (فورييه) تتم التطورات الاجتهاعية وتبدلات الزمن وقاً لتقدم النساء نحو الحرية . . ان الاساس العام لجميع التطورات الاجتهاعية . اما (براسيل) فكان يرى في النساء ليس فقط خبرة اى تقدم انسائي بل القوة التي تفجر تحديدات المبدأ النيمة إلى إلى المناه المس فقط خبرة اى تقدم انسائي بل القوة التي تفجر تحديدات المبدأ النيمة الكل افراده في ازهاق انظام واحقاق الحق عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بكل الوسائل المتاحة ويجعل دور النساء في ذلك لا ينفصل عن دور الرجال، فهن شقائق الرجال، فوالموان والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحهم الله ان الله عزيز حكي.

سلبيات:

رغم هذه الانجابيات الكثيرة فان المنظمة لم تتخلص من كثير من السلبيات.

1 / فرغم الطابح الجهاهبرى للمنظمة ورغم وعيها بأهمية العمق العربي بالنسهة للثورة الفلسطينية وتطلع الجهاهبر العربية والاسلامية اليها كأمل وطليعة لثورة التحرر فان المنظمة لم تبذل جهلاً كبيراً في ربط مصيرها يمصير حركة التحرر في الوطن العربي والاسلامي بل سارت بخطوات متسارعة في اتجاه التحالف مع الانظمة ودعمها وتزكيتها لدى شعوبها وتوزيع شهادات البطولة والوطنية عليها بكل سخاء متجاهلة الطعبية الفاشية الرجمية لتلك الانظمة وعياتها للامبريالية وسحقها لشعوبها وقوى التحرر فيها وهو مسلك لئن كانت مبرواته المكاسب المصلحية التي أحرزتها المنظمة منه، فأنها مبروات لا أخلاقية ولا ثورية. وهي

(25) نقلا عن رجاء جارودى فى كتابه وفى سبيل ارتقاء المرأة ترجة مطرجى جلال ص ٣٩- ٤٠ ، ط دار الأداب ، بيروت يناير ١٩٨٧ . (٢٦) حديث والنساء شقائق الرجال، رواء الحسة . وخرجه الشوكاني فى وليل الأوطار، جزء ١ ص ٣٦٣ ط البابي الحاسى . مكاسب آنية محدودة المدى، فالمستقبل للشعوب وليس للأنظمة العميلة. وكان على حركة ثورية مثل حركة التحرير الفلسطينية أن تربط مصرها بالشعوب. فان مما يحز في المنفس انه في الوقت الذي بذلت فيه المنظمة جهوداً كبرى لارضاء الأنظمة نرى الانظمة تجتمع رغم تناقضاتها على ابادة الثورة وتصفيتها في حرب صليبية - كها وصفها أبو اياد ـ ١٥، وليس غائباً عنا ونحن نسجل هذه السلبية الظروف العصبية المحيطة بالمنظمة ا

صحيح ان الواقع العربي لم يفرز منظمات جماهيرية ثورية قوية بالعدد الكافي على الاقل. لتشجيع الثورة الفلسطينية على التحالف معها. ولكن لو ان المنظمة تخلصت من العقلية التجارية وتوخى الربح العاجل لاعتبرت نفسها طليعة وعامل تثوير للجاهبر والمنظات، ولو حصل هذا التحالف بين حركة الجاهير العربية والاسلامية وبين حركة التحرير الفلسطينية لشهدت المنطقة تحولات نوعية ولظفرت المنظمة بها هي احوج اليه من كل شيء وكان غيابه سبياً مباشراً لكل نكباتها ـ لظفرت بأكثر من قاعدة ثورية في الوطن العربي والاسلامي لانطلاق ثورتها وحمايتها . وعلى سبيل المثال لو اتجهت العلاقات بين الثورة الاسلامية في ايران والشورة الفلسطينية والأخوان المسلمين وخماصة في سوريا والأردن الى علاقات تحالف استراتيجي لأمكن الاطاحة بأكثر من نظام من الأنظمة الاستبدادية كنظام الأسد وصدام أو حسين، ولغدت سوريا ـ مثلاً ـ قلعة حصينة للعمل الفدائي بدل ان يتحالف الفلسطينيون والايرانيون مع حافظ الاسد ويحموا ظهره ليتضرغ لتصفية الشورة الاسلامية في سوريا والفلسطينين في لبنان، وتتحالف الثورة الاسلامية في المنطقة لفائدة سوريا ولبنان وتتحالف الشورة الاسلامية في سوريا مع حسين وصدام، فتمزقت بذلك القوى الثورية في المنطقة لفائدة معسكر الفاشية والعمالة. ولكن مثل هذه الاستراتيجية تحتاج الى تثوير الفكر الاسلامي حتى يتخلص من رواسب الانحطاط كالطائفية وتحجيم المسألة الاجتباعية من اجل الطاقات الثورية الهائلة للاسلام، هذا من جهة ومن جهة اخرى تتخلص المنطقة من الفكر السياسي الاصلاحي الذي تصاعد نموه وسيطرته على المنظمة خلال السنوات الاخبرة خاصة. انه من اقدم اخطاء القوى الثورية في هذه المرحلة اتجاهها الى التحالف مع خصومها الاستراتيجيين الذين تتناقض مصالحهم جذرياً مع اي تغيير ثوري في المنطقة ولآيترددون في القيام بأي عمل من اجل استبعاد ذلك التغيير ولو بالقيام بتعديلات بسيطة .

٧/ ويتصل جده الظاهرة: ظاهرة التحالف مع الانظمة الطاغزية حليفة الاستعاد بل عميلته بدل التحالف مع الجاهير وطلائعها الثورية ظاهرة اخرى يلاحظها المتنبع لمسار المنظمة وهو ميلها المتنامى الى الاعتباد على الحل السياسى على حساب العمل العسكرى فى اتجاه نحو التأقلم مع الواقع العربى فهل يعنى ذلك أن المنظمة تتجه بخطى حثيثة إلى أن تقدو جزءاً من الواقع العربى لا عامل تقويض له؟ وفى ذلك درس بالغ ينبغى أن تتبه اليه كل حركة ثورية ، أنه خطر الاستدراج والاحتواء السياسي من طرف الخصوم وكثيراً ما تسقط الحركات الثورية نتيجة للضغوط المسلطة عليها من طرف القرى الامبريائية وما تمارسه من (٨٤) تقلا من تعريح له للنلغزيون التونسي لذيم في نشرة السامة الثامنة من مساء بيع ١٩٨٢/١٧٩ (١٩٨٨)

ترغيب قتخلط بين الاســــراتيجية والتكتيك فتسقط فى مخططات الخصـــوم وتنعـــرض للاجهاض. ان المواقف الظرفية رغم ضرورتها لكل حركة ينبغى الحلد من ان تتحول الى موقف استراتيجي.

"/ ان جاهيرية الحركة لا تستمد من شعاراتها ولا حتى من ايديولوجيتها الثورية ـ رغم اهمية ذلك ـ ولا من مواقفها الرسمية وإنها تتحدد ايضا بتمط العلاقات التى ينشئها العاملون فى صفوفها مع وسطهم الذى يتحركون فيه . فبقدر ماتكون تلك العلاقات ملتزمة منسجمة مع المشارات المرفوعة مطبوعة بطابع اخلاقى اصبل بقدر ماترتفع مصداقيتها لدى الجاهير فتكتسب ثقتهم وتستقطبهم للنضال فى صفها . ولقد فشل الفلسطينيون الى حد ما أجهاهم في كسب الرأى العام فى مواطن هجرتهم رغم الروابط المقافية والدينية . وذلك راجع الى كسب الرأى العام فى مواطن هجرتهم رغم الروابط المقافية والدينية . وذلك راجع الى المال او العرض وغير ذلك عما مهل عمل الانظمة فى تصفيتهم دون ان تحرك الجاهيرساكنا .
المال او العرض وغير ذلك عما مهل عمل الانظمة فى تصفيتهم دون ان تحرك الجاهيرساكنا .
تعميق التربية الاختراقية فى افرادها الى جانب اعدادهم فى الميادين الاخوى السياسية والمسكرية والفكرية واعتبار المقباس الاخلاقي مقياسا أساسيا الى جانب مقايس أخرى للانتهاء البها وابتنويم الأفراد ورفعهم أو خفضهم .

إأهما أما للبعد الاسادمي، فيقدر مااهتمت المنظمة بحسب الرأى العام العالى في المسكرين الاشتراكي والرأسيال بقدر ماكان عملها عدودا على المستوى الاسادمي وقد يكون من مبررات ذلك إنبتات الأنظمة هنا عن الجهاهير وعيالتها عاليا و وندرة الحركات الثورية الاسلامية التي يمكن التعامل والتفاعل معها، وقد يكون هو الطابع اليسارى العام المسيطر على المنظمة. ومعلوم أن اليسار لايزال مشبعا بالعقد ضد الدين واهله وكان على هذه الصورة التي يحملها اليسار عن الوطن الاسلامي والفكر الإسلامي والحركة الإسلامية أن المسلومية أن يحملها اليسار عن الوطن الاسلامي والفكر الإسلامي تمركات ثورية مسلحة وجاهبية شعبية ضد قوى الاستعبار والاستبداد في ايران وافغانستان وسوريا ومصر وتونس ما يعتم أن يكون البعد الاسلامي الحائب البعد العربي والعالمي رصيدا اساسيا لللورة من القصية اخرى على الحركة الاسلامية كانت هي الحركة الشعبية الوحيدة في من القضية الفلسطينية رغم أن الحركة الإسلامية كانت هي الحركة الشعبية الإيانات وإنا بادرت الوطن العربي التي لم تكتف صنة ١٤٧٧ بعناصرة القضية الفلسطينية بالبيان الاسلامي، وكاد الوطن العربي التي ثم تكتف من الكتائب الفدائية عرفت اليهود معني الإيان الاسلامي، وكاد المشروح الصهيوني أن يجهض لولا خيانات الحكام.

ان قلسطين محور الصراع الدولى والحضارى فينبغى ان تكون قضيتنا المركزية وخطنا الاول فى مواجهة الامبريالية وعملائها وتكنيل كل القوى الثورية والبوتقة التى تحترق فيها بقايا ومخلفات انحطاطنا وعجزنا وكسلنا وتثاؤينا الحضارى وخمولنا الحركى، ويعاد فيها سبك مجاهــدينــا ورص صفوفنا للانطلاق فى البناء الحضارى الاسلامى الجديد لنجد انفسنا فى الصف الاول للثورة وانها لثور

٣/ ان جاهرية الحركة لا تستمد من شعاراتها ولا حتى من ايديولوجيتها الثورية - رغم اهمية ذلك - ولا من مواقفها الرسمية وانها تتحدد ايضا بنعط العلاقات التي ينشئها العاملون في صفوفها مع وسطهم الذي يتحركون فيه. فيقدر ماتكون تلك العلاقات ملتزمة منسجمة مع المثل والشعارات المرفوعة مطبوعة بطابع اخلاقي اصيل بقدر ماترتفع مصداقيتها لدى الجهاهم فتكسب المثل العالمية من مواطن مجرتهم رغم الروابط الثقافية والدينية. وذلك راجع الى في كسب الرأى العام في مواطن مجرتهم رغم الروابط الثقافية والدينية. وذلك راجع الى المال و العرض وغير ذلك عما سهل عمل الرضيد الاخلاقي للسلوك الفلسطيني اليومي سواء ازاء في ذلك درس بالغ لكل حركة ثورية حريصة على ترسيخ جماهيريتها، فلا مناص لما اذا من تعميق المرتبية الاخلاقية في المواحدة في المواجدة والمواجدة في المواجدة والمعالمية والمعالمية والمحكونة والمعالمية في المواجدة في المواجدة

إصافياً للبعد الاسلامي، فيقد مااهتمت المنظمة بكسب الرأى العام العالى في المسكرين الاشتراكي والرأسياني بقدر ماكان عملها محدودا على المستوى الاسلامي وقد يكون من مبررات ذلك إنبتات الأنظمة هنا عن الجهاهير وعالتها - غالبا - وندرة الحركات النورية الاسلامية التي يمكن التعامل والتفاعل معها، وقد يكون هو الطابع اليساري العام المسيطر على المنظمة، ومعلوم ان البسار لايزال مشبعا بالعقد ضد اللدين واهله وكان على هذه المسيوط على المنظمة اليسار عن الوطن الاسلامي والفكر الاسلامي والحركة الاسلامية أن شهدت الساحة الاسلامية خلال السنوات الأخيرة تحركات ثورية مسلحة تضير بعمد أن شهدت الساحة الاسلامية خلال السنوات الأخيرة تحركات ثورية مسلحة مما يعتبية ضد قوى الاستعرار والاستبداد في ايران وافغانستان وسوريا ومصر وتونس عما يعتب الاسلامية البعد العربي والعالمي رصيدا اساسيا للنورة الناسلامية المناسطينية رغم ان الحركة الاسلامية كانت هي الحركة الشعبية الوحيدة في الوطان العربي التي لم تكنف سنة ١٤٧٠ بمناصرة القضية الفلسطينية بالبيانات وانيا بادرت الم السلامي ال المسلام عرفت اليهان الاسلامي ، وكاد المسلومة المعيونية رغم ان الحركة السلامية عرفت اليهود معنى الإيهان الاسلامي ، وكاد المشهيوني أن مجهض لولا خيانات المحكام .

ان فلسطين تحور الصراع الدولي والحضارى فينبغى ان تكون قضيتنا المركزية وخطنا الاول فى مواجهة الامبريالية وعملائها وتكتيل كل القوى الثورية والبوتقة التى تحترق فيها بقابا ومخلفات انحطاطنا وعجزنا وكسلبا وتثاؤينا الحضارى وخولنا الحركى، ويعاد فيها سبك مجاهدينا ورص صفوفنا. للانطلاق في البناء الحضارى الاسلامي الجديد لنجد انفسنا في الصف الاول للثورة وانها لثورة حتى النصر . . ﴿ ولينصر ن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز﴾ .

أكتوبر ١٩٨٢ م

الفصل الثالث ملاحق

لقاء مجلة المجتمع الكويتية بالاستاذ راشد الغنوشي صائفة ٨١ قبيل اعتقاله

اننا نطالب بالحريات للانسان ولكل الفئات السياسية

تلتقى دمجلة المجتمع، بالاستاذ راشد الغنوشى رئيس حركة الاتجاه الاسلامى في تونس وحدث تونس الآنى . . حيث اعتقل معظم افراد حركة الاتجاه الاسلامى وزجوا في السجون وعلى رأسهم الاستاذ راشد ويبلغ من العمر ٤٠ عاما ويعمل استاذا للفلسفة في مدارس تونس . . من مواليد مدينة (حامة قابس) .

* المجتمع:

ليس فى تونس فقط ولكن فى كل بقاع العالم الاسلامى تستغرب الفئات السياسية غير الاسلامية تدخل الاسلام بالسياسة، وتتساءل عن علاقة المتدينين بالسياسة فها ردكم على ذلك؟

• الغنوشي :

اننا اذاً تلقينا هذا السؤال على اساس الاستفهام الاستنكاري، فذلك هو العجب المجاب، حيث يحمل الدلالة على عدم فهم الواقع الذي نعيشه، وإذا كان لابد من التوضيح فتجدر الاشارة إلى ان تنامى انشغال المواطنين بالسياسة هو الظاهرة الصحية التي تشير إلى هدى اهتهام الناس بسير الاحداث واتجاهاتها واسبابها في بلادهم. وهذا يدل بالتالى على ان الاحدة تقطعت خطوة ما في طريق الخرج من التخلف، على أن وطننا العربي الذي يعاني مشكلات حادة على المستوى الاقتصادي والثقافي والاجتهاعي والسياسي فان اغلسه عدم المواطنين فيه صاروا متضررين بسبب انتشار الليكتاتوريات التي تفرض على المسلم عدم الاهتهام بالسياسة لائه مسلم على محب حق المسلم

ق المواطنة من خلال هذه المقولة التي تفرق بين ما هو ديني وما هو مياسى . وعلى الرغم من السلامنا لا يسمح لنا أن نعيش في غيبوبة ترسم لنا فان الدكتاتوريات السياسية تحاول اجتزاء الفهم الاسلامي وتكريسه في الاطر العبادية فقط، ونحن نقول لحؤلاء دحضا لمخولاء من المقرآن الكريم لوجئنا تصويرا واضحا للمناخات والاجواء التي انطاق فيها عمل الفئة الاسلامية الاولى. والقرآن ليس كتاب دين بالمعنى التقليدي بل هو نظام حياة نزل لينظم حياة البشر على أساس فلسفة معينة تربط الانسان بربه وتنظر الى صلاحية الكون على اساس من الارتباط بالتوجيه الأهي . وقد قدم الرسول ﷺ صورة حية عن الوضع المثانى للمسلم الذي يتحسس سير الزمن على حين أن كثيرا من الطقوس العبادية عن الوضع المئز المن المطقوس العبادية على الرائم بالمرافق غيبوية تبعده عن مجريات الزمن، بينا تصر العبادة الاسلامية على الارتباط بالزمن.

وهكذا جاء الرسول ﷺ بنظام جديد نظم الزمان والمكان وعلم المسلم ان يكون حاضرا في دورة الزمان ورقعة المكان بحيث ينتظم كل شيء بارادة اسلامية تشمل تنظيم كل مجالات الحياة الاسلامية . ومن هنا فان تنظيم الاسلام هو سياسة الكون باجمعه .

* المحتمم:

يرى بعض الاسلاميين ان العمل الاسلامي في تونس لم ينطلق من منطلقه الصحيح الذي يقوم اصلاعلى العمل التربوي وتكوين القواعد القوية حيث يعتقد البعض ان العمل في تونس انطلق من البدء الى مواجهة الحزب الحاكم ومناقشة الاحزاب الاحرى سياسيا دون ارتكاز إلى قاعدة تربوية روحية صلبة ، وبهذا قد يجكم الاتجاه على نفسه بالانتحار، فها رأيك؟ • الغنوشر .:

يعتقد بعض الاسلاميين أن العمل السياسي بجب أن يكون مسبوقا بمراحل ثلاث: الأولى: مرحلة التكوين المقالدي، والثانية: مرحلة التكوين التربوي، والثالثة: مرحلة التأوين التربوي، والثالثة: مرحلة التأليط الاخوى. ثم تأتى المرحلة السياسية كمرحلة التكوين التربوي، والثالثة: مرحلة تنظير خاطىء للاسلام ذلك أنه يفصل العقيدة عن الحياة. ونحن نعتقد أن هذا الطرح هو اثر من آثار عصر الانحطاط حيث كان الفصل بين الدين والسياسة هو الاساس وأن لم يكن منظرا، لكن الغرب جاء بتصوراته فيا بعد فنظر ذلك بفصل الدين عن السياسة وهذا أمر الاسلامي عمليا عارسة الفصل بين الدين والسياسة، أما أن نتصور بأن التكوين المعالدي بعب أن يكون في المرحلة الأولى بعيدا عن العمل السياسي فهذا تصور خاطىء. المقائدي بجب أن يكون في المرحلة الأولى بعيدا عن العمل السياسي فهذا تصور خاطىء. العقدة عن واقعها. أن القرآن المكي قدم التوحيد متفاعلا مع حركة التاريخ لم يقدمه البرا العبدة، الباب الأول الترويد والثاني الإيان بالرسل والثالث الإيان بالرم بالمرحر التوحيد عن حركة التاريخ م يقدمه البالتاعزم جرد التوحيد عن حركة الكون. ولقد كان له اثر كبير في انحطاطنا وجميل المسلم غائنا عن والقعه. وعلينا ان نتجاوز هذا التنظير الكلامي للعقائد الاسلامية.

* المجتمع:

لنفترض أن رأيكم صحيح.. فهل تعتقدون أن الاتجاه الاسلامى في تونس يعمل بان واحد لايجاد وعى عقدى تربوى سياسى.. أم أنه أنطلق مبتدثا بالمطالب السياسية دون نشر الموعى الاسلامى بين الناس؟

• الغنوشي:

حتى الآن لم يطالب الاتجاء الاسلامي في تونس بالدولة الاسلامية . . ولا نرى ان هذا هو مطلب الحركة اليوم ، وتحقيق الدولة الاسلامية يجب ان يتم عن طريق الاتجاء الاسلامي . . فمن الحطا ان نطالب غيرنا من الاحزاب بتحقيق اهدافنا وتطبيق الاسلام . . ويقدر ما ترتبط حلول مشكلات الناس بالاسلام بقدر ما نقترب من الحكم الاسلامي . . عندما يهسيح المصل الاسلامي هو النضال من اجل الحريات السياسية ومن اجل تحقيق العدالة الاجتماعية وانضال من اجل الاستقلال عن المعسكرات الدولية بقدر ما نقترب من اهدافنا . . لذا فنحن دخلنا الحياة السياسية في تونس من اجل تحقيق الحريات وليس من اجل الخامة حكم السلامي . . وهذا المطلب هو القاسم المشترك الذي جعنا مع بقية المعارضة السياسية رغم السلامي . . وهذا المطلب هل القاسم المشترك الذي جعنا مع بقية المعارضة السياسية رغم التناقضات الكبرة . لكن هناك تعاون وعمل مشترك .

* المجتمع:

اذا كان الامر كذلك، فهل تعتقدون ان المسكرين الغربي والشرقي المهيمنين على لعبة النفـوذ في العـالم واللذين سيتبادلان المصالح سيتركان جوا من الحريات السياسية مفتوحا للاسلاميين . وإذا كنتم لا تعتقدون هذا، فهل سلكتم مسلكا للوصول الى هدفكم؟

♦ الغنوشى: من الطبيعى ان يكون للاسلام اعداء.. لكن وجود الاعداء لا يجوز ان يكون مبررا فزائسنا، فالصائب التي جاءتنا يفندها القرآن بقوله فؤلل هو من عند انفسكم القول بأن ذلك جاء من الصلبيبة أو الههودية هو تبرير قاصر، ونحن نعتقد أن القوى العدوة ليست قادرة على مواجهتنا أذا توفرت لدينا أسباب ولادة المشروع الاسلامى. وعدم ولادة دولة اسلامية لا يعود سببه الى وجود معسكرات دولية وإنها يعود الى عدم نضجنا بعد، حيث أن المعوقات هى داخل فكرنا الاسلامى.

اما بالنسبة الى موقف الاعداء من حرية العمل الاسلامي فان الحرية لا توهب لانها نشال الورية لا توهب لانها نشال ونحن نناضل من اجلها، والديمقراطيات التي يتمتم بها الغربيون هي ثمرة نشال طويل، لذا فان رفع الاغلال الفكرية والنفسية والاقتصادية والاجتهاعية مهمة اساسية من مههاتنا، والنفسال من اجل الحرية هو من جوهر النضال من اجل الاسلام، وإذا اعتبرت الحركة الاسلامية ان الحرية ليست قضية جوهرية فذلك سقوط رهيب. والذي احشاه ان تكون الحرية قضية ظرفية بالنسبة لنا نطالب بها عندما يكون الامر غير مناسب لنا. وهنا يكون السقوط الوهيب. . اننا نطالب بالحرية للانسان ايا كان.

الجنمع:

ان ما ذهبت اليه يذكرنا بضربات الاخوان عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٥ ، التجارب التى افرية تقول ان المدرسة الجاهيرية ذات العمل الثقافي والتى مارسها الامام حسن البنا المرت نظرية تقول ان المدرسة الجاهيرية بروز المدرسة التربوية التى تتبلورت في كتابات الاستاذ سيد قطب ما نريد ان نقوله انكم عدتم تمارسون نفس التجربة الجساهيرية للامام حسن البنا وان انتقادات المدرسة التربوية مازالت قائمة مع العلم بأن الطووف الجموهية لم تتبدل كثيرا . الا ترون انكم قد تصلون الى نهاية شبيهة بتجربة الاخوان عام ١٩٤٨؟

• الغنوشي :

والآن. هل ما سمعي بالتجرية الجاهبرية في العمل الاسلامي قد فشلامي . وسلامي . والما اعتبر هذه الاغبرية في العمل الاسلامي قد فشلت ومطلوب منا الا نعود اليها وان نتوخي ما يسمى بالقاعدة الصلبة كها سياها الاستاذ سيد قطب؟ . وهو ما يسمى النخوي والانصراف عن الحياهبر؟؟ علينا ان نحده ما المقصود بالجاهبرية المنافقة عند بالكم رغم ان الكم اساسى فيها . فالصوفية قد بالجاهبرية من الزمان اغلب من في المجتمع ومع ذلك لا نصفها بالجاهبرية . الكثرة هي احد شروط الجاهبرية . الكثرة هي احد شروط الجاهبرية ولكتما ليست كل الشروط. فمن شروط الجاهبرية وهمامين الحركة متجهة الى هموم الجاهبر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها تحقق شرط من شروط الجاهبرية ، كما ان من شروط الجاهبرية السياسية والاقتصادية السياسية اعتبار الجاهبر هي اداة التغير ومن خلالها تتم معالجة مشاكل الجاهبرية . فالحرفة التي ستقليم ان نفيه حركة البنا وجهاهبريتها .

معلييس تستعيق المنطقة على القطاعات العريضة من الناس واستقطبت الطبقات الدنيا منهم فحركة البنا أتجهت الى القطاعات العريضة من المنقضية الوطنية والتحرر من الاستعمار والمحرومة كالعمال والطلاب. وحركة البنا اهتمت بالقضية الوطنية والتحرر من الاستعمار بدرجة تفوق الاهتمام بقضية قيام الدولة الاسلامية حتى اننا نستطيع ان نقول ان حركة البنا

كانت حركة تحرر وطنى بالدرجة الاولى.

اما الآهتيام بالقضايا الاجتهاعية وهموم المواطن فلم تكن حركة البنا على درجة كبيرة من الاهتيام بها . . بل حصرت اهتهامها بالقضية الاخلاقية والشهير بالميوعة والخمور والزنا . . لل حصرت اهتهامها بالغا للقضايا التربوية والاخلاقية والمفائدية بدرجة لا تقارن مع الاهتهام بالقضايا الاجتهاعية والقضايا السياصية .

كها ان هناك خطأ سياسيا شنيعا ارتكبته حركة البنا ولا يزال متواصلا وهو ان الحركة الاسلامية تقدم نفسها وصيا على المجتمع وليس طرفا سياسيا أو فكريا يستمد مشروعيته من قوة المحبة واقتاع المجاهدية من الله تتكيل بشدة ان تعتبر نفسها كغيرها من بقية الاطراف السياسية - شيوعية أو اشتراكية أو ديمقراطية - طرفا في المجتمع من ومن هذا المنطلق طالبت حركة البنا بحل الاحزاب وما زال ضمير الحركة الاسلامية - في وعيه او لا وعيه - يستنكف ان يكون حزبا ويشمئز من قضية الاحزاب ويصطرعات على ان يكون وياسم الاسلام وياسم المسلمين.

وكما ان حركة البنا لم تعتمد الجاهير اداة للنغير في ألاطار ألديمقراطي كذلك فهي لم تعتمد الجاهير اداة للتغير في الاطار الثوري الشعبي . . فهي لم تكن تؤمن بالثورة . . بل كانت تداري الحاكمين على نحو يميم التوتر الشعبي ويضبب الرؤيا .

كل هذا جعمل حركة البنما بعيدة عن ان تكون حركة جامبرية شاملة . . بل كانت منقوصة . . وانها بعد البنا تراجعت كثيرا واهملت البعد الوطني . . كما انها احتفرت الجياهير وانجهت الى الاسلوب النخبوي الانتقائي أو ما يسمى بالقاعدة الصلبة .

الجتمع:

الا ترى ان هذه مثالية نظرية لا يهاوسها احد من الاحزاب في عالمنا الاسلامي . . فاليسار عندما يصل الى الحكم يصبح ديكتاتوريا . واتباع الاشتراكية الغربية كذلك وحال تونس شاهد على ذلك . . واتباع الاشتراكية الشرقية كذلك . . الجميع لا يتعامل مع هذه المثالية بل يحتكر السلطة ويحتكر معها التعبير عن الرأى ؟

٠ الغنوشي :

ان اهم ما يميز مجتمعات التخلف هو الاستبداد وسحق كرامة الانسان . وإذا ارادت الحركة الاسلامية ان تقدم نفسها نقيضا للتخلف والانحطاط . وإذا ارادت ان تكون خطوة التجاوز هذا الراقع فلا بد ان تمبر عن ارادة هذه الامة في تجاوزها هذا الانحطاط . ان المتبداد ليس حديثا ولم يأت عن طريق العملاء الغربيين . . انه عميق في تاريخنا وتفكيزا والفاقتنا . لقد بدأ منذ الإنقلاب الاموى الرهب ليستمر في انحراف تاريخي رهبب كرس وصاية طغاة كراسي الانظمة الورائية وبرره . وهذه الوصاية سحقت شخصية المسلم وادت الى حرف المفهوم السياسي والمقافي و القد ولدت هذه الوصاية الحطاطا في العقيدة كرستها عقائد الجبر وسلب ارادة الفرد امام القوى . ان المسلم كان منسحقا سياسيا امام السلطات . ومؤائل المام عقيدة الجبر واراديا امام رجال الصوفية وقحى امام رجال للذاهب . ومزائل الاستبداد مكرسا في الحركة الاسلامية فالافراد منسحوقين امام زعاء الحركة أو امير المبتداد مكرسا في الحركة الاسلامية فالافراد منسحوقين امام زعاء الحركة أو امير متقدم علينا يعيش تجربة حضارية رغم ما فيها من الوان الانحداد . . انذا ثمرة مجتمع متخلف . فذا المنظور ورغم عهر الانسان الغربي وفساده الايناسية متقدم علينا يعيش تجربة حضارية رغم ما فيها من الوان الانحداد . . ان المغات السياسية متقدم علينا يعيش تجربة حضارية رغم ما فيها من الوان الانحداد . . ان الفاتات السياسية

بكل شرائحها فى العالم الاسلامى شمرة التخلف والاستبداد.. واننا اذا كنا مثاليين فلاننا نعيش مع اناس ديكتاتوريين متخلفين.. وإذا اردنا ان نكون مثلهم فاننا نريد الانحطاط ان نعيش مع اناس ديكتاتوريين متخلفين.. وإذا اردنا الي يمر عبر الجاهير التي تصوت لبرنامجنا كها يجب ان نحترم ارادة الجاهير اذا اختارت منهجا غير منهجنا فنحن لا نعشل وصاية على المجتمع فاذا اختار مجتمعنا ان يكون يوما ما ملحدا او شيوعيا فهاذا نملك نحن؟.

* المُجتّمع : كيف تبرر قيام ابي بكر الصديق رضي الله عنه بمحاربة اهل الردة وارجاعهم بالقوة الي

سلطان الدولة الأسلامية؟

• الغنوشي:

ابوبكس الصديق لم يشن حربا ضد حركة فكرية أو سياسية وانيا شن حربه ضد تمرد حسكرى لم يقدم فيه مسيلمة الكذاب فكرة أو برنامجا ذلك ان الاسلام لا تخيفه البرامج. فاعداؤنا لا يمكن ان يهدوننا بالافكار وإنها لديهم الذي يهدوننا به فقط وعلينا نحن ان نجرهم الى ساحة المعركة الحقيقية التي هي ساحة المعركة بالحجة والبرنامج.

* المجتمع:

" المجتمع . الا ترى ان الجاهلية كانت تمثل منهجا وبرنامجا سياسيا ومع ذلك لم يسمع لها رسول الله بالبقاء في الجزيرة العربية حيث ان الاسلام اصر على الا يتواجد في الجزيرة العربية

دينان؟ .

المثال الآسلامي للمجتمع النموذجي هو مجتمع المدينة الذي قام على اساس الميثاق بين الجهاعة الاسلامية والفتات السياسية الاخرى يهودية كانت أو مشركة. والنبي ﷺ لم يشن عليها حربا الا بعد ان نقضت الميثاق ولجأت الى العنف.

* المجتمع:

الذى تعنيه هو ان الاسلام لم يسمح فى النهاية بتواجد منهج اخر فى الجزيرة بل لم يعط الحق للنسان العربى ان يظل مشركا. والاسلام عامل النصارى واليهود من خلال التاريخ كفئات اقلية ليس لها كامل حقوق المواطنة . فكانوا يعيزون بملابسهم ولا يجتى هم تسلم المناصب الحساسة فى الدولة أو دخول الجيش . . بل يجب ان يتصفوا بالذلة والصغار عند وفعهم الجزية . كما ورد فى الحديث الذى يأمرنا ان نضايقهم فى الطريق ونضطوهم الى اضنفة ؟ ..

• الغنوشي:

هذه الصورة تنفر الناس. . وتلك النصوص ينبغى ان ينظر اليها اولا من حيث السرد التاريخى والرواية والسند فان ثبت صحتها وجب تأويلها على النحو الذي ينسجم مع ما ثبت في المجتمع المدنى النموذجي الذي نعرفه من خلال المارسة وليس من خلال النصوص.

* المجتمع:

في مجتمع المدينة لم يسمح لفئة المنافقين بالتعبير عن الرأى أو معارضة السلطة؟

• الغنوشي:

المنافقون كانوا اولى مصالح ولم يكن لهم نظرية متكاملة في الكون أو السياسة او الاخلاق لذا فقد رأوا في تصوفح الاسلام ما يتجاوز ما عندهم من فكر ووسيلة حيث استقطب الناس. . فأكل الحسد قلوبهم فكادوا للاسلام الانهم لم يتمكنوا من الوقوف امامه بالحجة فلجاوا الى النفاق ومشكلتهم علاوة على هذا مشكلة نفسية وصفها القرآن بقوله تعالى ﴿ فَي قلوبهم مرض ﴾ وليسوا اصحاب مشكلة فكرية .

حوار مع مجلة آرابيا (ARABIA)

من يحتل المسجد الأقصى يهدد بالسيطرة على المسجد الحرام:

أجرت مجلة آرابيا ARABIA الانجليزية حواراً مع الأستاذ راشد الغنوش زعيم الحركة الاسلامية في تونس واحد أبرز المفكرين الاسلاميين المعاصرين، هذه ترجمة كاملة للحوار. س : يؤكد بعض المفكرين المسلمين على النيوءة القائلة بحدمية إنهيار الحضارة الغربية، هل تعتقد ان هذا التأكيد مبنى على تحر علمي؟.

● راشد :

التنبؤ المستمد من بعض المفكرين المسلمين المعاصرين بحتمية إنهيار الحضارة الغربية ليس مبنياً على تحليل علمي للأسس التي قامت عليها تلك الحضارة ومثل هذا التحليل مطلوب لمعرفة ما إذا كانت تلك الأسس مازالت تتمتع بالفاعلية في أداء دورها أم لا19!

أخشى ان يقع ذلك التأكيد على حتمية انهيار الحضارة الغربية في خطأ الاستلالال عندما يبنى الاستدلال على التباثل لان نفس التأكيد ينطلق من إفتراض ان ما يعتبر اساساً في حضارة ما هو اساسي وبنفس الدرجة في حضارة اخرى. على سبيل المثال، نبحد ان العامل الاخلاقي لم يكن ابداً عاملاً اساسياً في حضارة الغرب منذ بدايتها، وهذا فإنه ليس صحيحاً ان نطرح الانحطاط الاخلاقي في الغرب دليلا على قرب انهيار تلك الحضارة، وهذه الطريقة في اتفكر لا تشعر الا مزيداً من الارتباك وعدم العقلانية في أوساط الاسلامين، فيرى المسلم عالم الكفر قرياً ومسيطراً على الذنيا رضم عدم العقلانية في التجم الاخلاقية ويرى عالم الايبان ضعيفاً غير متوازن ومرتبكاً رغم احترامه وتبجيله للقيم الاخلاقية.

إِن صَرَّح أَى حضَّارة يعلوا إذا بنيت تلك الخضارة على مقايس معترة ودرجة من الحقيقة والصواب. كيف إذا يمكن لحضارة كحضارة الغرب أن تعلو وتسيطر وتقاوم كل عوامل الانهيار من اللداخل والحارج حتى الآن ما لم تكن قد اكتشفت جانباً من سنن الله في الحياة والطبيعة، هذه الاكتشافات ستستمر في ضيان نمو وسيطرة الحضارة الغربية حتى يأتي الزمن الذى تكون فيه عوامل التحطيم والانحطاط من الداخل والحارج قد وصلت درجة أعلى من القدة والفاعلة.

في مقالنا ومرة أخرى نحن والغرب؛ حاولت توضيح اثر الايهان على الانسان وفكوه - فسر قوة وضعف الحضارة الغربية موجود في العامل الانساني ، وبالمقارنة نجد ضعفاً عاماً في الروح الانسانية في فترة انحطاط الحضارة الاسلامية قد ادى الى الغاء العامل الانساني وتحطيم شامل للقوة الخلاقة للعقل ، كذلك اوضحت ان توجه الغرب نحو الانسان كان سر القوة والضعف في آن واحد معاً . عندما نتحدث عن البديل الاسلامي للنظام الغربي ولنموذجه الاصلي وتصوره للانسان وملمية المعلاقات الاجتهاعية في المجتمع المعاصر فاننا نهدف التأكيد على النقاط التالية:
ـ انمه من المضروري للانتاج الفكري الاسلامي أن يتجاوز مرحلة المثالية التي لا يتعدى الخطاب الاسلامي فيها المموميات التي لا تكاد تختلف بتغير الزمان والمكان وهذا التوجه يحيل الفكر السياسي الاسلامي والايديولوجية» إلى هيكل اجوف بلا قواعد ولا اسس في حقائق الواقع ولا يقيم وزناً ولا قيمة للتعامل مع الزمن.

على الآسسلامين في تونس والاقطار الآخرى أن يجموا عن اجترار جملة آراء انتجتها الاجيال السابقة من رجال الدعوة الاسلامية . فهذه الآراء اعطت احكاماً قطعية في عدد من المسائل اذ حرمت مثلًا ـ العمل النقابي وقاومت تنظيم الاحزاب السياسية وانشأت تراثأ يعتبر تحرير المرأة من ممارسات الكفر، وكان ذلك في عصور الانحطاط الاسلامي . كذلك كانت هناك دانة لما يتصل بعفاهيم الثورة والديمة راطية .

هذا المنهج في التفكر مازال موجوداً اليوم كأن اولئك الرجال - من الأجيال السابقة - قد جودوا كل تفاصيل المعرفة الاسلامية ورفعوها فوق الزمن وفلا جديد بعدهم.

يجب أن نحقق أهدافنا، ومن أجل ذلك يلزمنا أن نكون عصريين نعيش في زماننا ويتفاعل معبه و التراث الماثور معهد و التراث الماثور معهد و التراث الماثور معه و التراث الماثور من الشريعة ، وحالة الاحداث الماثلة ، في هذا التفاعل علينا الالتزام المطلق بمتطلبات وموجهات الدين ، وفي نفس الوقت نستفيد من كليات تراثنا وذلك يشمل التراث الاسلامي والتراث الانساني القديم والمعاصر .

بعض الاعبال التي خلفها علياة المسلمين تصلح نواة للفلسفة الاسلامية المعاصرة وقاعدة تؤسس عليها العلوم الاجتباعية الاسلامية الا أنه يمكننا القول بقلة ومحدودية بجهودات المفكرين المسلمين وانتاجهم المنشور في مجالات تحليل الظاهرة الاجتباعية وخصوصاً تلك المجهودات المرتبطة بمصالح ومشاكل المسلمين المستصعفين. فاذا اخذنا مثلاً ما ينشر في المجلات الاسلامية فاننا لانكاد نستطيع تمييز تاريخ ومكان وهموم جماهير البلد التي اصدرتها ولا الزمن الذي صدرت فيه.

: تحدثت عن البديل الاسلامي . . نرجو ان توضح لنا مبادثه العامة؟ .

€ راشد:

إذا صمح لنا القول بأنه لا تجديد مع الاعتداء على مبادىء الشريعة فانه يصح ايضاً وبنفس الدرجية القول بإستحالة التجديد بمعزل عن حالة الاحداث الحقيقية المعاصرة، ان ما نحتاجه فعيلا هو اصولية واقعية . . او ان شتت سمها وواقعية مؤصلة عطريق وحيد للخلاص والمحافظة على العقل المسلم والدعوة الاسلامية من إنحرافات الشيخوخة والانحلال.

س : كيف ترى العلاقة بين مدرسة محمد عبده ومدرسة سيد قطب. . بعبارة اخرى ما هو الفرق بينهها؟ . .

راشد :

لعب الشيخ محمد عبده دوراً عظياً حين استطاع التأثير على العلاقة بين العقل الاسلامي والتاريخ وحاول اعادة ربط القرآن بالحياة بعد فراق دام زمناً طويلاً في عصور الانحطاط الاسلامي . . . وهو لهذا السبب وبغض النظر عن اى شوء تآخر يعتبر مجدداً عظياً.

بدأ محمد عبده تعليم طلابه شئون حياتهم على ضوء تعاليم القرآن وفي نفس الوقت توصل الى فهم الموقت توصل الى فعلا الله فعلا المنافقة كان فعلا الله فعلا المرافقة كان فعلا علماً مجددًا تقرأ في تفسيره انعكاساً واضحاً لعصره واعتبر ذلك اسهاماً في تحديث علم القرآن كذلك كتاب وفي فللال القرآن، لسيد قطب لا نجده شجرة وحيدة في وسط الصحراء ولا هو عمل غير مسبوق ولكنه ايضاً كان امتداداً لمدرسة مجلة المنار التي اصدرها محمد عبده ورشيد رضا.

فى الحقيقة نجد صعوبة فى تبين اى اختلاف يتصل بالبيثة فى تفاسير العلياء القدامى كابن كثير، والقرطبى، والزنخشرى وغيرهم ولكن الحال غتلف مع الظلال والمنار حيث لا يمكن لأحدنا ان يقرأ تفسيراً لأية وإحدة دون ان يجد فيه فكرة او انطباعاً عزر الفسر وعصره.

حمل سيد قطب تورة مدرسة المنار الى ذرى عالية ضد مناهج التفسير التقليدية فقد حجبت تلك المناهج قارىء القرآن عن واقعه عبر شحنه بسيل من اللغويات والاساطير والفلسفة، وعلم الكلام وعبر الخلافات الفقهية والجدليات.

س : عايشت ألحركة الاسلامية في مصر اللاق شخصيات قائدة. . محمد عبده، سيد قطب، والامام-حسن البناء كيف تقارن بينهم؟ . .

● راشد :

يمثل حسن البنا مدرسة في التربية والتنظيم اكثر منه تمثيلًا لمدرسة في الفكر والتنظير فقد كان هو الوعاء الذي ذابت وامتزجت فيه عدة مدارس منها مدارس المنار والتراث التربوى الصوفي والاحزاب الشورية مع تطلعات الامة للرد على التحدى الغربي لاسرائيل. . . وتطلعات امة ما زالت تحن الى مؤسسة الخلافة .

كان حسن البنا عبقرياً في التنظيم العلمي اكثر منه في الجانب النظري. أما سبد قطب فقد صرف جهداً كبيراً في تحديث الصرح النظري الذي بنته مدرسة المنار على ضوء التطورات الجديدة في العالمين الاسلامي والغربي والعلاقات بينها، واصبح سيد قطب رابطة لا تنفصل عن سابقتها التي انشأتها مدرسة المنار.

لكنه من الخطأ اعتبار ان المثال العملي للبنا والنظرى لصاحب المنار وصاحب الظلال هي منتهى الكيال في طرح النموذج الاسلامي .

لاً يبدو الآن أن حركة الصحوة الاسلامية قد تجاوزت مدارس المنار والظلال والبنا كثيراً رغم وجود جهود في اتجاه تأسيس علوم اجتماعية اسلامية وهي جهود واعدة اذا اعتبرنا ترجهها العام كمحاولة جادة على طريق التجديد وهي تستحق كل تشجيع رغم انها لم تؤت أكلها ىعد .

ايضاً هنالك جهود عملية في حقل النضال السياسي من اجل الاصلاح والتغيير الاجتماعي سلمياً كان او عنيفاً نجحت هذه الجهود العملية في نقل القضية الاسلامية الى ساحة الجهاد اليومي في حياة المسلمين ويعتبر الامام الخميني ود. حسن الترابي رواد هذه المدرسة العملية، وهي تمثل نوعاً من التجديد.

مع محمد عبده وسيد قطب عاد القرآن كها اراده الله نوراً يهتدى به قارئه لما ينبغي فعله وما ينبغي تركه في حياته الطبيعية وتجاه النّاس والمجتمع وانه لضروري جداً اذا كان للقرآن ان يكون النور الهادي للأفضل الا يتوقف عن اصدار تفاسير جديدة في كل عصر وكل بيئة.

والفرق بين الرجلين هو أختلاف درجة لا اختلاف نوع ، والتراوح بينهما كان في درجة تحرر كل منهما من سيطرة المثال الغربي. ففي الفترة بين عصريهما قامت حربان عالميتان دمرتا ثقة الغرب في آلهة التقدم العلمي والتنظيم تدميراً كاملاً، ولهذا كان طبيعياً ان ينظر سيد قطب في المجتمع المسلم متحرراً تماماً من اي درجة من درجات الافتتان بالغرب، ولذلك لا يجد حاجمة لتبرير تعاليم الاسلام أو الدفاع عنها، فقد اعتاد سيد قطب أن يرى المجتمع الاسلامي من موقع قوة وتفوق.

كان الرجلان زعيمين سياسين عظيمين حاولا قيادة أمة مستضعفة على ضوء توجيهات القرآن عازمين على تقدم الامة ومحو عار التخلف عنها. على الرغم من ذلك سيطرت على اسلوب محمد عبده مهنة التعليم والفقه وطغت في عصره روح التيار التبريري الدفاعي، بينياً سادت زمن سيد قطب لغة الكفاح السياسي والايديولوجيات وطغت عليه روح التحدي.

هؤلاء الرواد يتحركون في اتجاه تفاعل مستنير بين القرآن والعصر وتعترض سبيلهم أراء مبهمة وغير مجربة ولعل نظريات سيد قطب كان ينبغي ان تكون عنصر اثراء لهذا التفاعل الذي مازال يعوقه التناقض بين الفكر والعمل مما قد يوسع الشقة بين المدارس الاسلامية القديمة والحديثة وبين الدعاة الاسلاميين الذين يتزايد توجههم لمصادمة مشاكل وهموم الحياهم المسلمة في كسب الرزق ومواجهة الاستغلال والسيطرة الاستعارية.

ولهذا تتوجب دعوة هذه الجهاهير المسلمة للاسلام من خلال خطاب يستوعب تلك الهموم والمشاكل، وهي معركة يومية تحتاج فكراً اسلامياً يناقش ويطور حلولًا اسلامية لمشاكل جهورً المسلمين، حلولًا نابعة من رؤية أسلامية اصولية تتفاعل مع الواقع ولا تنفصل عنه. . بينها تسلم بمفهوم اولوية تعاليم السهاء على حقائق الواقع وتسلم بسلطان تلك التعاليم وحاكميتها على ألواقع لأن عمق الاديان كلها في التسليم بعلوية كلمة الله وحاكميتها.

س : تنصرف جهود اسلامية كثيرة الآن الى أعادة بناء الامة. . هذه الجهود واقعة تحت تأثير الواقع الوطني . . كيف ترى المصالحة بين العمل الاسلامي في اطار وطني _ الذي هو واقع اليوم - وبين البديل الاسلامي العالمي؟ . .

راشد :

آحدى نقاط ضعف العمل الاسلامى تكمن فى مصادمته لمشاريع ذات طبيعة شمولية وعالمية وبخطط غالباً ما تكون اكثر من ردود فعل ذات طبيعة اقليمية محدودة، مجدث هذا رغم معارضة الروح الاسلامية الطالمية لحدودة، وهى بلا شك من نتائج التأثير المباشر للفكر العلماني الفربي بل هى احدى اعظم نجاحاته وانجازاته، وهو تأثير ليس محصوراً في الصفوة المستغربة ولكنه ذهب وراء ذلك ليؤثر على الرأى العام بل وصل الم وصفرية حالم كالم العام بل وصل الم وصفرية حالم كالم العام بل وصل

الى عصوية الحرفة الاسترامية نفسها. هؤلاء الاستلامية نغمر والعم بهذه الطريقة يتصرفون وكأن

المولة الاسلامية المنظرة المستوي المسائل بارتحم وعم بهذا المولية بالمولون وصاد اللولة الاسلامية المنظرة المستوية المستوية المستوية المنظرة المستوية المنظرة المستوية المنظرة المستوية المنظرة المستوية المستوية المستوية في العالم وخصوصا بعد نجاح الثورة الاسلامية في المنظرة المستوية واحدة من الناس أو عنصر واحد من الأمة الاسلامية وهذا يوضح أن جهود الدعاة الاسلاميين التي عزمت على تطبيق المشروع الاسلامي في اطار دولتهم هي جهود كتب عليها الضياع ما لم تتجاوز رؤى مفكريهم ومخططيهم حدود دولتهم وامكاناتهم المحلولة ، ولعل تدخل أمريكا والقوى الدولية لعزل المشروع الاسلامي في السوان عندما شارف التحقيق مثال واضح آخر على عدم قدرة دولة واحدة على حمل المشروع الاسلامي في السلامي من أجل خلق دولة اسلامية .

مثال آخر تقدمه لنا أيران التي نجحت في اقامة دولة اسلامية رغم المحاولات المتكررة لتحطيم المشروع الاسلامي فيها ووضع نهاية سريعة له ولكنها اليوم اجبرت على التنازل والحلول الـوسـطى مع الاعداء المحليين للمشروع الاسلامي نفسه ــ ليبيا وسوريا ــ رغم التعبقة المظيمة التي حققتها.

ومثال ايران ايضاً يثبت وجهة نظرنا في ان الاطار الوطني غير قادر على انجاز مشروع اسلام ناجع

اى تخطيط ناجح لتاسيس المشروع الاسلامي يجب ان ينطلق ـ ان لم يكن من قاعدة عالمية ـ على الأقل من قاعدة اقليمية واسعة كاقليم المغرب واقليم الخليج ومنطقة جنوب شرق آسيا وهكذا. .

ومن ثم لا نجد بديلاً لدراسة طويلة صبورة متأنية للواقع الاسلامى والخروج منها بخطط جيدة تتخطى الحبواجر الوطنية تدريجياً بهدف تأسيس اطر للعمل المشترك والتنسيق بين المجموعات الوطنية الاسلامية في كل المستويات الاقيلمية والقارية والعالمية.

س : تشكل القضية الفلسطينية الآن محور صراع عالمي خطير. . ماذا تمثل للحركة الاسلامية؟

• راشد :

أصبح واضحاً لنا الآن ان الصراع الدولى يتحرك فى اتجاه استقطاب اكبر حول قضية فلسطين حتى ان مناطق الصراع الاخرى اصبحت تبدو صغيرة جداً بالمقارنة مع منطقة الصراع الحقيقي بين المسجد الحرام بمكة والمسجد الاقصى فى القدس.. ففي هذه المنطقة ستجرى ماطرك مصيرية تشكل مصير العالم والعلاقات الدولية والحضارة الانسانية.

رغم أن هذه المنطقة تشكل اعظم قداسة في وعى الاسلاميين ولكنه يصعب عليهم في الحيال كثيرة ان يستوعبوا ان المعركة حول فلسطين هي قلب المشكلة الدولية بينها ـ وفي نفس الوقت ـ تتحكم هذه القضية وتقرر أشكال الصراع الأصغر الاخرى، كذلك فان النضال من اجل وعالمية اسلامية، قد انحسر الى مستوى اقليمي محدود . ويعزى هذا اساساً لدور العلمانية الغربية ووكلائها الذين نجحوا في غرس مفاهيم الاقليمية في المنطقة .

وله ذا فشلت الحركة الاسلامية في الحفاظ على ذلك الحس التاريخي بالانتهاء الى الأمة الواحدة، وهو شعور قوى وثابت لدرجة أنه قاوم الضياع حتى في عصور الظلام والانهيار. اعتقد أنه ينبغي أن يكون هدفاً استراتيجياً للحركة الاسلامية المعاصرة العمل على اعادة تثبيت ذلك الشعور القوى لانتهاء الامة الاسلامية، والعمل على رفض أى مفهوم آخر للامة. كذلك على الحركة الاسلامية أن تتبه لحقيقة الصراع الدولي الذي يتمركز الآن حول المسجد الاقصى عبد المتصدا الاقصى عبد الاقصى عبد المتصدا الاقصى عبد الاقصى عبد الاقصى عبد الاقصى عبد المتبعد الحرام أيضاً.

س: ما هو تقييمك للتجربة الاسلامية في السودان والمراحل التي مرت بها؟ . .

ربا تكون تجربة الجهاد الاسلامى فى السودان اغنى التجارب المعاصرة للعمل الاسلامى باعتبار الدروس والمعانى التى يمكن استخلاصها منها، فهى مثال جيد للتفاعل المعاصر بين القران والوقائع الزمنية، بين الثابت المتحول، بين السياء والأرض، فهذه التجرئة الرائدة بحتى اوضحت مرونة العقل الاسلامى وقدرته على التفاعل مع الواقع المتحرك والمتغير كها أبرت قدرة العقل الاسلامى على استنباط الحلول المناسبة المقراب الاحوال دونها تسليم لألحة الحلول الاسلامية الجاهزة في مسائل التغير الاجتباعى . رغم اقتراب التجربة المصرية زمان ومكانا ومكانا ومكانا والمتحدية المسرية كل محاولات تلويها في المثال المتمين المجاناء .

كان هذا في الحقيقة هو السبب وراء الحساسية المفرطة التي يستشعرها اخوان مصر تجاه التجربة السودانية وقادتها وهو السبب ايضاً في النجاح الباهر الذي حققته التجربة السودانية. فقد كان نجاحاً لا يمكن مضاهاته باي تجربة للممل الاسلامي في الساحة العربية. فالسودان الآن يستعد لدولة اسلامية عملياً وفكرياً. ولا شك ان هذه التجربة تضيف الى الرصيد الاصولي للحركة الاسلامية فتتمكن من تجاوز مصاعب مراجعة الجاهز والمثال الاخواني المصرى والباكستاني والايراني.

تجربة السودان تقوم على نظرية اصولية تأخذ المنهج السلفى ولا تكبل نفسها بالتراث فهى توجه اصولى ، يعيش فى تفاعل كامل مع الواقع السوداني من جانب وستثيد تماماً من ثمار الحضارة المعاصرة من الجانب الآخر. لذلك نجدها تقف قبالة الحركة الإسلامية فى الدول العربية الاخوى التى استمرت فى الاعتباد على تجربة الرواد الاسلاميين الاوائل فى الثلاثينات والاربعينات دون بذل اى جهد وراء تلك التجربة .

نجد الآن فى السودان تجديداً حقيقاً اصبلاً فى عمق العمل السياسى والاجتباعى والتجريعي والتجريعي والتشريعي. وهو والتشريعي. وهو تقديد بنى على تفاعل حى بين مراجع الشريعة وواقع اليوم المتغير وهو تفاعل لا يظلم المرجع الاسلامي الاساسى ولكنه ايضاً لا يستسلم للتراث التفسيري وفي نفس الوقت لا يقلل من قيمة هموم المسلمين ورغبتهم فى العيش الكريم.

هذا النهج الاصولي مكن الحركة الاسلامية في السودان من مسايرة طوارى، الزمن المنغير والمنحول في حملات المطالبة بالديمقراطية وقيادة الشارع في هباته ومظاهراته حتى وصلت الى المؤسسة المستكرية ومكنها هذا المنهج من الوصول الى مصالحات وتحالفات مارست بها الحكم والادارة . وخلت الى مؤسسات الدولة فاكتسبت تحرية حقيقة في التعامل مع مشاكل الحكم والادارة . انجزت الحركة الاسلامي الاساسي ولم نوجت من الماسلامي الاساسي ولم يتعان من اى انشقاق أساسي في عضويتها خلال هذه التجارب المتنوعة . ولم يكن لها ان تحقق تعان من اى انشقاق أساسي في عضويتها خلال هذه التجارب المتنوعة . ولم يكن لها ان تحقق ذلك لولا قاعدتها الايديولوجية المرتة وتكوينها الشورى وانعتاقها من سيطرة مثال الحل الجاهز الذي قدمته التجارب السابقة .

وبعد هذا ما زالت هناك مساحة لمراجعة وتسجيل الاخطاء التي وقعت فيها هذه التجربة السدوانية ال اثدة.

س : تعتبر الثورة الاسلامية في ايران تجربة فريدة ماهي الاضافات التي اسهمت بها للمبل الاسلامي ؟ . . للمبل الاسلامي ؟ . .

• راشد:

تمثل التجربة الاسلامية في ايران تطوراً نوعياً في العمل الاسلامي المعاصر رغم انها تقع ضمن اطار الوعي الاسلامي المعاصر بمقدرات الاسلام وحقيقة الامة الاسلامية التي لم تستكشف بعد، فهي استمرار للتوجهات العملية والفكرية القائمة الآن ويتجل ذلك في تبنيها لاثنين من مبادىء الاسلام هما النهج الشمولي والمنهج السلفي بالرجوع لفترة صدر الاسلام.

وشورة ايران تتميز بصوقفها تجاه المؤسسات الاجتهاعية القائمة والتي تعتبرها مؤسسات جاهلية تنتمي اصولياً لفكر المستعمر واهدافه .

تتميز الثورة ايضاً بطريقتها في تدريب اتباعها وهو تعليم يركز على الجانب الرباني والروح الجاعية ويركز كذلك على غرس روح التضحية وبذل الجهد بروح جهاد واستشهاد ويغض شديد للمستعمر الذي اذل الامة الاسلامية .

كل هذه العوامل ورثتها ايران من السلف وحركات الاصلاح التي امتدت لأكثر من قرن

ونصف من الزمان في منطقة الخليج العربي ومصر والهند وأفعانستان وايران نفسها.
اما اضافات الثورة فبعضها تطوير لما قدمته تلك الحركات فأذكته الثورة في ايران لدرجة
جعلته يبدو جديداً وخير مثال لذلك هو البعد الاجتهاعي السياسي كها نراه في الحرب الشاملة
ضد القوى الاستمارية والاستنفار الكامل للجهاهير لانهاء الأثر الاستماري في المنطقة وما
وراءها. وبالمقارنة مع هذا كان موقف الحركات الاسلامية في كثير من القطاعات اقرب
للتصالح مع القوى الاستمارية. ويجدر بنا هنا ان نذكر ان الحلول التصالحية لا تفضى الى
خلق الثورات ولكنها على العكس تزيلها وتهزمها.

البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الاسلامي

توطئة:

يشهمد العمالم الاسلامي _ ويلادنا جزء منه _ أبشيم أنواع الاستلاب والغربة عن ذاته ومصالحه، فمنذ التاريخ الوسيط وأسباب الانحطاط تفعل فعلها في كيان أمتنا وتدفع بها الى التخل عن مهمة الريادة والاشعاع، طوراً لفائدة غرب مستعمر وآخر لصالح أقليات داخلية متحكمة انفصلت عن أصولها وصادمت مطامح شعوبها.

وكان المستهدف الأول طوال هذه الأطوار كما هو الاسلام، محور شخصيتنا الحضارية وعصب ضميرنا الجمعى. فقد عزل بصورة تدريجية بطيئة وأحياتاً بشكل جرىء سافر عن مواقع التوجيه والتسيير الفعل لواقعنا، فهو رغم بروزه عاملاً محدداً في صنع الجوانب المشرقة من حضارتنا وفي جهاد بلادنا لطرد المستعمر، قد بات اليوم - أو كاد معجود رمز تحدق به المخاطر ثقافياً وأخلاقياً وسياسياً نتيجة ما تعرض له في المرحلة المعاصرة والاخيرة خاصة من إهمال واعتداء على قيمه وعلى مؤسساته ورجاله.

وإضافة الى هذه المعطيات التى تشترك فيها بلادنا مع سائر بلاد العالم الاسلامي عرفت تونس في أواخو الخمسينات وطيلة عقدى الستينات والسبعينات ـ رغم حصوفا على وثيقة الاستقلال ـ أوضاعاً خصوصية اتسمت بالتأثير واحتداد الصراع الاجتماعي وتعطل سبل النمو الشامل . وقد تكرس هذا الوضع نتيجة أحادية الاتجاء السياسي المتحكم والحزب اللمستوري، وتدرجه المتصاعد نحو الهمينة على السلطة والمؤسسات والمنظات الجماهيرية من ناحية، وتنيجة ارتجالية الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية وتقلبها وارتباطها بمصالح دولية تتمارض مع مصالح شعبنا الوطنية من ناحية اخرى.

في هذا المناخ ظهر الاتجاه الاسلامي بتونس في يداية السبعينات بمد ان توفرت له كل اسباب الوجود، وتأكدت ضرورته. وقد ساهم هذا الاتجاه من مواقعه في إعادة الاعتبار للاسلام فكراً وثقافة وسلوكاً، وإعادة الاعتبار للمسجد، كما ساهم في تنشيط الحياة الثقافية والسياسية فادخل عليها لاول موة نفساً جديداً في اتجاه تأصيل الهوية والوعي بالمصلحة وتأكيد التعدد تتحسيمه واقعاً.

وقد عرر الاتجاه الأسلامي من خلال نشاطه ومواقفه العديدة عن التحامه بذات امته وتجسيده آسال شعبه وتطلعاته فالتفت حوله قطاعات عريضة من المحرومين والشباب والمثقفين. وكان نموه السريع في الداخل والخارج. ورغم سعيه الرصين المتعلل لتلمس انجع سبل التطور والتغير فقد تعرض هذا الاتجاه الى سلسلة من التهم الباطلة والحملات الدعاثية المغرضة نظمتها ضده السلطة الحاكمة ووسائل الاعلام الرسمية وشبه الرسمية يلفت هذه الحملات حد الاعتداء تعسفاً على وسائل اعلامه قصد منعه من ابلاغ صوته وتطورت بعد ذلك الى اشكال اشد قهراً فقدمت عناصره الى المحاكيات وتكثفت ضد افراده التتبعات والتحقيقات وفتحت امام شبابه السجون والمعتقلات حيث الضرب والتعذيب والاهانة.

إن أستمرار أسباب تخلف الوضع السياسي والاقتصادي والثقافي في مجتمعنا يرسخ لدى الاسترميين شعورهم المشروع بمسئوليتهم الربانية والوطنية والانسانية في ضرورة مواصلة مساعيهم وتعلويوها من اجل تحور البلاد الفعلي وتقدمها على أسس الاسلام العادلة وفي ظل نهجه القويم.

وقد يذهب البعض الى أن هذا العمل هو من باب اقحام الدين في دنيا السياسة وانه

مدخل الى احتكار الصفة الاسلامية ونقيها بالتالى عن الآخرين، ان هذا الفهم فضلاً عن كونه يعجر عن تصور كنسى دخيل على ثقافتنا الاصلية يكوس استمرارية «حديثة و لواقع الضباع التاريخي الذي عاشته امتنا.
الضباع التاريخي الذي عاشته امتنا.
على ان «حركة الاتجاه الاسلامي» لا تقدم نفسها ناطقاً رسمياً باسم الاسلام في تونس ولا تطمح يوماً في ان ينسب هذا اللقب إليها. فهي مع أقرارها حق جميع التونسيين في التعامل الصادق المسؤول مع الدين، ترى من حقها تبي تصور للاسلام يكون من الشمول بحيث يشكل الارضية والاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتهاعية التي تحدد هوية هذه الحركة وتضبط ترجعاتها الاستراتيجية ومواقفها الظرفية. وبهذا المغنى تكون وحركة الاتجاه الاسلامي، واضحة الحدود عددة المسؤولة غير مازمة بكل صنوف التحركات والمواقف التي الاسلامي، واضحة الحدود عددة المسؤولة غير مازمة بكل صنوف التحركات والمواقف التي قد ترز هنا وهناك – الا ما يقم تبنيه منها بصورة رسمية –مها إضفى اصحاب هذه التحركات

على انفسهم من براقع التدين ورفعوا رايات الاسلام. وتأكيدا لهذا الوضع من ناحية وتأكيدا لهذا الوضع من ناحية ، وتكافؤا مع جسامة المهمة ومقتضيات المرحلة من ناحية اخرى، فانه يتمين على الاسلامين دخول طور جديد من العمل والتنظيم يسمح لهم بتجميع الطاقات وتوعيتها وتوظيفها في خدمة قضايا شعبنا وامتنا. ولابد فذا العمل ان يكون ضمن حركة مبلورة الاهداف مضبوطة الوسائل ذات هياكل واضحة وقيادات عمثلة.

ان وحركة الاتجاه الاسلامي، التي حالت بينها وبين جاهيرها المسلمة العريضة ظروف القهر والارهاب لتأمل ان تكون مساهم جاهيرها احمق واشمل في مستقبل الايام.

المهام:

تعمل هذه الحركة على تحقيق المهام التالية:

 أ/ بعث الشخصية الاسلامية لتونس جي تستعيد مهمتها كقماعدة كبرى للحضارة الاسلامية بأفريقيا ووضع حد لحالة التبعية والاغتراب والضلال.

ب/ تجديد الفكر الاسلامي على ضوء أصول الاسلام الثابة ومقتضيات الحياة المتطورة وتنقيته من رواسب عصور الانحطاط وآثار التغريب. ح/ أن تستعيد الجهاهير حقها المشروع في تقرير مصيرها بعيداً عن كل وصاية داخلية او هيمنة خارجية .

د/ إعادة بناء الحياة الاقتصادية على أسس انسانية وتوزيع الثروة بالبلاد توزيعاً عادلاً على ضوء المبدأ الاسلامي والرجل وبلاؤه، الرجل وحاجته اى ومن حق كل فرد ان يتمتع بثيار جهاده فى حدود مصلحة الجياعة وان يحصل على حاجته فى كل الاحوال، حتى تتمكن الجياهير من حقها الشرعي المسلوب فى العيش الكريم بعيدا عن ضروب الاستغلال والدوران فى فلك القوى الاقتصادية الدولية.

هـ/ المساهمة في بعث الكيان السياسي والحضاري للاسلام على المستوى المحلي والمغربي والعربي والعالمي حتى يتم انقاذ شعوبنا والبشرية جمعاء مما تردت فيه من ضباع نفسي وحيف اجتهاعي وتسلط دولي.

الوسائل:

لتحقيق هذه المهام تعتمد الحركة الوسائل التالية:

_ إعادة الحياة الى المسجد كمركز للتعبّد والتعبئة الجاهيرية الشاملة أسوة بالمسجد في العهد النبوى وامتداداً لما كان يقوم به الجامع الاعظم (جامع الزيتونة) من صيانة للشخصية الاسلامية ودعياً لمكانة بلادنا كمركز عالمي للاشعاع الحضاري.

تنشيط الحركة الفكرية والثقافية من ذلك: إقامة الندوات، تشجيع حركة التأليف والنشر، تعميق المفالهم وبلورة القيم الاسلامية في مجالات الأدب والثقافة عامة وتشجيع البحث العلمي ودعم الاعلام الملتزم حتى يكون بديلًا عن اعلام المبوعة والنفاق.

- دعم التعريب في نجال التعليم والادارة مع التفتح على اللغات.

رفض العنف كاداة للتغير، وتُركيز الصرآع على آسس شورية تكون هى اسلوب الحسم
 في مجالات الفكر والثقافة والسياسة.

_ رفض مبدأ الانفراد بالسلطة والاحادية لما يتضمنه من اعدام لارادة الانسان وتعطيل لطاقات الشعب ودفع المبلاد في طريق العنف، وفي المقابل اقرار حق كل القوى الشعبية في عارسة حرية التعبير والتجمع وسائر الحقوق الشرعية والتعاون في ذلك مع كل القوى الطبئة.

- "بلورة مفاهيم الاسلام الاجتهاعية حتى يتم تحديد مظاهر الحيف واسبابه والوصول الى لمرة الحلول المديلة.

ـ الانحياز الى صفوف المتستضعفين من العمال والفلاحين وسائر المحرومين في صراعهم مع المستكرين والمترفين . .

دعم العمل الثقافي بها يضمن استقلاله وقدرته على تحقيق التحرر الوطني بجميع ابعاده
 الاجتماعية والسياسية والثقافية .

- اعتباد التصور الشمولي للاسلام، والتزام العمل السياسي بعيداً عن اللاتكية (العليانية)
 والانتهازية.
 - تحرير الضمير المسلم من الانهزام الحضاري ازاء الغرب
- بلورة وتجسيم الصورة المعاصرة لنظام الحكم الاسلامي بها يضمن طوح القضايا الوطنية في إطارها التاريخي والمقائدي والموضوعي مغربياً وعربياً واسلامياً وضمن عالم المستضعفين
- توثيق علاقات الاخوة والتعاون مع المسلمين كافة: في تونس قعلي صعيد المغرب والعالم الاسلامي كله.
 - ـ دعم ومناصرة حركات التحرر في العالم.

فنفسرس

تقليم

ملامح التميز في تفكير الغنوشي والتجربة الاسلامية في تونس محمدالهاشمي الحامدي.

الفصل الأول

الفكر الاسلامى بين المثالية والواقعية . الحركة الاسلامية والتحديث . التغريب وحتمية الدكتاتورية . الاسلام والعنف .

في المبادىء الاساسية للديمقراطية وأصول الحكم الاسلامي. حبل الله ويبوت العنكبوت.

الفصل الثائي

العروية والاسلام . العالم الاسلامي والاستعار الحديث . المغانستان . . نهاية مرحلة استعارية . الثورة الفلسطينية في مفترق الطرق . دروس من الثورة الفلسطينية .

الفصل الثالث: ملاحق

حوار مع مجلة المجتمع الكويتية ١٩٨١. حوار مع مجلة ARABIA . البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الاسلامي.

جميع الحقوق محفوظة

رقم الايداع: ٥٩٦٤ / ٨٩



